التعليم في العصر الأموي

(٤١ – ١٣٢هـ / ٦٦١ – ٧٤٩ م)

تأليف

عبد الرحيم عبد الله محمد النقبي

١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾

سورة البقرة:٣٢

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾

سورة طه:١١٤

الإهداء

إلى

والدي
إلى والدتي آمنة بنت عبد الرحيم بن عبد الله البيرق
إلى زوجتي فاطمة بنت عبد الله بن محمد البيرق

أهديكم هذا العمل المتواضع

الشكر والتقدير

إن هذا الكتاب هو نتاج مرحلة دراسية في جامعة الشارقة، وبفضل أساتذة أعلام كانت لهم البصمة الواضحة في سير الباحث والدارس وفق أسس متينة، فأتقدم بجزيل الشكر والعرفان مبتدءًا برائد المسيرة العلمية والأدبية الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي حفظه الله تعالى، عضو المجلس الأعلى للاتحاد، حاكم الشارقة، الرئيس الأعلى للجامعة، على حبه للعلم ودعمه له، وتيسير السبل لطلبة العلم من شتى بقاع المعمورة.

وَمُثَنِّيًا بالمعلم والمربي الفاضل الأستاذ الدكتور حسام الدين السامرائي، فكم نهلنا من معين علمه وخلقه فجزاه الله عنا خير الجزاء، وألبسه رَبُنا لباسَ الصحة والعافية. وللمشرف على البحث الأستاذ الدكتور سلامة محمد البلوي والذي أبدى التوجيهات والنصح البنَّاءَ في إعداد البحث. وكذلك للمربي الفاضل الأستاذ الدكتور محمد مؤنس عوض أستاذ التاريخ الإسلامي.

كما أتقدم بجزيل شكري وامتناني للأستاذ الفاضل حسن محمد عمر ذو الخبرة في الحاسب الآلي، وللمدقق اللغوي الأستاذ الفاضل وليد أنور كاوردي. وللأستاذ وصفي محمد بني ياسين لتدقيقه ملخص البحث باللغة الإنجليزية. فأسأل الله العلي القدير أن يبارك فيهم وفيمن ساعد على إخراج البحث وبالأخص زوجتي أم عائشة التي كان لها الفضل العميم والصبر الجميل أثناء إعداد البحث، وأسأل الله العلي القدير أن يتمم علينا نعمه وعافيته ونسأله الإخلاص والقبول.

المحتوى

المختصرات

مج: مجلد.

ج: جزء.

ر: رقم الحديث أو الشخصية.

ط: تاريخ الطبعة.

ت: تاريخ الوفاة.

ص: الصفحة.

هـ: التاريخ الهجري.

م: التاريخ الميلادي.

د.ت: دون تاريخ طباعة.

ق: القسم

الملخص

تتناول الدراسة التعليم في العصر الأموي(٤١ - ١٣٢هـ / ٦٦١ - ٧٤٩ م) من خلال الإجابة عن التساؤلات التالية:

س١: كيف نشأ التعليم في الدولة الإسلامية وما التطور الذي طرأ عليه في العصر الأموي؟.

س٢: ما الدور الذي لعبه خلفاء الدولة الأموية في التعليم؟.

س٣: ما أبرز مخرجات التعليم في العصر الأموي؟.

س٤: ما أوجه الشبه والاختلاف بين التعليم الخاص والتعليم العام في العصر الأموي؟.

س٥: ما أهم الوسائل المعينة المستخدمة في التدريس في العصر الأموي؟.

وقد جاءت الإجابة عن هذه التساؤلات من خلال أربعة فصول مسبوقة بمقدمة، ومذيلة بخاتمة. تحدث الفصل الأول عن نشأة التعليم وتطوره حتى قيام الدولة الأموية، واشتمل على ثلاثة مباحث، تناول المبحث الأول التعليم في العصر الجاهلي، والمبحث الثاني التعليم في عصر الرسالة والمبحث الثالث التعليم في العصر الراشدي.

وخصص الفصل الثاني للتعليم العام في العصر الأموي، وتضمن أربعة مباحث، الأول منها عن تعليم الصبيان، والمبحث الثاني عن تعليم المرأة، والمبحث الثالث تضمن أماكن التعليم، والمبحث الرابع للمعلمين.

وتناول الفصل الثالث التعليم الخاص في العصر الأموي وذلك من خلال أربعة مباحث، تناول المبحث الأول تعليم أبناء الخلفاء وكبار رجالات الدولة، والمبحث الثاني المعلمون، والمبحث الثالث مناهج التعليم، والمبحث الرابع وصايا الخلفاء التربوية.

والفصل الرابع تضمن الوسائل المعينة على التعلم، واشتمل على ثلاثة مباحث، تناول المبحث الأول أدوات الكتابة، والمبحث الثاني الكتب والمكتبات، والمبحث الثالث الرحلة في طلب العلم. وجاءت الخاتمة لتبين أبرز النتائج والملاحظات.

Abstract

This study is dealing with the Education During Ommayyad Era during the period (41- 132 A.H/ 661- 749 A.D). It does through the answering of the following questions:

- How was the education founded in islamic state and how it developed during the period of the study?

- What was the role of the rulers of Ummayyad played in Education?

- What was the most features exit of Education in Ummayyad Era?

- What were the similarities and differences between General Education and Special Education during period of study ?

- What were the instruments that encouraged for studying in the period of the study?

The answering of those questions came in four chapters proceeded by an introduction and followed by an epilogue.

The first chapter talks about the foundation and developing of education till establishment of Ummayyad state, and this chapter includes three researches. The first one talks about the Education in Pre-Islamic era, and the second one the Education in the Age of the Message, and the third one the Education in the Age Rashidi.

The second chapter talks about General Education in Ummayyad Era, and this chapter includes four researches. The first one dealt with educating boys, and the second one of women education, and the third one the places of education, and the last one for the teachers.

The third chapter talks about Special Education in Ummayyad Era, and this chapter includes four researches. The first one dealt with educate sons of caliphs and most important people, and the second one for the teachers, and the third one the Curriculum, and the last one for the educational commandments of caliphs.

The forth chapter talks about the instruments that encouraged for studying. And this chapter includes three researches. The first research about the instruments of writing, and the second one about the books and libraries, and the third one about the journey to seek knowledge.

The conclusion was devoted to the most important results.

المقدمة

تتناول الدراسة موضوع التعليم في العهد الأموي(٤١- ١٣٢ هـ/٦٦١ - ٧٤٩ م)، ويتألف البحث من مقدمة و أربعة فصول تتحدث عن نشأة التعليم وتطوره في الدولة الإسلامية حتى قيام الدولة الأموية، وعن التعليم الخاص والتعليم العام في العصر الأموي والوسائل المعينة على التعلم، وخصصت الخاتمة لأهم النتائج.

أهداف البحث

تحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على جانب هام من جوانب التاريخ الأموي وهو جانب التعليم، الذي يوضح جهود هذه الدولة في خدمة هذا الجانب الحيوي، والذي يصحح الكثير من المفاهيم عن هذه الحقبة التاريخية، حيث يلاحظ تركيز الدراسات قديما وحديثا على الجانب السياسي، وإهمال الجوانب الحضارية، تلك الجوانب التي تمثل ثمرة جهود الأمة حكاما ومحكومين في عمارة الأرض.

حدود الدراسة

تشمل الدراسة المدة الزمنية الممتدة من (٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١- ٧٤٩م) وتمثل العمر الزمني للدولة الأموية، كما أن حدود الدراسة المكانية على الأغلب تقع في شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام، مع إشارات لبعض البلدان في الجانب الأفريقي.

أهمية الموضوع والحاجة للبحث:

يعد البحث في التاريخ الأموي على العموم والتاريخ الحضاري على الخصوص من الأهمية بمكان، فالتاريخ الأموي يمثل مرحلة مهمة من مراحل تاريخ الأمة، ففيه وصلت الفتوحات الإسلامية إلى أقصى مداها إلى حدود الصين وحتى الأجزاء الجنوبية من فرنسا، وفيه عربت الدواوين وتمازجت الأجناس والثقافات ونضجت الفرق والأحزاب، ووصلت العلوم إلى ذروتها، ودونت السنة المطهرة وتطور التعليم وبرز العديد من رواد التعليم والتأليف، والدراسة تطمح أن

تدلو بدلوها في تجلية جانب من جوانب التاريخ الأموي نعتقد أنه لا يزال بحاجة لمزيد من البحث. وقد انطلقت الدراسة من محاولة الإجابة عن التساؤلات الآتية:

س١: كيف نشأ التعليم في الدولة الإسلامية؟ وما التطور الذي طرأ عليه في العصر الأموي؟.

س٢: ما الدور الذي لعبه حكام الدولة الأموية في التعليم؟.

س٣: ما أبرز مخرجات التعليم في العصر الأموي؟.

س٤: ما أوجه الشبه والاختلاف بين التعليم الخاص والتعليم العام في العصر الأموي؟.

س٥: ما أهم الوسائل المعينة المستخدمة في التدريس في العصر الأموي؟.

وهذا البحث محاولة لسد ثغرة في الدراسات التاريخية، فتاريخ التعليم في هذه الحقبة لا يزال يحتاج لمزيد من البحث والتأصيل، كما تطمح الدراسة إلى توضيح المعالم الأساسية للتعليم في فترة تعد من أهم الفترات في تاريخنا الإسلامي، إلى جانب إبراز الدور الريادي لمعلمي الدولة الأموية في التقعيد والبحث والتدريس والقدرة على ابتكار الوسائل التي تساعد على تعليم الطلبة.

منهجية البحث

يستند البحث على منهج الاسترداد التاريخي القائم على التحليل والمقارنة، والدراسة تحوي تداخلا بين المناهج التربوية والتاريخية وذلك نظرا لطبيعة الموضوع الخاصة بالتعليم والتعلم والتربية.

خطة البحث

المقدمة

الفصل الأول: نشأة التعليم وتطوره حتى قيام الدولة الأموية

المبحث الأول: التعليم في العصر الجاهلي.

المبحث الثاني: التعليم في عصر الرسالة.

المبحث الثالث: التعليم في العصر الراشدي.

الفصل الثاني: التعليم العام في العصر الأموي

المبحث الأول: تعليم الصبيان.

المبحث الثاني: تعليم المرأة.

المبحث الثالث: أماكن التعليم.

المبحث الرابع: المعلمون.

الفصل الثالث: التعليم الخاص

المبحث الأول: تعليم أبناء الخلفاء وكبار رجالات الدولة.

المبحث الثاني: المعلمون.

المبحث الثالث: مناهج التعليم.

المبحث الرابع: وصايا الخلفاء التربوية.

الفصل الرابع: الوسائل المعينة على التعلم

المبحث الأول: أدوات الكتابة.

المبحث الثاني: الكتب والمكتبات.

المبحث الثالث: الرحلة في طلب العلم.

الخاتمة

الملاحق

عرض لأهم المصادر والمراجع

اعتمدت الدراسة على مجموعة متنوعة من المصادر والمراجع نظرا لطبيعة الدراسة التي اقتضت التنقل بين كتب التراجم، والبلدانيات، والحسبة، والحديث، والتفسير، والفقه، والأحكام السلطانية، والأدب، والتربية، والأخلاق، والتاريخ العام، والأنساب، وغيرها مما تطلبته الدراسة المتعلقة بالتعليم في العصر الأموي، وستحاول الدراسة تسليط الضوء على بعض تلك الكتب والمصنفات مما كان له حضورا بينا.

فالقرآن الكريم يعتبر المصدر الأساسي للتعليم، وقد حض ربنا عز وجل على العلم وبين فضل العلماء العاملين، بل وأمر بإعمال العقل بالتفكير والتدبر والتفقه وذم سبحانه وتعالى من لا يعقل، فالعقل مناط التكليف والحساب والمساءلة، والقرآن الكريم فاضل بين أهل العلم ومن هم دونهم قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[1]، فوردت كلمة العلم وتصريفاتها ما يربو على السبعين مرة، كما أن آيات التربية العديدة في القرآن الكريم ساهمت في تعضيد الدراسة.

وقدمت كتب التفسير معلومات قيمة أفاد منها البحث لا سيما في الفصل الثاني المتعلق بمبحث التعليم في العصر الراشدي ومن أبرز كتب التفسير: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ت(٣١٠هـ/ ٩٢٢م) والذي اتبع في تفسيره ذكر السند والآثار المروية عمن سبقه من الصحابة والتابعين، ويذكر أحيانا ما لا تجده في كتب التاريخ من الأحداث المهمة. ومن كتب التفسير القرطبي ت(٦٧١هـ/ ١٢٧٢م) المعروف باسم الجامع لأحكام القرآن، وفيه أنه يجمع الأقوال في المسألة ثم يرجح فيما بينها.

وتعتبر كتب الحديث الشريف من أوثق المصادر في تدوين الأقوال والأحداث في عصر الرسالة وما تلاها من فترات، فقد أفردت أبوابا عدة للعلم وفضله ومساءلة المعلم أصحابه وآداب المعلم والمتعلم، وطريقة النبي ﷺ في تعليم أصحابه، والخروج في طلب العلم وكتابة العلم إلى غيرها من المباحث المهمة والتي أفادت الدراسة بشكل كبير. وفي طليعة كتب الحديث صحيح البخاري ومسلم واللذان بالغا في صحة الأحاديث المروية في كتابيهما.

---

(١) الزمر : الآية ٩.

ومن كتب الأحاديث الأخرى والتي أفادت في البحث كتب السنن الأخرى كأبي داود والترمذي والصحاح كصحيح ابن حبان والمستدركات كمستدرك الحاكم، ومن كتب المسانيد مسند أحمد بن حنبل.

وأفاد كتاب تاريخ الأمم والملوك للطبري، محمد بن جرير ت(٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، حيث يعتبر كتابه مرجعا تاريخيا مهما للباحثين في جميع المجالات، وبه معلومات مهمة عن التربية والتعليم في صدر الإسلام، كما أورد معلومات مهمة عن أدوات التعليم والوسائل المعينة على ذلك، واعتمد الطبري على إسناد الرواية، حيث سهل على الباحثين نقد رواياته والتأكد من صحتها، لذلك على الباحث الحذر عند النقل من كتابه تاريخ الأمم والملوك، وقد تمت الاستفادة منه في مواضع خلال فصول الدراسة.

وتناول كتاب تاريخ الإسلام للذهبي، محمد بن أحمد ت(٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م)، المطبوع في اثنين وخمسين جزءا، الجزء الأول منه لمغازي النبي ﷺ والثاني للسيرة النبوية المشرفة والثالث عهد معاوية بن أبي سفيان، وبقية الأجزاء للسنين التي تلت، ويذكر فيها الأحداث والوفيات، ولقد أفاد البحث في سيرة عدد من العلماء ممن كان له دور فعال في التربية والتعليم.

وكان تاريخ ابن عساكر، علي بن الحسن ت (٥٧١هـ/ ١١٧٦م)، والمسمى تاريخ دمشق، من أبرز المصادر التي اعتمدت عليها الدراسة، فقد ذكر عددا غير قليل من المعلمين وأجورهم وأعطى معلومات مهمة حول التعليم والمناهج التعليمية، كما ذكر عددا من الوصايا التربوية للخلفاء الأمويين، كما أفرد ابن عساكر قسما خاصا بالنساء والذي به معلومات هامة عن تعليم المرأة.

ولكتاب خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى للسمهودي، علي بن أحمد ت (٩١١هـ / ١٥٠٦م)، أهمية في ذكر مدينة الرسول ﷺ وتحديد كثير من المواقع المهمة في المدينة والذي يعنينا في الدراسة تعيين مواقع المساجد التي بنيت في عهد النبي ﷺ والتي كان لها أكبر الأثر في التعليم إبان عصر الرسالة.

وتعتبر كتب الحسبة من أكثر المصنفات التراثية عناية بالرقابة واهتمام الدولة بالجودة في العديد من القطاعات كالصناعية والإدارية، ويذكر في هذا المجال العلامة الشيزري، عبد الرحمن بن نصر ت (٥٨٩هـ/ ١١٩٣م)، والذي ضمن كتابه نهاية الرتبة في طلب الحسبة الحديث عن

العديد من الصناعات والقطاعات الموجودة في الدولة وذكر ما يخص المعلمين والمتعلمين وافتتح الباب بعنوان " الحسبة على مؤدبي الصبيان " وهو الباب الذي يهم الدراسة.

أما مقدمة كتاب التاريخ لابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ت(٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)، فقد حوى قواعد الفكر التربوي في الحضارة الإسلامية، فتحدث في الفصل السادس عن العلوم وأصنافها والتعليم وطرقه، واختلاف مذاهب الأمصار الإسلامية في طرق تعليم الولدان. ناهيك عن العديد من المباحث التي اشتملت عليها المقدمة والتي تنير الدرب للدارس في موضوع التعليم في العصر الأموي.

ويأتي كتاب صبح الأعشى للقلقشندي، أحمد بن علي ت(٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، في مقدمة الكتب الخاصة بالدواوين وما يتعلق بها وبشؤون كتابها وآدابهم، ففي الباب الأول تضمن فضل الكتابة ومدح فضلاء أهلها، أما الباب الثالث ففي صفات الكتاب وآدابهم، ومما ذكره في ثنايا الكتاب ما يحتاج إليه الكاتب من الأمور العملية من الخط وتوابعه وفي ذكر آلات الخط من الدوي وما تتخذ منه ومقاديرها وكيفياتها ومعرفة أصناف الأقلام وصنعة برايتها وعدد ما يكون في الدواة منها وكيفية عمل الحبر. ولقد أفادت الدراسة من المباحث المذكورة ومن الوصايا التي تضمنها الكتاب.

وتعد كتب التراجم من أبرز ما ارتكزت عليه الدراسة لما قدمته من ترجمة وافيه لأعلامها فتناولت أنسابهم ومكانتهم الاجتماعية والعلمية، ككتاب الطبقات الكبير لمحمد بن سعد بن منيع الزهري ت(٢٣٠هـ/ ٨٤٥م) والتي تجمع بين تراجم الرجال والمادة التاريخية، وقَسَّم تراجم الرجال على حسب طبقات بدءا من السيرة النبوية ومغازيها ثم بالصحابة حسب أسبقيتهم إلى الإسلام ثم عقبهم بالتابعين وأفرد قسما خاصا بالنساء، ويعتبر كتاب الطبقات مصدرا متقدما من مصادر البحث في تراجم الرجال وأحوالهم وبيان مواضع التعليم والتربية فيها. وكتاب الفهرست لابن النديم محمد بن إسحاق ت(٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)، وسير أعلام النبلاء وتذكرة الحفاظ وميزان الاعتدال لمؤلفهم الذهبي، محمد بن أحمد ت(٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م)، وأسد الغابة لابن الأثير، علي بن محمد ت(٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م)، وكتاب الأعلام للزركلي، خير الدين بن محمود ت(١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)، حيث ذكرت الكتب السابقة كثيرا من أخبار العلماء وحياتهم العلمية والتعليمية.

ومن أبرز الدراسات الحديثة كتاب التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة لملكة أبيض، وقد اعتمدت في دراستها على تاريخ دمشق لابن عساكر في جمع مادة الكتاب ولقد حوى مواضيع جمة عن التعليم والتربية في عهد الأمويين. ومن أبرز الأقسام التي تناولت التعليم في العصر الأموي القسم الثاني الذي تحدث عن دور القائمين على السلطة في التشجيع على التعليم، أما القسم الثالث فتحدث عن الجوانب الكيفية والكمية في التعليم وعن أهداف التعليم ومراحله والمواد الدينية والعلاقات بين أهل العلم، والتبادل الثقافي، كما أشارت إلى أماكن التعليم والمواد الدراسية والرحلة في طلب العلم والمكابدة في سبيل تحصيله.

وكتاب معاهد التربية الإسلامية لسعيد اسماعيل علي، والذي خصص الفصل الأول منه بعنوان حركة الحضارة الإسلامية، ومن مباحثه تشجيع الخلفاء والأمراء للعلم، وبين مساهمة الأمويين في تشجيع حركة الأدب والشعر والترجمة، وتحدث كذلك عن مراكز العلم والوسائل المتبعة في تدوين العلوم، ناهيك عن الحديث عن مجالس الخلفاء العلمية والأعلام الذين كانوا يترددون عليها. والوسائل المتبعة في تدوين العلوم.

ولعبد الرحمن عثمان حجازي كتاب: المذهب التربوي عند ابن سحنون. ويلقي الضوء على المنهج الدراسي الوارد في كتاب آداب المعلمين لابن سحنون، ويقسمه إلى قسمين: إلزامي واختياري، إذ يتكون الإلزامي من القرآن والحديث بينما الاختياري فيتضمن الحساب والشعر والعربية والخط والنحو. ويشير إلى ما يجب التعامل مع الصبية وطرق تعليمهم وما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وطرق التأديب، والإجارة ما بين المعلم وأولياء الطلبة، وغيرها من الأمور التنظيمية لحركة التعليم إبان عصره أو ممن سبقه. مستندا في كل مواضيعه على شواهد من القرون الأولى.

وأفادت الدراسة من الدوريات والمجلات التاريخية والتي تعنى بتراثنا الحضاري ومن هذه الدراسات دراسة الدكتور رمضان عبد التواب بعنوان: لوح الضبط في علم حساب القبط لابن المغربي، والذي أصدرته مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة إذ اشار إلى اصطلاح العرب على طريقة للدلالة على الأعداد دون تلفظ، مستخدمين في ذلك الأيدي والأصابع، وأطلقوا عليه حساب اليد، أو حساب العقود، أي عقود الأصابع.

ومن مجلة المورد العراقية العريقة في الدراسات التاريخية والتراثية كانت دراسة كتاب البغدادي، عبد الله بن عبد العزيز: الكتّاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها، لمحققه هلال ناجي، والذي صنف أبواب الكتاب إلى: ما يحتاج إليه الكاتب من آلة الكتابة، الكتاب، السحاة، الخاتم، العنوان، التاريخ، أسماء كتاب النبي ﷺ ، أسماء الكتاب الأشراف الذين صاروا بعد الكتابة خلفاء وأئمة في العلم والزهد، ومن الأبواب كذلك أسماء الكواتب من النساء ذوات البلاغة، وما يجب أن يكون في الكاتب من الآلة، ثم يذكر من طرائف وملح وما يذم من أخلاق الكتاب، وقد أفادت الدراسة من الكتاب.

ولدراسة وتحقيق عبد الله كنون لكتاب التيسير في صناعة التسفير لمؤلفه الإشبيلي، بكر بن إبرهيم ت (٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م) فائدة مهمة وإن كان المؤلف متأخرا عن فترة الدراسة إلا أنها تعطي انطباعا إلى مدى تأصل صنعة التسفير أو التجليد للكتب عند المسلمين ولقد أفادت الدراسة من الكتاب في مبحث الكتب والمكتبات، وهذه الدراسة من منشورات مطبعة صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد بأسبانيا.

وضمن مبحث الكتب والمكتبات كانت دراسة الدكتور رمضان ششن بعنوان: نظرة عامة على الكتاب والمكتبات والوراقين في التاريخ الإسلامي، ضمن مجلة التاريخ العربي، وهي من إصدار جمعية المؤرخين المغاربة، والدراسة فريدة في بابها إذ أشار إلى اهتمام المسلمين بالكتب والمكتبات على طول العصور الإسلامية بدأ من عصر الرسالة وما تلتها من عصور إسلامية، كما أفرد عنوانا خاصا بالوراقين وكيف أن المدن الكبار كانت تضم أسواقا خاصة بالوراقين، مع براعة الوراقين في صنعة الكتب من تزيين وتجليد وزخرفة.

وللدكتور سلامة محمد البلوي دراسة بعنوان: مكتبات بيت المقدس من الفتح الأيوبي إلى الاغتصاب الصهيوني، ضمن مجلة التاريخ العربي، إذ صدَّرَ الدراسة بمكانة القدس في الوعي الإسلامي، وعقبها بالمكتبات العربية الإسلامية في القدس، والذي يهم البحث هو مكتبة المسجد الأقصى وخزانة المسجد التي تشتمل على أمهات الكتب في فنون العلم والمعرفة، كما وأشارت الدراسة إلى المكتبات غير الإسلامية كالأديرة والكنائس في بيت المقدس، مما أبرز دور المسلمين وتسامحهم مع غير المسلمين في ظل دولة الإسلام. وكذلك كتابه سلسلة اللمسات الإنسانية للحضارة الإسلامية إذ تطرق مؤلفه في الجزء الخاص بالطفولة لتوجيهات المصطفى ﷺ ولوصايا الخلفاء الخاصة بالتربية والتعليم، والكتاب من مطبوعات مكتبة الصحابة بالشارقة.

ولقد أفادت الدراسة كثيرا من بحث الدكتور محمد صالحية والذي هو بعنوان: مؤدبو الخلفاء في العصر الأموي، ضمن المجلة العربية للعلوم الإنسانية، حيث أشار المؤلف إلى مناهج التعليم عند العرب، كما وناقش البحث مرحلة تأديب الخلفاء من بني أمية، ومن رافق الخلفاء في مختلف سني أعمارهم والمواصفات الداعية لاختيار المؤدبين، وأشار البحث أيضا إلى بعض وصايا الخلفاء، والتطور الحاصل على منهاج التعليم لأولاد الخلفاء، وناقش البحث في خاتمته أثر المؤدبين على أبناء الخلفاء.

الفصل الأول: نشأة التعليم وتطوره حتى قيام الدولة الأموية

المبحث الأول: التعليم في العصر الجاهلي

المبحث الثاني: التعليم في عصر المصطفى ﷺ

المبحث الثالث: التعليم في العصر الراشدي

المبحث الأول: التعليم في العصر الجاهلي

إذا قيل التعليم عند العرب في فترة الجاهلية تتبادر إلى الأذهان الأمية التي كانت منتشرة عند كثير من العرب ظنًا منهم بعموم الجهل في فنون العلم والقراءة والكتابة، وعند التأمل والتدقيق في هذا الموضوع سيلاحظ الباحث بأن العلم والثقافة في الجزيرة العربية كانت لها سوق رائجة في الحواضر والبوادي وإن كانت لا تقارن بالأمم المجاورة كفارس والروم، والهند والصين.

ولعل تعليق المعلقات في جوف الكعبة واحتفائهم بها دليل على تقديرهم للأعمال الإبداعية، ناهيك عن أسواق العرب عند ظهور الإسلام كسوق دومة الجندل، وسوق هجر، وسوق عمان، وسوق المشقر، وسوق عدن أبين، وسوق صنعاء، وسوق حضرموت، وسوق ذي المجاز، وسوق مجنة، وسوق عكاظ، وسوق حباشة، وسوق صحار، وسوق بدر، وسوق بني قينقاع، وسوق الشحر، وسوق عثر، وأسواق محلية أخرى تأتيها القبائل والعشائر للامتيار[١]. وكانت تتخذ أيضا كمنتديات أدبية يتبارى فيها الشعراء لعرض غرر قصائدهم دليل آخر على تقدير العرب للثقافة[٢].

إن المدقق في كلمتي الجاهلية والأمية الواردة في القرآن الكريم يجد أنها خلاف ما يتبادر إلى الذهن من عدم العلم، وإنما تعني معنى مغايرا تماما لذلك، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[٤]،وقوله جل وعلى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[٥] وقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾[٦]،وفي كل هذه المواضع ما ينم على أخلاق الجاهلية[٧].

---

(١) علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ط ٤، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ج١٤، ص ٥٩.

(٢) انظر الملحق (٢)، أسواق العرب قبل الإسلام.

(٣) الفرقان: الآية ٦٣.

(٤) البقرة: الآية ٦٧.

(٥) الأعراف: الآية ١٩٩.

(٦) هود: الآية ٤٦.

(٧) علي، جواد: المرجع السابق، ج١، ص ٣٩.

فالجاهلية على ضوء ما تقدم يقصد بها: السفه، والحمق، والأنفة، والخفة، والغضب، وعدم الانقياد لحكم وشريعة الله ﷻ وما إلى ذلك. وعليه فلا يشترط بالطبع أن يكون ذلك الرجل أميا، ليس له علم، أو ليس بقارئ ولا كاتب.

ويؤكد العلماء أن للأمية معنى آخر غير المعنى المتداول، فقد ذكر الفقيه والعلامة أبو يعلى الفراء، أن الأميين هم العرب الذين لم يكن لهم كتاب. ولذلك نعت اليهود والنصارى في القرآن بأهل الكتاب (التوراة والإنجيل)، وهذا المعنى يناسب كل المناسبة لفظة الأميين الواردة في القرآن الكريم، وتعني الوثنيين ممن ليس لهم كتاب، أي: جماعة قريش وبقية العرب.

وقد بحث الراغب الأصبهاني في معنى الأمية فقال: والأمي: هو الذي لا يكتب ولا يقرأ من كتاب وعليه حمل: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾[١]. قال قطرب: الأمية: الغفلة والجهالة. فالأمي منه، وذلك هو قلة المعرفة. ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾[٢]، أي: إلا أن يتلى عليهم. قال الفراء: هم العرب الذين لم يكن لهم كتاب[٣].

ويلاحظ أن الآية: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ﴾[٤]، تعنى المشركين، أي: أمة لم تؤمن بكتاب من الكتب السماوية. والآية: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[٥]، قال ابن عباس: الأميون العرب كلهم، من كتب منهم ومن لم يكتب، لأنهم لم يكونوا أهل كتاب[٦]. وروى منصور عن إبراهيم قال: الأمي الذي يقرأ ولا يكتب. ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ السنة. وقال ابن عباس: الكتاب الخط بالقلم؛ لأن الخط فشا في العرب بالشرع لما أمروا بتقييده بالخط[٧].

---

(١) الجمعة: الآية ٢.

(٢) البقرة: الآية ٧٨.

(٣) علي، جواد: المرجع السابق، ج ١٥، ص ٩٤.

(٤) آل عمران: الآية ٢٠.

(٥) الجمعة: الآية ٢.

(٦) القرطبي، محمد بن أحمد ت (٦٧١هـ / ١٢٧٢م): الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ج ٢٠، ص ٤٥٢.

(٧) المصدر السابق نفسه، ج ١٨، ص ٩٢.

وكلمة فشا تشير إلى أنه كان موجودا وإن لم يكن بالقدر الذي كان عليه بعد حض الشرع عليه ورفع مكانة العلماء وطلاب العلم.

والحديث الذي رواه الإمام البخاري ﷺ عن ابن عمر ﷺ: عن النبي ﷺ أنه قال: (إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسُبُ الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا). يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين[١]. أي أننا أمة نعتمد على رؤية الهلال ولا نحسب ولا نكتب تقويما مسبقا لشهورنا إلا بعد أن يبدو لنا الهلال.[٢]

ويلاحظ بأنه كان في يثرب كُتَّابٌ يكتبون بكتاب مكة، فضلا عن انتشار الكتابة بالمسند في العربية الجنوبية وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب. كما بلغ الغساسنة مبلغا عظيما في القوة والحضارة وكان منهم من يقرأ باليونانية، بدليل حادثة الإمبراطور يطينوس والذي أراد التخلص من المنذر بن الحارث عبر رسالة لقائده مرقيانوس، ولكن الرسالة وصلت للمنذر وعلم ما فيها ومن ثم تحالف مع ملك الحيرة وأصبحا يغيران على مدن الشام الرومية[٣].

وفي جنوب شبه الجزيرة العربية قامت ممالك وحضارات عدة كمعين، وسبأ، وحمير، وكان لهم إلمام بعلوم كثيرة علاوة على تفوقهم في هندسة الري والزراعة، وكانوا أرباب تجارة واسعة تجتاز البر والبحر[٤].

ولعل كثرة النقوش العربية في مختلف أنحاء الجزيرة العربية وفي مصر والشام تدل على اهتمام العرب بالقراءة والكتابة وتخليد أعمالهم بالتدوين والنقش على الحجر، ومن هذه النقوش نصًّا تاريخيًا وضعه عبد كلال يذكر فيه اسم الرحمن، ولهذين النَّصّين أهمية عظيمة جدًا من الناحية الدينية. حيث يذكر النص الأول إله السماوات والأرضين، ويذكر الثاني الرحمن. وهو إشارة واضحة للتعاليم الدينية. كما وعُثِرَ على كتابةٍ في خرائب زيد بين قنسرين ونهر الفرات

(١) البخاري، محمد بن اسماعيل ت (٢٥٦هـ/ ٨٧٠م): صحيح البخاري، دار الفكر، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، كتاب الصوم، باب قول النبي عليه الصلاة والسلام: لا نكتب ولا نحسب، ج٢، ص ٢٨١، ر ١٩١٣.

(٢) الأحمدين، أحمد: الوقوف على الأمية عند عرب الجاهلية، مركز الحضارة العربية، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٩١.

(٣) المرجع السابق نفسه، ص ١٨.

(٤) المرجع السابق نفسه، ص ٧.

جنوب شرقي حلب، كتبت بثلاث لغات: اليونانية والسريانية والعربية، يرجع تأريخها إلى سنة ٥١٢م[١].

إلا أن الدراسة تعي بأن هناك فروقا واضحة في مستويات الثقافة والتعليم بين أجزاء الجزيرة العربية فقد كانوا يتباينون تباينًا يختلف باختلاف أماكنهم. فأهل البوادي، لم تساعدهم الأحوال على تعلم القراءة والكتابة، ولا على ظهور العلوم فيهم، غير أننا لا نعني أنهم كانوا جميعًا على نسق واحد، لا قارئ بينهم ولا كاتب. فقد كان بينهم من يقرأ ويكتب، بدليل هذه النصوص الجاهلية التي عثر عليها مبعثرة في مواضع متناثرة من البوادي وأما أهل الحواضر، فقد كان بينهم من يقرأ ويكتب، وهم أكثر عددا وأرقى فكرا.

وكان منهم من يقرأ ويكتب بالقلم المسند[٢]، وبالقلم الذي دوّن به القرآن الكريم، كما كان بينهم من يكتب بقلم النبط وبقلم بني إرم. وكان من بينهم من يكتب ويقرأ بقلمين أو أكثر. والأحناف كانوا يكتبون ويقرءون، مثل ورقة بن نوفل، أنه كان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب بالعبرانية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب. وقد ذكر الهمداني أن العرب كانت تسمى كل من قرأ الكتب أو كتب: صابئًا، وكانت قريش تسمي النبيﷺ أيام كان يدعو الناس بمكة ويتلو القرآن صابئا. فالصباة على تفسير الهمداني، هم الكتبة وكل من قرأ الكتب[٣].

ويشير مؤلف كتاب الوقوف على أمية العرب إلى أن المدارس السريانية والرومانية كانت منتشرة ببلاد الشام، وأنها لا تختلف كثيرا عن مدارسنا اليوم، وأن الغساسنة استفادوا من هذه المدارس، وأقاموا مدارس مشابهة. ومما يدل على مدى انتشار القراءة والكتابة في قلب الجزيرة العربية، إرسال قصي بن كلاب الجد الخامس للنبي ﷺ سنة ٤٠٠ م إلى رزاح بن ربيعة – وهو أخوه لأمه – يدعوه إلى إخراج خزاعة من مكة، فقدم رزاح بمن أطاعه من قضاعة وكانوا يسكنون بالقرب من الأنباط، والتي بالطبع استفادت من تعليمهم وعلومهم بدليل النقوش التي عثر عليها بمنطقة بادية الشام، مما يؤيد الرأي القائل بثبوت التعليم العربي بالخط العربي[٤].

---

(١) علي، جواد: المرجع السابق، ج١، ص٥٠– ٥١.

(٢) انظر الملحق (٦)، خط المسند .

(٣)علي، جواد: المرجع السابق، ج١، ص ١٠٨.

(٤) الأحمدين، أحمد: المرجع السابق، ص ١٩–٢٠.

وفي ترجمة عدي بن زيد العبادي: أنه كان في الحيرة[1] معلمون، يعلمون الأطفال القراءة والكتابة، يذهبون إلى بيوت الأطفال يعلمونهم إن شاء أهلهم، أو يعلمونهم في الكتاتيب. وقد ورد أيضًا: أن من الكتاتيب ما كانت تعلم بالعربية ومنها ما كانت تعلم بالفارسية. وذكر أهل الأخبار أن لقيط بن يعمر الإيادي الشاعر كتب صحيفة إلى قومه إياد، يحذرهم من كسرى. وكان كاتبًا ومترجمًا في قصر كسرى، يكتب من الفارسية إلى العربية ومن العربية إلى الفارسية، فلما أراد كسرى الانتقام من قومه، كتب إليهم قصيدة في صحيفة، فيها[2]:

سلامٌ في الصحيفةِ من لقيطٍ   إلى مَن بالجزيرةِ من إياد

وكان المرقَّشُ[3] يكتب، فقد أرسله أبوه سعد بن مالك مع أخيه حرملة إلى نصراني من أهل الحيرة فعلمهما الخط[4]، وكان جفينة العبادي وهو من نصارى الحيرة كاتباً، قدم المدينة في عهد عمر بن الخطاب ﷺ، وصار يعلم الكتابة فيها.

ولما نزل خالد بن الوليد ﷺ الأنبار، رآهم يكتبون بالعربية ويتعلمونها، فسألهم: ما أنتم؟ فقالوا: قوم من العرب، نزلنا إلى قوم من العرب قبلنا –فكانت أوائلهم نزلوها أيام بختنصر[5] حين أباح العرب، ثم لم تزل عنها– فقال: ممن تعلمتم الكتاب؟ فقالوا: تعلمنا الخط من إياد، وأنشدوه قول الشاعر[6]:

---

(١) الحيرة مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف زعموا أن بحر فارس كان يتصل به وبالحيرة الخورنق بقرب منها مما يلي الشرق وكانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية، انظر الحموي، ياقوت: معجم البلدان، دار صادر، ط١، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م ،ج٢، ص ٣٢٨.

(٢) علي، جواد: المرجع السابق ج١٥، ص ١٠٩.

(٣) المرقش الاكبر: عوف (أو عمرو) بن سعد بن مالك،شاعر جاهلي، وكان يحسن الكتابة. نشأ بالعراق. واتصل مدة بالحارث أبي شمر الغساني ونادمه ومدحه. واتخذه الحارث كاتبا له توفي نحو ٧٥ ق هـ / ٥٥٠ م . انظر الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٥، ص ٩٥ .

(٤) الأصفهاني، علي بن الحسين ت (٣٥٦هـ/ ٩٦٧م) : الأغاني، مطبعة دار الكتب المصرية، ط١، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م، ج ٦، ص ١٣٠.

(٥) بختنصر هو ابن الملك نابوبولصر ملك بابل تولى بعد أبيه سنة ٦٠٧ قبل الميلاد، انتزع بلاد الموصل وهاجم اليهود، ونهب بيت المقدس وشتت اليهود في البلاد، مات سنة ٥٥١ ق م . انظر وجدي، محمد فريد: دائرة معارف القرن العشرين ، دار الفكر، بيروت، مج٢، ص ٥٠.

(٦) الطبري، محمد بن جرير ت(٣١٠هـ/ ٩٢٣م): تاريخ الأمم والملوك، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ط١، ص ٥٤٤.

قَوْمي إِيادٌ لَوْ أَنَّهم أممٌ		أو لو أقاموا فَتَهزُلُ النَّعَمُ
قومٌ لهمْ باحةُ العراق إذا		ساروا جميعًا والخَطُّ والقَلَمُ

ووجد خالد بن الوليد ﷺ أهل النقيرة[1] يعلّمون أولادهم الكتاب في كنيستها. ولما فتح خالد حصن عين التمر[2] وغنم ما فيه، وجد في بيعتهم أربعين غلامًا يتعلمون الإنجيل، عليهم باب مغلق، فكسره عنهم ثم أخرجهم فقسّمهم، فكان منهم نصير، أبو موسى بن نصير، وسيرين أبو محمد بن سيرين، وحمران مولى عثمان ﷺ وغيرهم[3].

وهكذا كانت القراءة والكتابة معروفة في الجزيرة العربية والأقاليم العربية في العراق والشام، وهناك العديد من الشواهد التي تدل على أن هناك أعلاما في الجزيرة العربية قد برعوا في القراءة والكتابة ناهيك عن دور اليهودية والنصرانية في نشر التعليم من خلال الكنائس، إلى جانب فئات أخرى كانت قد توارثت بعض المعارف.

فعلى سبيل المثال ترجم ابن الأثير لسويد بن الصامت الأوسي، صاحب مجلة لقمان، بأنه قدم مكة المكرمة حاجا أو معتمرا فتصدى له رسول الله ﷺ ودعاه إلى الله ﷻ وإلى الإسلام فقال له سويد: لعل الذي معك مثل الذي معي! فقال رسول الله ﷺ: وما الذي معك؟ قال: مجلة لقمان – يعني حكمة لقمان– فقال رسول الله ﷺ: اعرضها علي فعرضها عليه فقال: إن هذا لكلام حسن، والذي معي أفضل منه، قرآن أنزله الله علي وهو هدى ونور. فتلا عليه رسول الله ﷺ ودعاه إلى الإسلام فلم يبعد وقال: إن هذا لقول حسن[4].

وتعلم الخط ثلاثة من الطائيين: مرامر بن مرة، و أسلم بن سدرة، و عامر بن جدرة، الذين وضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية، فتعلمه من أهل الأنبار[5] رجل من

---

(١) قرية من قرى عين التمر بالعراق، انظر الحموي، ياقوت: معجم البلدان، دار صادر، ط١، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، مج ٥، ص ٣٠١ .

(٢) عين التمر بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة، افتتحها المسلمون في أيام أبي بكر على يد خالد بن الوليد في سنة ٢١ للهجرة، انظر الحموي، ياقوت: معجم البلدان، مج ٤، ص ١٧٦ .

(٣) الطبري: المصدر السابق، ص ٥٤٤.

(٤) ابن الأثير، علي بن محمد ت (٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م): أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ج٢، ص ٥٦٧.

(٥) الأنبار أيضا مدينة على الفرات في غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ وكانت الفرس تسميها فيروزسابور، انظر الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص ٢٥٧ .

طابخة كلب، فعلمه رجلًا من أهل وادي القرى، فأتي الوادي يتردد، فأقام بها، وعلم الخط قومًا من أهلها[1].

ويرى مؤلف كتاب الوقوف على الأمية أن الأسماء الثلاثة مرامر بن مرة تصحيف لجملة (مارا ما بر ماوى) ومعناها: شيخ شيوخ العلم بن حامل لواء العلم، واسم عامر بن جحدرة تصحيف (لعلارة عمرايا بر جدرا) ومعناها: العماد الحاذق، وأسلم بن سدرة تصحيف لجملة (شليما بر سدرا) وتعني: التام العلم الخطاط[2]. وتبقى هذه اجتهادات تحتاج لمزيد من الأدلة والدراسة والبراهين.

وقد وصف الشاعر أبو ذؤيب الهذلي كاتبًا من اليمن وهو يكتب كتابًا، ولم يكن خط هذا الكاتب بالقلم العربي، قلم أهل مكة، وإنما كان بقلم أهل اليمن وهو المسند. وذلك كما يظهر من تعابير هذا الشاعر الواردة في شعره إذ يقول[3]:

عرفتُ الديار كرَقْم الدواة يَذْبُرُها الكاتِبُ الحِمْيَريّ

بِرَقْمٍ وَوَشْيٍ كَمَا زَخْرَفَتْ بِميشَمِها الْمُزْدَهاةُ الْهَديّ

أَدانَ وَأَنْبَأَهُ الأولـونَ بأنَّ المُدانَ مليٌّ وفيٌّ

فَنَمْنَمَ في صُحفٍ كالرياطِ[4] فيهنَّ إِرْثُ كتابٍ مَحِيُّ

ويظهر من هذه الأبيات أن ذلك الكاتب الحميري كان يكتب بالحبر الموجود في دواة على شيء يصلح للكتابة عليه كأديم أو قرطاس. وهذا مما يدل على أن أهل العربية الجنوبية كانوا يكتبون على مواد الكتابة الأخرى بالحبر والقلم، فِعْل أهل مكة وأهل الحيرة ودومة الجندل.

(١) علي، جواد: المرجع السابق ج ١٥، ص ١١١.

(٢) الأحمدين، أحمد: المرجع السابق، ص ٣٠

(٣) الشملان، نورة: أبوذؤيب الهذلي حياته وشعره، عمادة شؤون المكتبات جامعة الرياض، الرياض، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ٧١.

(٤) الريطة الملاءة إذا كانت قطعة واحدة، وقيل هو كل ثوب لين دقيق والجمع ريط ورياط، قال الأزهري لا تكون الريطة إلا بيضاء، انظر ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ج٧، ص ٣٠٧ .

أما كتابات عرب الشمال، فقد عثر عليها السياح والمستشرقون في مواضع متعددة من البوادي، كتبت على الصخور، دل البحث فيها على أنها كتابات أعراب، كان أصحابها يتنقلون من مكان إلى مكان طلبًا للمرعى والصيد.

وممن كان يكتب من أهل يثرب عند ظهور الإسلام: سعد بن زرارة، والمنذر بن عمرو، وأُبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وكان يكتب بالكتابين العربية والعبرية أو السريانية، ورافع بن مالك وأُسيد بن حُضير، ومعن بن عدي، وأبو عبس بن كثير، وأوس بن خولي، وبشير بن سعيد، وسعد بن عُبادة، والربيع بن زياد، وعبد الرحمن بن جبر، وعبد الله بن أُبي، وسعد بن الربيع، وأنس بن مالك.

وقد أطلق العرب على الذي يكتب بالعربية ويحسن العوم والرمي، وقيل الحساب أيضا بالكَمَلَة، ومن هؤلاء الكَمَلَة: سعد بن عبادة سيد الخزرج، والربيع بن زياد العبسي، ورافع بن مالك، وأسيد بن حضير، وعبد الله بن أبي. وفي جملة من كان يكتب ويقرأ من أهل مكة حرب بن أمية، وإليه ينسب قوم من أهل الأخبار إدخال الكتابة بين قريش.[1]

وذكر ابن النديم أن أسيد بن أبي العيص كان من كتّاب العرب. وذكر أنه كان في خزانة المأمون كتاب بخط عبد المطلب بن هاشم في جلد أدم، فيه ذكر حق عبد المطلب بن هاشم من أهل مكة على فلان بن فلان الحميري، من أهل وزل صنعا عليه ألف درهم فضة كيلًا بالحديدة ومتى دعاه بها أجابه. وكان الخط شبه خط النساء[2]، وتشبيه الخط بخط النساء دليل على أن من النساء من كان يعرف الكتابة. وكان حنظلة بن أبي سفيان ممن يحسن الكتابة والقراءة بمكة.

ومن النساء من كان يحسن القراءة والكتابة كالشّفاء بنت عبد الله بن عبد شمس القرشية العدوية ﵂. من رهط عمر بن الخطاب ﵁. أسلمت قبل الهجرة، وهي من المهاجرات الأول. وكانت من عقلاء النساء، وقد أمرها الرسول ﷺ أن تعلم حفصة الكتابة، فعلمتها[3].

---

(١) علي، جواد: المرجع السابق ج ١٥، ص ١١١- ١١٧.

(٢) النديم، محمد بن إسحاق ت(٣٨٠هـ/ ٩٩٠م): الفهرست، تحقيق رضا تجدد، طهران، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، ص ٨ .

(٣) علي، جواد: المرجع السابق ج ١٥، ص ١٣٧.

وقد اشتهر أهل اليمن بشيوع الكتابة والقراءة فيهم، فكان غلمانهم يتعلمونها ويرددون قراءة ما يكتبون، وقد أشير إلى ذلك في شعر لبيد إذ يقول[١]:

دَرَسَ المَنا بمُتالع فأبانِ	فتقادمتْ بالحَبْسِ فالسُوبانِ
فنِعافِ صارةَ فالقِنانِ كأنها	زُبُرٌ يُرجِّعها وليدُ يمان
متعوِّد لَحِنٌ يُعيد بكفّهِ	قَلَما على عُسُبٍ ذَبَلنَ وبانِ

فالزبر: الكتب، وكتب يرددها وليد يمان، أي: غلام يمانٍ. ولحِنٌ: بمعنى فهم، وقد كانوا يكتبون في العسب[٢] والبان[٣] والعرعر. فيظهر من ذلك أن أهل اليمن، حتى غلمانهم، كانوا يكتبون، ويردد الأطفال الكتب، لحفظها ولتعلمها، على نحو ما يفعلون في الكتاتيب هذا اليوم[٤].

وكذلك أمية بن أبي الصلت الذي لم يكن كاتبًا قارئًا فحسب، بل كان واقفًا على كتب أهل الكتاب كذلك، وكان يقرأها، ويقتبس منها، وقد استخدم في شعره ألفاظًا ذكر أنه أخذها من كتب أهل الكتاب. ودعوى أن الجاهليين كانوا أميين وعلى الفطرة والبديهة، لا يحسنون كتابة وقراءة خلا نفر بمكة وأشخاص بيثرب، دعوى ينقصها الدليل والبرهان، ولا يمكن لمن له إلمام بأحوال الجاهلية أن يصدق بها.

ونجد ابن سعد بعد ذكر سفراء النبي ﷺ أعقبه بفصل الوفادات العربية وقد تخلله ذكر الكتابة والمكاتبات فمنها وفد عقيل[٥] وبني جعدة وسليم وعبد القيس وغيرهم من قبائل أُخَر من نواحي الجزيرة العربية مما يدل على معرفتهم بالكتابة والقراءة.

وذكر محمد بن حبيب في كتابه المحبر في الفصل الذي سماه: أشراف المعلمين وفقهاؤهم، اسم بشر بن عبد الملك السكوني، فذكر أنه كان في جملة المعلمين. وإليه ينسب أهل الأخبار نشر الكتابة بمكة. وأشار ابن حبيب إلى أبي قيس بن عبد مناف بن زهرة، وهو جاهلي، على أنه من أشراف المعلمين. كما أشار إلى عمرو بن زرارة بن عدس بن زيد، وهو جاهلي

---

(١) البكري، عبد الله بن عبد العزيز ت(٥٧٨هـ/ ١١٨٢م) : سمط اللآلئ، لجنة التأليف والترجمة والنشر بجامعة عليكره، الهند، ط١، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م، ج ١، ص ١٣ .

(٢) العَسِيب جريد النخل إذا نُحِّيَ عنه خُوصه والعَسِيبُ من السَّعَفِ فُوَيْقَ الكَرَبِ لم ينبت عليه الخوصُ وما نَبَت عليه الخُوصُ فهو السَّعَفُ. انظر ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص ٥٩٨.

(٣) البانُ ضربٌ من الشجر واحدتها بانة، انظر ابن منظور: لسان العرب، ج١٣، ص ٦١.

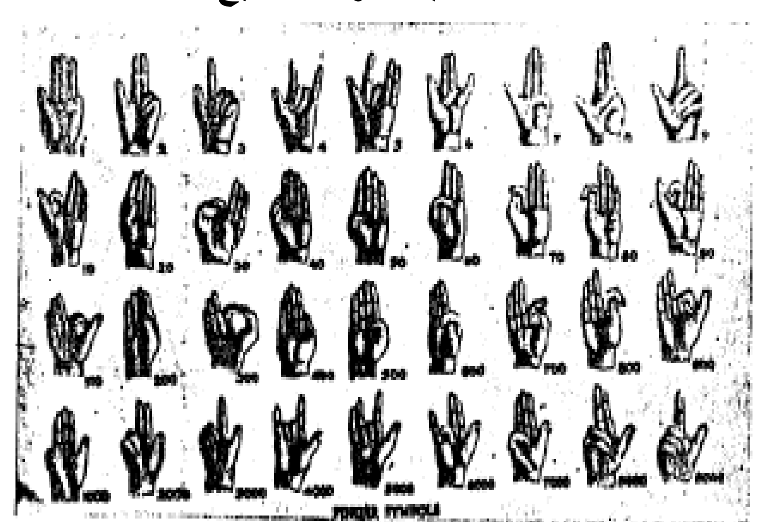
(٤) علي، جواد: المصدر السابق، ج ١٥، ص ١٣٨.

(٥) الأحمدين، أحمد: المرجع السابق، ص ٥٧-٥٨.

كذلك، وذكر أنه كان يُسمى الكاتب. وأشار أيضًا إلى غيلان بن سلمة بن معتب الثقفي، وهو من المخضرمين[١].

واستعمل أهل الجاهلية حساب عقود الأصابع[٢] في حسابهم، فوضعوا كلا منها بإزاء عدد مخصوص، ثم رتبوا لأوضاع الأصابع آحادًا وعشرات ومئات وألوفًا، ووضعوا قواعد يتعرف بها حساب الألوف فما فوقها بيد واحدة. والعدّ برسم خطوط، فيدل كل خط على عدد، ومجموع الخطوط هو المعدود. وانظر الشكل التالي[٣]

حساب عقود الأصابع



وممن كان يستورد الكتب القديمة وهب بن منبه من بلاد الشام. ووهب بن منبه وأخوه من الإسلاميين، ولكن استيرادهما للكتب لم يكن بدعًا واكتشافًا منهما، بل لا بد أنه كان قديمًا معروفًا

---

(١) ابن حبيب، محمد ت(٢٤٥هـ / ٨٥٩م) : المحبر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص ٤٧٥ .

(٢) اصطلح العرب على طريقة للدلالة على الأعداد دون تلفظ، مستخدمين في ذلك الأيدي والأصابع، وأطلقوا عليه حساب اليد، أو حساب العقود، أي عقود الأصابع، و انظر عبد التواب، رمضان: لوح الضبط في علم حساب القبط لابن المغربي، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، مج ٣٦، ج١، ص ١١٩ .

(٣) عبد التواب، رمضان: لوح الضبط في علم حساب القبط لابن المغربي، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج ٣٦، ج١، ص ١٢٨ .

عند الجاهليين. وكان عبد عمرو بن صيفي النعمان المعروف بأبي عامر الراهب في جملة من كان يناظر أهل الكتاب، ويتتبع الرهبان ويألفهم، ويكثر الشخوص إلى الشام[1].

والنضر بن الحارث بن كلدة الثقفي هو ابن خالة الرسول ﷺ، وكان ممن اشتغل بالطب، وخالط الأحبار والكهنة، واشتغل وحصل من العلوم القديمة واطلع على علوم الفلسفة وأجزاء الحكمة، وتعلم من أبيه ما كان يعلمه من الطب.[2]وفي روايةٍ يَرْجِعُ سَنَدُها إلى الكلبي ومقاتل، أن في حق النضر بن الحارث، نزلت الآية ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾[3]. فقد قيل: إنه كان يخرج تاجرًا إلى فارس، فيشتري أخبار الأعاجم فيرويها ويحدث بها قريشًا، ويقول لهم: إن محمدًا، يحدثكم بحديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الأكاسرة، فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن.

ووصف بأنه صاحب أحاديث ونظر في كتب الفرس وكان يحدث، ثم يقول: أينا أحسن حديثًا: أنا أم محمد؟ ويقول: إنما يأتيكم محمد بأساطير الأولين. وقيل: إنه كان يقول: إنما يعينه على ما يأتي به في كتابه هذا جبر، غلام الأسود بن المطلب، وعداس غلام شيبة بن ربيعة، ويقال: غلام عتبة ابن ربيعة، وغيرهما[4]. فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾[5]، وكذلك ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا * وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[6]. فسخروا علمهم لمحاربة رسول الله فكان مآلهم إلى بوار.

وهذه جملة أسماء ممن سبق واشتهر بالعلم في العصر الجاهلي:

م	الاسم	المكان	ما اشتهر به
١	المنذر بن الحارث	بادية الشام	القراءة

(١) علي، جواد: المرجع السابق ، ج ١٥، ص ٣٢٣.
(٢) علي، جواد: المرجع السابق، ج ١٦، ص ١٧.
(٣) لقمان : الآية ٦ .
(٤) علي، جواد: المرجع السابق، ج ١٦، ص ١٩.
(٥) النحل : الآية ١٠٣ .
(٦) الفرقان : الآية ٤-٥ .

٢	قصي بن كلاب	مكة	القراءة والكتابة
٣	رزاح بن ربيعة	قضاعة	القراءة
٤	لقيط بن يعمر الإيادي	الحيرة	القراءة والكتابة
٥	المرقش الأكبر	العراق	القراءة والكتابة
٦	سويد بن الصامت الأوسي	يثرب	القراءة
٧	بشر بن عبد الملك السكوني	دومة الجندل	معلم
٨	عبد كلال الحميري	حمير	القراءة والكتابة
٩	سفيان بن أمية بن عبد شمس	مكة	القراءة والكتابة
١٠	أبو قيس بن عبد مناف	مكة	معلم
١١	غيلان بن سلمة الثقفي	الطائف	معلم
١٢	عمرو بن زرارة	ديار مضر	معلم
١٣	مرامر بن مرة	طيء	القراءة والكتابة
١٤	أسلم بن سدرة	طيء	القراءة والكتابة
١٥	عامر بن جدرة	طيء	القراءة والكتابة
١٦	سعد بن زرارة	يثرب	القراءة والكتابة
١٧	المنذر بن عمرو	يثرب	القراءة والكتابة
١٨	أُبي بن كعب	يثرب	القراءة والكتابة
١٩	رافع بن مالك	يثرب	القراءة والكتابة
٢٠	أُسيد بن حُضير	يثرب	القراءة والكتابة
٢١	معن بن عدي البلوي	يثرب	القراءة والكتابة
٢٢	أبو عبس بن كثير	يثرب	القراءة والكتابة
٢٣	أوس بن خولي	يثرب	القراءة والكتابة
٢٤	بشير بن سعيد	يثرب	القراءة والكتابة
٢٥	سعد بن عُبادة	يثرب	القراءة والكتابة
٢٦	الربيع بن زياد العبسي	يثرب	القراءة والكتابة
٢٧	عبد الرحمن بن جبر	يثرب	القراءة والكتابة

٢٨	عبد الله بن أُبي	يثرب	القراءة والكتابة
٢٩	سعد بن الربيع	يثرب	القراءة والكتابة
٣٠	أنس بن مالك	يثرب	القراءة والكتابة
٣١	حرب بن أمية	مكة	القراءة والكتابة
٣٢	أسيد بن أبي العيص	مكة	القراءة والكتابة
٣٣	عبد المطلب بن هاشم	مكة	القراءة والكتابة
٣٤	حنظلة بن أبي سفيان	مكة	القراءة والكتابة
٣٥	أمية بن أبي الصلت	مكة	القراءة والكتابة
٣٦	عبد الله بن سعيد بن العاص	مكة	القراءة والكتابة
٣٧	عدي بن زيد العبادي	الحيرة	القراءة والكتابة
٣٨	الحارث بن كلدة الثقفي	الطائف	الطب
٣٩	والنضر بن الحارث	مكة	الطب
٤٠	ضماد بن ثعلبة الأزدي	اليمن	الطب
٤١	رفيدة الأسلمية	يثرب	الطب
٤٢	الشفاء بنت عبد الله	مكة	القراءة والكتابة
٤٣	جبر غلام الأسود بن المطلب	مكة	القراءة والكتابة
٤٤	عداس غلام شيبة بن ربيعة	مكة	القراءة والكتابة

ويتضح مما سبق أن العرب في الجاهلية كان لهم نصيب من العلم في فروع المعرفة، ولم يكونوا جاهلين بها، وكان منهم من يقرأ ويكتب، ونظرا لعلاقات العرب ببلاد العراق والشام والرحلات القائمة ما بين أطراف الجزير العربية، جعل عرب الجزيرة مطلعين على أوجه الحضارات المختلفة في البلاد المحيطة بهم، مما جعلهم يتأثرون ويقتبسون من علومهم ومعارفهم.

المبحث الثاني: التعليم في عهد المصطفى ﷺ

من المناسب قبل الحديث عن التعليم في عهد المصطفى ﷺ والوسائل التي اتبعها في تعليم أصحابه، الإشارة إلى بعض الخصائص الخلقية الواردة على لسان صحابته الكرام وأمهات المؤمنين ليتسنى للمعلم التأسي بها، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[١]، فمن هذه الأخلاق: أن خلقه (عليه الصلاة والسلام) القرآن، وكان جوادا[٢]، ومن أفصح الخلق نطقاً[٣]، فقد أوتي (عليه الصلاة والسلام) فواتح الكلم وخواتمه[٤]، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما لعن رسول الله ﷺ مسلما، و لا ضرب بيده شيئا قط إلا أن يضرب بها في سبيل الله، ولا سئل عن شيء قط فمنعه إلا أن يسأل مأثما كان أبعد منه، ولا انتقم لنفسه من شيء قط يؤتى إليه إلا تنتهك حرمات الله فيكون لله ينتقم، ولا خير بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما، وكان إذا أحدث العهد بجبريل يدارسه، كان أجود الناس بالخير من الريح المرسلة.[٥]

وكان يكثر الذكر ويقل اللغو ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة ولا يستنكف أن يمشي مع العبد والأرملة حتى يفرغ لهم من حاجتهم.[٦] بهذه الأخلاق أرسى المصطفى ﷺ قواعد التربية والتعليم وبهذه السجايا رسم (عليه الصلاة والسلام) المعالم الكبرى لأخلاقيات التعليم، فكانت مخرجات تلك المبادئ خير أمة أخرجت للناس، والتي سطرت أروع الصفحات الحضارية في مختلف المجالات وعلى رأسها التربية والتعليم.

---

(١) الأحزاب : الآية ٢١ .

(٢) البخاري: المصدر السابق كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام، ج١، ص ٥، ر ٦ .

(٣) المصدر السابق نفسه، كتاب التعبير، باب المفاتيح في اليد، ج٨، ص ٩٧، ر ٧٠١٣.

(٤) ابن حبان، محمد بن حبان ت (٣٥٤هـ/ ٩٦٥م): صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م ، ج ١٤، ص ٣١١، ر ٦٤٠٢.

(٥) الحاكم، محمد بن عبدالله ت(٤٠٥هـ/ ١٠١٤م): المستدرك على الصحيحين، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، كتاب آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم التي هي دلائل النبوة، ج٣، ص ٢١٤، ر ٤٢٧٦.

(٦) المصدر السابق نفسه، ج٢، ص ٢١٥، ر ٤٢٧٨.

لقد نقل المصطفى ﷺ الأمة العربية من أمة تعيش على هامش التاريخ إلى أمة صانعة للتاريخ، أمة تعلم الناس مبادئ العلوم والأخلاق والقيم السامية، فما أنجزه المصطفى ﷺ خلال ثلاث وعشرين سنة يفوق كل التوقعات، بحيث غدت هذه الحقبة الأساس واللبنة الأولى التي ارتكز عليها المسلمون واستضاءت بنورها النهضة العلمية الإسلامية.

ويوضح لنا عبد الرحمن بن خلدون في مقدمته المشهورة بأن التعليم في عهد المصطفى ﷺ كان موجها لخدمة الدين فقال: إن التعليم في صدر الإسلام يعتبر نقلا لما سمع من الشارع وتعليما لما جهل من الدين على جهة البلاغ، فكان أهل الأنساب والعصبية هم الذين يُعلِّمونَ كتاب الله وسنة نبيه ﷺ على معنى التبليغ الخبري لا على وجه التعليم الصناعي[1]. فالمقصد هو الدعوة والتعليم دونما طلب الأجر أو التفكير من منظور دنيوي، فالنبي (عليه الصلاة والسلام) قد اتخذ التدابير للبلاغ وتربية الأتباع تربية إسلامية صحيحة، ونبذ كل ما يخالف التعاليم الربانية.

وإن المتأمل لأحاديث المصطفى ﷺ يلاحظ العديد من الأحاديث التي تدعو للعلم والتي تعظم أجر طالب العلم والمعلم على حد سواء، ومن أبرز تلك الأحاديث حديث أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: (مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به)[2].

وقال (عليه الصلاة والسلام) : (يحمل هذا العلم من كل خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفونَ عنْهُ تحريفَ الغالينَ وانتحالَ المبطلينَ وتأويل الجاهلين)[3]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (من سلك طريقا فيه يتلمس علما، سهل الله له طريقا إلى الجنة)[4].

---

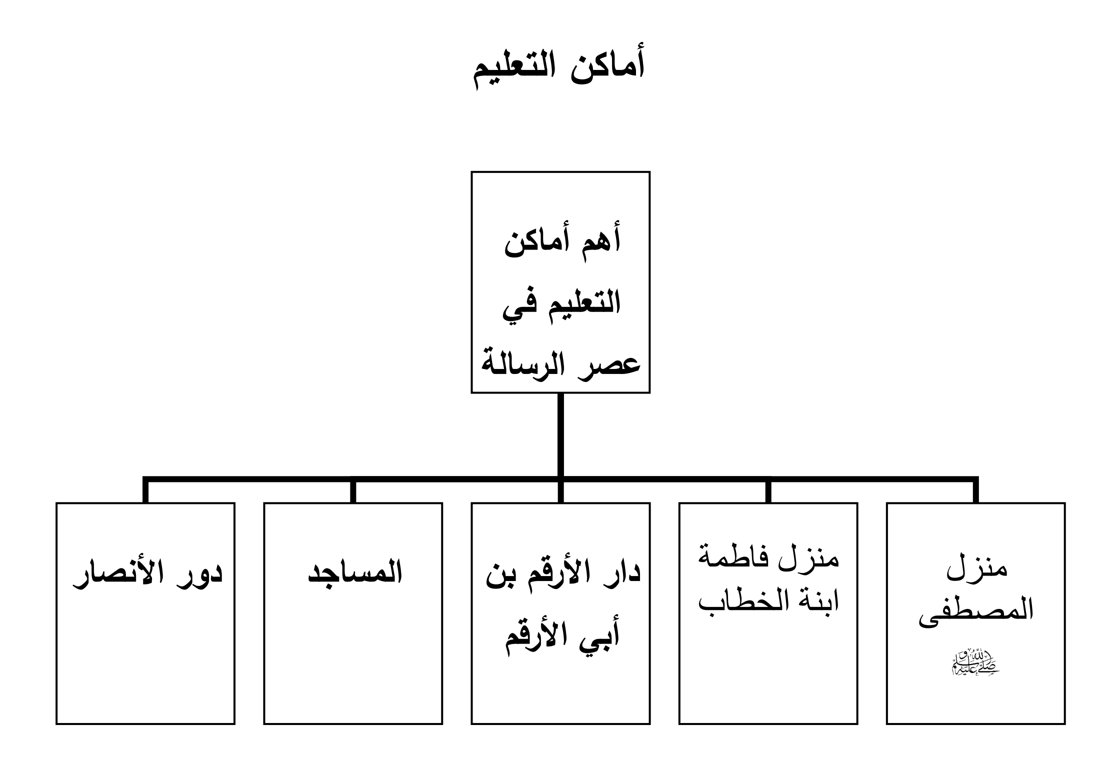
(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ت(٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) : مقدمة ابن خلدون، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص ٣٥.

(٢) البخاري: المصدر السابق كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، ج١، ص ٣٢، ر ٧٩ .

(٣) البرهان فوري، علي بن حسام الدين المتقي الهندي ت (٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م): كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ج١٠، ص ١٧٦، ر ٢٨٩١٨.

(٤) الحاكم: المصدر السابق، ج١، ص ١٨٩، ر ٣٠٣ .

أماكن التعليم



أولا: دار الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه

إن دار الأرقم بن أبي الأرقم رضي الله عنه[1] كان مقر اجتماع النبي ﷺ وأصحابه للمدارسة والتعليم، وهذه الدار بمثابة أول مركز للتدريس والمدارسة لكتاب الله رجالا ونساءا،[2] وكان (عليه الصلاة والسلام) يقرأ ما يتنزل عليه على الرجال ومن ثم على النساء،[3] وهذه الدار كانت محط أنظار الراغبين في الإسلام والطالبين لمنازل الآخرة فمنهم عمار بن ياسر رضي الله عنه[4] الذي يحكي كيفية

---

(١) الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، شهد بدرا، ت (٥٣هـ/ ٦٧٣م)، وهو ابن خمس وثمانين سنة، ودفن بالبقيع، وهو الذي استخفى النبي عليه الصلاة والسلام في داره بمكة أسفل الصفا، انظر أبو نعيم الأصبهاني: معرفة الصحابة ، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م،ج ١، ص ٣٢٢.

(٢) السهيلي، عبد الرحمن ت(٥٨١هـ/ ١١٨٥م) : الروض الأنف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١،د.ت، ج٢، ص ١٢١.

(٣) ابن اسحاق، محمد ت(١٥١هـ/ ٧٦٨م) : سيرة ابن اسحاق، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، فاس، المغرب، ط١، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، ص ١٢٨، ر ١٩٢.

(٤) عمار بن ياسر حليف بني مخزوم، من السابقين، ذو الهجرتين، أمه سمية، وكانت أول شهيدة في الإسلام، شهد بدرا والمشاهد كلها، قتل يوم صفين (٣٧هـ/ ٦٥٧م)، وهو ابن نيف وتسعين سنة . انظر أبو نعيم الأصبهاني: معرفة الصحابة ، ج ٤، ص ٢٠٧٠.

إسلامه فيقول: لقيت صهيب بن سنان رضي الله عنه [1] على باب دار الأرقم ورسول الله ﷺ فيها فقلت: أردت أن أدخل على محمد وأسمع كلامه. فقال: وأنا أريد ذلك. فدخلنا عليه فعرض علينا الإسلام فأسلمنا. [2] وإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان في هذه الدار. بل وكانت المدارسة حتى في بيوت من أسلم ويتجلى ذلك من فعل فاطمة بنت الخطاب رضي الله عنها [3] أخت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وموقفها الصارم في عرض إسلامها وتحديها لأخيها، وقد كان خباب بن الأرت رضي الله عنه [4] يُقرِأُ سعيد بن زيد رضي الله عنه [5] وزوجته فاطمة، أي أن التعليم كان قائما من قبل الصحابة بعضهم لبعض [6].

مواسم الحج وزيارة القبائل للبيت العتيق كان له أبلغ الأثر في معرفة الدين الإسلامي، فانتشر خبر النبي ﷺ بين القبائل العربية وقدم من قدم ليستمع ويتعلم مما علمه الله ﷻ، فمنهم عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه [7] الذي قال: رغبت عن آلهة قومي في الجاهلية ورأيت أنها الباطل يعبدون الحجارة فلقيت رجلا من أهل الكتاب من أهل تيماء فسألته عن أفضل الدين؟ فقال: يخرج رجل من مكة ويرغب عن آلهة قومه ويدعو إلى غيرها وهو يأتي بأفضل الدين، فإذا سمعت به فاتبعه. فلما سمع بالرسول ﷺ أتاه فوجده مستخفيا فقال عمرو: ما أنت؟ قال: نبي. قلت: وما النبي؟ قال: رسول. قلت: ومن أرسلك؟ قال: الله. قلت: بماذا أرسلك؟ قال: أن توصل الأرحام، وتحقن الدماء، وتؤمن السبل، وتكسر الأوثان، وتعبد الله لا تشرك به شيئا. [8] وحادثة إسلام أبا ذر

---

(١) صهيب بن سنان بن مالك، سبته الروم من الموصل صغيرا، شهد بدرا، هو من السابقين المهاجرين، افتدى نفسه من المشركين بماله، توفي بالمدينة (٣٨هـ/ ٦٥٨م) فدفن بالبقيع، وهو ابن سبعين، انظر أبو نعيم الأصبهاني: معرفة الصحابة ، ج ٣، ص ١٤٩٦.

(٢) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، المصدر السابق، ج٤، ص ١٤٠.

(٣) فاطمة بنت الخطاب بن نفيل أخت عمر، تكنى أم جميل، كانت تحت سعيد بن زيد، وأسلمت قبل عمر، انظر أبو نعيم الأصبهاني: معرفة الصحابة ، ج ٦، ص ٣٤١٠.

(٤) خباب بن الأرت بدري مهاجري، سادس الإسلام، وكان من المعذبين في الله، توفي منصرف علي من صفين إلى الكوفة سنة (٣٧هـ/ ٦٥٧م) . انظر أبو نعيم الأصبهاني: معرفة الصحابة ، ج ٢، ص ٩٠٦.

(٥) سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، مهاجري، بدري، وكانت أخت عمر بن الخطاب تحته، توفي بالعقيق، ودفن بها، انظر أبو نعيم الأصبهاني: معرفة الصحابة ، ج ١، ص ١٤٠.

(٦) السهيلي: المصدر السابق، ج٢، ص ١٢١.

(٧) عمرو بن عبسة السلمي أبو نجيح، كان يقول: أنا رابع الإسلام، رجع بعد إسلامه إلى أرض قومه بني سليم مقيما، حتى مضى بدر وأحد والخندق، ثم قدم المدينة فنزلها، انظر أبو نعيم الأصبهاني: معرفة الصحابة ، ج ٤، ص ١٩٨٢.

(٨) ابن سعد، محمد ت(٢٣٠هـ / ٨٤٤م) : الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ط١، ج٤، ص ٢١٧.

ليست بخافية وكان سببا في إسلام نصف قومه، وبعد هجرة الرسول ﷺ للمدينة أسلم النصف الآخر.[1]

وقد كان (عليه الصلاة والسلام) ينتهز فرصة المواسم واجتماع القبائل في مكة فيعرض عليهم الإسلام والتعاليم الإسلامية وكان من السابقين للدعوة أفراد من أهل يثرب وفي السنة الثانية عشرة من البعثة، بعث رسول الله ﷺ مصعب بن عمير[2] ﷺ ليقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين، فكان يسمى مقرئ المدينة وكان منزله على أسعد بن زرارة ﷺ. وعندما بلغوا الأربعين شخصا أمهم مصعب بن عمير فقد كتب إليه الرسول ﷺ ليجمع بهم.[3] ويلاحظ أن دار أسعد بن زرارة كانت مقر إقامة مصعب بن عمير، ولا يستبعد أن تكون هي نفسها مكان المدارسة لكتاب الله ﷻ والتفقه في دينه، ولما زاد العدد أمرهم الرسول ﷺ أن يجمع بهم. فمتابعته (عليه الصلاة والسلام) لتطورات الدعوة؛ قائمة مستمرة حتى يسر الله تبارك وتعالى له الهجرة.

ثانيا: المساجد

وبعد انتقال الرسول ﷺ إلى المدينة وتأسيسه مسجد قباء ببني عمرو بن عوف[4] والمسجد النبوي الشريف، أصبحا منارا للعلم وحلقا لا تفتر من التعليم ليل نهار، ومن تلك المساجد التي أسسها (عليه الصلاة والسلام)، مسجد الجمعة في بني سالم بن عوف ويسمى أيضا في رواية أخرى بمسجد عاتكة، ومسجد عتبان بن مالك الذي سأل رسول الله ﷺ أن يصلي في بيته في مكان يتخذه مسجدا ففعل ﷺ، ومسجد الفضيخ، ومسجد بني قريظة قرب حرتهم، ومسجد مشربة أم إبراهيم ابن النبي ﷺ، ومسجد بني ظفر من الأوس شرقي البقيع بطرف الحرة الغربية. ومسجد الإجابة لبني معاوية بن مالك بن عوف من الأوس، ومسجد الفتح،

---

(١) المصدر السابق نفسه، ج٤، ص ٢١٩.

(٢) مصعب بن عمير القرشي من بني عبد الدار بن قصي، من المهاجرين الأولين، شهد بدرا، واستشهد يوم أحد، بعثه النبي عليه الصلاة والسلام إلى المدينة ليعلمهم القرآن، ويدعوهم إلى توحيد الله ودينه، انظر أبو نعيم الأصبهاني: معرفة الصحابة ، ج ٥، ص ٢٥٥٦.

(٣) أحمد، مهدي رزق الله: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ٢٤٧.

(٤) السمهودي، علي بن أحمد ت (٩١١هـ / ١٥٠٦م) : خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى،مطابع الجامعة، جدة، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٣٣٢ .

ومسجد القبلتين، ومسجد السقيا، ومسجد بني جديلة وهو مسجد أبي بن كعب، و مسجد بني حرام، ومسجد الخربة لبني عبيد من بني سلمة، ومسجد جهينة وبلى، ومسجد بيوت المطر في منازل بني غفار، ومسجد بني زريق من الخزرج، ومسجد بني ساعدة، وغيرها العديد.

وعند النظر إلى الأماكن التي صلى فيها رسول الله واتخذت مساجدا نجد أنها تربو على الأربعين مسجدا في المدينة فقط وذلك إبان حياته ﷺ[١]، وذلك مراعاة للمسافة بين سكان المدينة وبين مسجده (عليه الصلاة والسلام) وتيسيرا على المؤمنين، ورفع الحرج عنهم. أما الرأي القائل بأن المساجد قد بلغت التسعة في حياته ﷺ فقد جانب صاحبها الصواب [٢].

وعن محمد بن فضالة الظفريّ رضي الله عنه وكان ممن صحب النبيّ ﷺ، أن رسول الله ﷺ أتاهم في مسجد بني ظفر ومعه عبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما وأناس من أصحابه فأمر النبيّ ﷺ قارئا فقرأ حتى أتى على هذه الآية: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ فبكى رسول الله ﷺ[٣]، وهو دليل على زيارته لمساجد القوم وتعهدهم وتعليمهم أمور دينهم من القرآن الكريم والشرع الحنيف.

وقد ارتبط تاريخ التعليم بالمسجد ارتباطا وثيقا وليكون مركزا للتعليم والتوجيه عبر مجالس العلم، وكان النبي ﷺ يجمع الناس في المسجد في كل فرصة تسنح له، وأحيانا يكون الجمع عاما رجالا ونساءا، كما حدث في خبر تميم الداري[٤] مع الجساسة والمسيح الدجال[٥]، وحديث الراعي مع الذئب[٦].

---

(١) المصدر السابق نفسه، انظر من ص ٣٢٦- ٣٦٥ .

(٢) أبيض، ملكة : التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ٢٢٣ نقلا من (Perdersen, par: Masdjid, art, Vol III, PP 362- 428).

(٣) السمهودي، المصدر السابق ، ص ٣٤٣ .

(٤) تميم بن أوس الداري، حدث عنه الرسول عليه الصلاة والسلام قصة الجساسة، كان راهب الأمة في عصره، وواعظهم في وقته، وعابد أهل فلسطين، انظر أبو نعيم الأصبهاني: معرفة الصحابة ، ج ١، ص ٤٤٨.

(٥) النيسابوري، مسلم بن الحجاج ت(٢٦١هـ/ ٨٧٥م): صحيح مسلم، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ج٩، ص ٣٠٤، ر ٢٩٤٩.

(٦) ابن حبان، المصدر السابق، ج ١٤، ص ٤١٨، ر ٦٤٩٤.

ومن المساجد التي أنشئت خارج المدينة المنورة وأصبحت نبراسا للعلم:

١- جامع صنعاء

أمر النبي ﷺببنائه في صنعاء[1]، وهو من أقدم مساجد اليمن، وكان بناؤه على يد رسله الذين أرسلهم إلى اليمن مثل وبر بن يحنس الخزاعي وجرير بن عبد الله البجلي وأبان بن سعيد والمهاجر بن أمية رضي الله عنهم، وكان ذلك على أرجح الأقوال في السنة (٩هـ/ ٦٣٠م)، وقد توالى البناء والتجديد والترميم لجامع صنعاء من قبل الأمراء وبأوامر السلاطين والخلفاء المتعاقبين على اليمن، وفي الجامع خزانة كتب تضم العديد من المخطوطات والكتب النادرة[2].

٢- جامع الأشاعرة

وهو أول مسجد أسس في الإسلام بوادي زبيد على يد الصحابي الجليل موسى الأشعري رضي الله عنه في السنة (٩هـ/ ٦٣٠م)، عندما بعثه الرسول ﷺ مع معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن لنشر الدعوة الإسلامية، وأصبح للمسجد خزانة للكتب كما كانت تدرس فيه جميع أنواع العلوم من الفقه والحديث والتفسير والأصول والنحو واللغة والفرائض والحساب[3].

٣-جامع الجَنَد

وهو مسجد مشهور بناه الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه سنة (٩هـ/ ٦٣٠م) بوصية من الرسول ﷺ عندما أرسله مع أبي موسى الأشعري رضي الله عنه لدعوة اليمنيين للإسلام، وزيد في الجامع وحسنت عمارته من قبل بعض الولاة على الجَنَد[4]، وكان مليئا بالطلاب من مختلف

---

(١) كان اسم صنعاء في القديم أزال، فلما وافتها الحبشة وجدوها مبنية بالحجارة حصينة فقالوا: هذه صنعة. ومعناه حصينة فسميت صنعاء، وصنعاء قصبة اليمن وأحسن بلادها، انظر الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص ٤٢٦ .

(٢) الحدابي، داود عبد الملك : الإدارة التربوية العربية الإسلامية، موسوعة الإدارة العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، جامعة الدول العربية، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، مج٤، ص ١٢٦ .

(٣) الحدابي: المرجع السابق، مج٤، ص ١٢٦.

(٤) الجند بالتحريك، في اليمن وهي أعظم مخاليفها والجند مسماة بجند بن شهران بطن من المعافر وبين الجند وصنعاء ثمانية وخمسون فرسخا، انظر الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص ١٦٩.

الأصقاع، وكانت حلق العلم تعقد فيه بالليل والنهار وخاصة في القرون الثلاثة الأولى، وكانت تعقد فيه المناظرات العلمية[١].

فالمساجد كانت من أهم مراكز التعليم والتعلم التي درس فيها المصطفى ﷺ [٢]، وكان نظام الحلقات العلمية هو نظام الدراسة بالمساجد، وكان هذا النظام تقليديا ظلت الأجيال تتوارثه منذ أن جلس الرسول ﷺ بالمسجد معلما[٣]. حيث كانت تلك الحلقات تمتاز بالإنضباط والهدوء والحرص على حسن الاستماع فكان إذا تحدث المصطفى ﷺ كأن على رؤوس طلبة العلم الطير[٤].

ثالثا: دور الأنصار

ومن الأماكن المخصصة للتعليم دور الأنصار ويتضح ذلك جليا في جوانب من السيرة النبوية المشرفة، ومنها قِسمة النبي ﷺ لأسرى بدر فيما بين الأنصار[٥]والأمر بالإحسان إليهم وقد كان من أمرهم وأمر الفداء أن يعلم الأسير عشرة من أبناء المدينة؛ فإذا حذقوا فهو إعلام بتخلية سبيله[٦]، ومن طريف ما وقع فيما بين المعلم والمتعلم وولي أمره أن جاء أحد غلمان الأنصار لأبيه وهو يبكي فسأله: ما شأنك؟ قال: ضربني معلمي. فرد أبوه قائلا: الخبيث يطلب بذحل[٧] بدر، والله لا تأتيه أبدا[٨]. وكان عبادة بن الصامت[١] يعلم ناسا من أهل الصفة الكتابة والقرآن[٢]، وأهل الصفة هم أضياف الإسلام لا يأوون على أهل و لا مال[٣] وكان مقيلهم في المسجد.

---

(١) الحدابي: المرجع السابق، مج٤، ص ١٢٧ .

(٢) علي، سعيد اسماعيل: معاهد التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٢١٦.

(٣) المرجع السابق نفسه، ص ٢٢٤.

(٤) البرهان فوري: المصدر السابق، ج٧، ص ١٦٧، ر ١٨٥٣٦.

(٥) المباركفوري، صفي الرحمن: الرحيق المختوم، أولي النهى للإنتاج الإعلامي، الرياض، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ٢٣٥.

(٦) المرجع السابق نفسه، ص ٢٣٧.

(٧) الذحل : الثأر. وانظر ابن منظور: لسان العرب، ج١١، ص ٢٥٦.

(٨) ابن حنبل، أحمد ت (٢٤١هـ/ ٨٥٥م): مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ج٤، ص ٩٢، ر ٢٢١٦.

وحينما قدم عمير بن وهب الجمحي ﷺ لإطلاق ابنه من الأسر وأعلن إسلامه أمام الرسول ﷺ، أمر (عليه الصلاة والسلام) أصحابه أن يفقهوه في الدين وأن يقرئوه القرآن، بل وأن يطلقوا ابنه دونما مقابل.[٤] فأماكن التعليم تنوعت بحسب الإمكانات المتاحة من المسجد وبيوت الأنصار أو منازل سادات الأنصار.

---

(١) عبادة بن الصامت بن قيس خزرجي، عقبي، شهد المشاهد، استعمله النبي عليه الصلاة والسلام على بعض الصدقات، وتوفي ببيت المقدس، وقيل: بالرملة (٣٤هـ/ ٦٥٥م)، وهو ابن اثنين وسبعين سنة، انظر أبو نعيم الأصبهاني: معرفة الصحابة ، ج ٤، ص ١٩١٩.

(٢) الكتاني، محمد عبد الحي ت(١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م): نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط٢، د.ت، ج١، ص ١٠٨.

(٣) الترمذي، محمد بن عيسى ت(٢٠٩هـ/ ٨٢٤م): جامع الترمذي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص ٤٠٤، ر ٢٤٧٧.

(٤) ابن سيد الناس، محمد بن عبد الله ت(٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م): عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير، مؤسسة عز الدين للطباعة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ج١، ص ٣٥٣.

أساليب النبي ﷺ في التعليم

إن للوحي الإلهي أثر في مسلك النبي ﷺ وطريقته في التعليم سواءا كان الوحي القرآني أو الحكمة المتمثلة في السنة النبوية المشرفة، فقد كان (عليه الصلاة والسلام) يواجه المشكلات التي يثيرها خصومه من المشركين وأهل الكتاب، وكلما أثاروا شبهة أو راموا جدالا ومعارضة، نزل القرآن الكريم بالقول الفصل والحق الواضح الذي لا لبس فيه[١].

ولا شك أن النبي ﷺ اعتمد على الوحي في طريقة تعليم أصحابه، واستخدم كل الوسائل والأساليب المتاحة في عصره ووظفها لصالح التعليم، فقد استخدم (عليه الصلاة والسلام) أساليب متعددة في إيصال المعلومة وتوضيحها للمتلقي أخذا بعين الاعتبار طبيعة وحال المتلقي، فكان على سبيل المثال يستخدم أسلوب الوعظ والنصح والإرشاد تارة، وتارة يضرب الأمثال، لتقريب الصورة لذهن السامع، وتارة يستخدم طرح السؤال والاستفهام، ورسم المخططات على الأرض، والمقايسة والمفاضلة بين الصواب والخطأ، إلى جانب أسلوب الحوار والقصة.

ومن أساليبه عليه أفضل الصلاة والسلام الآنفة الذكر الإشارة بالأصابع حيث ورد في أحاديث أنه (عليه الصلاة والسلام) استخدم أصابعه عند تعليمه الصحابة وهذا الأسلوب في الناحية التربوية يزيد من وضوح المعنى ويرسخ الفكرة فعند مقارنته (عليه الصلاة والسلام) بين الدنيا والآخرة أشار بإصبعه قال: (والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثلُ ما يجعلُ أحدكم إصبعه هذه في اليم فلينظر بم ترجع)[٢]. وعن أنس بن مالك[٣] رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو، وضم أصابعه)[٤]. فالإشارة باليد أو بالإصبع أشد ترسيخا للفكرة إذ اشتراك عدة حواس في إيصال الفكرة تكون أبقى للمتعلم وأبلغ في إفهام المتعلمين. وبعبارة أخرى استخدم المصطفى ﷺ الأصابع كوسيلة إيضاح للشرح والتوضيح.

---

(١) ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر ت(٧٥١هـ / ١٣٥٠م): إرشاد القرآن والسنة إلى طريق المناظرة وتصحيحها، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص ٥٨.

(٢) النيسابوري، مسلم بن الحجاج: المصدر السابق، ج٩، ص ٢٠٩، ر ٢٨٥٨.

(٣) أنس بن مالك من بني النجار، خدم رسول الله عليه الصلاة والسلام عشرا، عاش مائة سنة وسنتين، وكان يسمى خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفي سنة (٩٣هـ/ ٧١٢م)، آخر من توفي بالبصرة من الصحابة، انظر أبو نعيم الأصبهاني: معرفة الصحابة ، ج ١، ص ٢٣١.

(٤) النيسابوري، مسلم بن الحجاج: المصدر السابق، ج٨، ص ٤٢٨، ر ٢٦٣١.

وقد يستخدم أحيانًا أصابع المتعلم لتوضيح المعنى المراد، كما في حديث أبي هريرة[1] ﷺ إذ يقول: قال رسول الله ﷺ: (من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يُعلِّم من يعمل بهن)؟ فقال أبو هريرة: فقلت: أنا يا رسول الله. فأخذ بيدي، فعد خمسًا وقال: (اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلمًا، ولا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت، القلب)[2].

ومن وسائل الإيضاح الأخرى التي استخدمها (عليه الصلاة والسلام) الحصى، حيث وظفه النبي ﷺ في تعليم صحابته، فعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ أخذ ثلاث حصيات، فوضع واحدة، ثم وضع أخرى بين يديه، ورمى بالثالثة، فقال: هذا ابن آدم، وهذا أجله، وذاك أمله (التي رمي بها)[3]. كما استخدم الرسول المعلم ﷺ التخطيط كوسيلة من وسائل الإيضاح لتوضيح بعض المعاني المجردة، فعن ابن عباس ﷺ[4] قال: خط رسول الله في الأرض أربعة خطوط، قال: (تدرون ما هذا؟) فقالوا: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله ﷺ: (أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مزاحم –امرأة فرعون – ومريم ابنة عمران)[5]. كما استعمل نفس الوسيلة في إبراز معنى آخر وهو الأجل والأمل لبني آدم[6]، والطريق المستقيم الواضح في مقابل الطرق المتشعبة الضالة[7].

وهناك بعض الطرق العملية التي قام بها الرسول ﷺ في التعليم العملي للصحابة الكرام مثل البيان العملي للوضوء أمام الصحابة[8]، وكذلك أداؤه الصلاة على المنبر[9]، وكقوله وهو

---

(١) أبو هريرة الدوسي اختلف في اسمه فقيل عبد الله أو عبد الرحمن. لزم النبي عليه الصلاة والسلام ثلاث سنين، كان من أروى الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحفظهم . توفي سنة (٥٩هـ/ ٦٧٩م)، انظر أبو نعيم الأصبهاني: معرفة الصحابة ، ج ٤، ص ١٨٨٥.

(٢) الترمذي: المصدر السابق، ص ٣٨١، ر ٢٣٠٥. قال الترمذي: هذا حديث غريب.

(٣) ابن حنبل: المصدر السابق، ج ٢١، ص ٣٠٩، ر ١٣٧٩٥.

(٤) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، يسمى الحبر والبحر، دعا له النبي عليه الصلاة والسلام بالفقه في الدين، وعلم التأويل. مولده قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفي بالطائف سنة (٦٨هـ/ ٦٨٧م)، انظر أبو نعيم الأصبهاني: معرفة الصحابة ، ج ٣، ص ٦٩٨.

(٥) ابن حنبل، المصدر السابق ، ج ٤، ص ٤٠٩، ر ٢٦٦٨.

(٦) البخاري: المصدر السابق كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله، ج٧، ص ٢١٩، ر ٦٤١٧ .

(٧) ابن حنبل: المصدر السابق، ج٧، ص ٤٣٦، ر ٤٤٣٧.

(٨) المصدر السابق نفسه، ج ١، ص ٤٨٠، ر ٤٢١ .

(٩) النيسابوري، مسلم بن الحجاج: المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٧، ر ٥٤٤.

يؤدي مناسك الحج: (لتأخذوا مناسككم)[1]. وبين لجمع من قريش أنهم ولاة هذا الأمر ما لم يعصوا الله تعالى وإلا سلط عليهم من ينازعهم، فقد قال (عليه الصلاة والسلام): (أما بعد يا معشر قريش فإنكم أهل هذا الأمر ما لم تعصوا الله تعالى، فإذا عصيتموه بعث إليكم من يلحاكم كما يلحى هذا القضيب، لقضيب في يده، ثم لحا قضيبه فإذا هو أبيض يَصْلِد)[2].

ولضرب الأمثال نصيب من التعليم، ومن أمثلة ذلك عرضُ وصفٍ يبين مدى الفارق بين اليهود والنصارى من ناحية، والمسلمين من ناحية أخرى في أجل هذه الأمة وعظيم مكانتها عند الله ﷻ[3]، وكقوله (عليه الصلاة والسلام): (مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وكمله، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال: فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين) صلوات الله عليهم أجمعين[4]. فالنبي (عليه الصلاة والسلام) استخدم كل ما هو متاح لبلوغ الهدف المنشود، وبما يفضي إلى إبقاء أثر التعلم في نفس الحاضرين، وجذب انتباه المتعلمين.

وقد أشار النبي ﷺ لمن يعجبه الحديث ولا يحفظه، بقوله: (استعن بيمينك وأومأ بيده للخط)[5]. كما أذن لعبد الله بن عمرو بن العاص[6] ﷺ بالكتابة عنه وإن كان في حالة الغضب حيث أومأ بإصبعه إلى فيه وقال: (اكتب، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق)[7].

---

(١) المصدر السابق نفسه، ج ٥، ص ٥٢، ر ١٢٩٧.

(٢) ابن حنبل: المصدر السابق، ج ٧، ص ٣٨٨، ر ٤٣٨٠ .

(٣) البخاري: المصدر السابق كتاب الإجارة، باب افجارة إلى نصف النهار، ج ٣، ص ٦٨، ر ٢٢٦٨ .

(٤) ابن حبان، المصدر السابق، ج ١٤، ص ٣١٥، ر ٦٤٠٥.

(٥) الترمذي: المصدر السابق، ص ٤٣٠، ر ٢٦٦٦. قال الترمذي: إسناده ليس بذلك القائم.

(٦) عبد الله بن عمرو بن العاص، أسلم قبل أبيه واستأذن النبي عليه الصلاة والسلام في الكتابة عنه فأذن له، توفي سنة (٦٣ أو ٦٥هـ / ٦٨٢أو ٦٨٤م)،في بمكة، وقيل: بالطائف، وقيل: بمصر، انظر أبو نعيم الأصبهاني: معرفة الصحابة ، ج ٣، ص ١٧١٨.

(٧) أبو داود، سليمان بن الأشعث ت (٢٧٥هـ/ ٨٨٨م): سنن أبي داود، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م ، ص ٤٠٣، ر ٣٦٤٦.

وقد كان النبي ﷺ يتعاهد أصحابه فيما يتعلمون وبالأخص قراءة القرآن وحفظه، فعن أبي موسى الأشعري[١] ﷺ أنه قال: استمع رسول الله ﷺ قراءتي من الليل فلما أصبحت قال: (يا أبا موسى استمعت قراءتك الليلة، لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود)[٢]. وخروجه (عليه الصلاة والسلام) على الصحابة وقوله: (الحمد لله، كتاب الله واحد، وفيكم الأحمر وفيكم الأسود، اقرؤوه قبل أن يقرأه أقوام يقومونه كما يقوم ألسنتهم، يتعجل [أحدهم] أجره ولا يتأجله) [٣]، وكذلك طلبه من عبد الله بن مسعود[٤] ﷺ القراءة بين يديه[٥]، بل وامتدح من صحابته بقوله: (وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل)[٦]. وكان (عليه الصلاة والسلام) يحب أن يليه المهاجرون والأنصار ليحفظوا عنه[٧] ويبلغوا من يليهم من الناس. حيث قال رسول الله ﷺ: (تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم)[٨].

وكان (عليه الصلاة والسلام) حليما يتقبل الأسئلة حتى ولو صدرت بطريقة فجة من قبل بعض الأعراب، مثل قول بعضهم: يا ابن عبد المطلب فكان (عليه الصلاة والسلام) يقابل هذا الجفاء بكل سماحة ورفق، وكان يقبل على السائل ويقول له: (سل ما بدا لك)[٩]. وكان يسأل الصحابة تبعا لطبيعة المواقف التعليمية فمنها (أتدرون أي يوم هذا؟)[١٠]. (هل تدرون مما أضحك؟)[١١]. (أتدرون من المفلس؟)[١]. ولم يعنف المستهزئ بالأذان كأبي محذورة ﷺ عند مقفله

(١) عبد الله بن قيس أبو موسى الأشعري أسلم بمكة، وهاجر إلى الحبشة، بعثه النبي عليه الصلاة والسلام مع معاذ بن جبل على اليمن، توفي سنة (٥٢هـ/ ٦٧٢م)، ودفن بمكة، وقيل: ٤٤هـ/ ٦٦٤م، ودفن بالتوبة من الكوفة على ميلين، انظر أبو نعيم الأصبهاني: معرفة الصحابة ، ج ٤، ص ١٧٤٩.

(٢) ابن حبان: المصدر السابق، ج ١٦، ص ١٦٩، ر ٧١٩٧.

(٣) المصدر السابق نفسه، ج ٣، ص ٣٦، ر ٧٦٠.

(٤) عبد الله بن مسعود، شهد بدرا والمشاهد كلها، سادس الإسلام، وهو أول من أفشى القرآن بمكة، توفي في المدينة سنة (٣٢هـ/ ٦٥٢م)، ودفن بالبقيع وهو ابن بضع وستين سنة. انظر أبو نعيم الأصبهاني: معرفة الصحابة ، ج ٤، ص ١٧٦٥.

(٥) البخاري: المصدر السابق كتاب فضائل القرآن، باب قول المقرئ للقارئ: حسبك ج٦، ص ١٣٧، ر ٥٠٥٠ .

(٦) ابن حبان: المصدر السابق ، ج ١٦، ص ٢٣٨، ر ٧٢٥٢.

(٧) المصدر السابق نفسه، ج ١٦، ص ٢٤٨، ر ٧٢٥٨.

(٨) ابن حنبل: المصدر السابق، ج ٥، ص ١٠٤، ر ٢٩٤٥.

(٩) ابن حبان: المصدر السابق ، ج ١، ص ٣٦٧، ر ١٥٤.

(١٠) المصدر السابق نفسه، ج ١٦، ص ٣٥٢، ر ٧٣٥٤.

(١١) المصدر السابق نفسه، ج ١٦، ص ٣٥٨، ر ٧٣٥٨.

من حنين فقد كان حسن الصوت ودعاه الرسول ﷺ وعلمه الأذان وأصبح من أعلام المؤذنين في البلاد الإسلامية[٢]. وأحيانا يُسألُ المرة تلو الأخرى فلا يجيب حتى يتلقى الوحي من رب العالمين[٣].

ومن الحوادث النادرة الوقوع، قيامه (عليه الصلاة والسلام) بالتحديث قرابة يوم كامل إذ صلى الصبح ثم صعد المنبر فخطب حتى حضرت الظهر، ثم نزل فصلى ثم صعد المنبر فخطب حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى ثم صعد المنبر فخطب حتى غابت الشمس، فحدث بما كان وبما هو كائن فأعلم الصحابة أحفظهم لما حدثهم النبي ﷺ ذلك اليوم.[٤]

وإذا سُئِلَ سؤالا لم يعتد سماعه نجده يطري السائل، فعن أبي هريرة ﷺ أنه قال: سألت رسول الله ﷺ قلت: يا رسول الله ماذا رد إليك ربك في الشفاعة ؟ قال: (والذي نفس محمد بيده لقد ظننت أنك أول من يسألني عن ذلك من أمتي لما رأيت من حرصك على العلم. والذي نفس محمد بيده لما يهمني من انقصافهم على أبواب الجنة أهم عندي من تمام شفاعتي لهم، وشفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصا وأن محمدا رسول الله، يصدق لسانه قلبه وقلبه لسانه)[٥].

كما أن إرسال البعثات للدعوة والتعليم لهداية الناس كانت ولا تزال منذ عهد النبي ﷺ، فعند تتبع سبب إرسال سرية بئر معونة[٦] نجد أنها كانت بسبب مقتل من أرسلهم النبي ﷺ لتعليم أهل نجد الخير والإسلام فقد أرسل سبعين من خيرة صحبه عُرِفوا بالقُرَّاء، يعلِّمون الناس القرآن والسنة.[٧]

فمن الشكل الآتي يتبين لنا بعض وسائل الإيضاح المتبعة عند المصطفى ﷺ:

---

(١) المصدر السابق نفسه، ج ١٦، ص ٣٥٩، ر ٧٣٥٩.

(٢) المصدر السابق نفسه، ج ٤، ص ٥٧٤، ر ١٦٨٠.

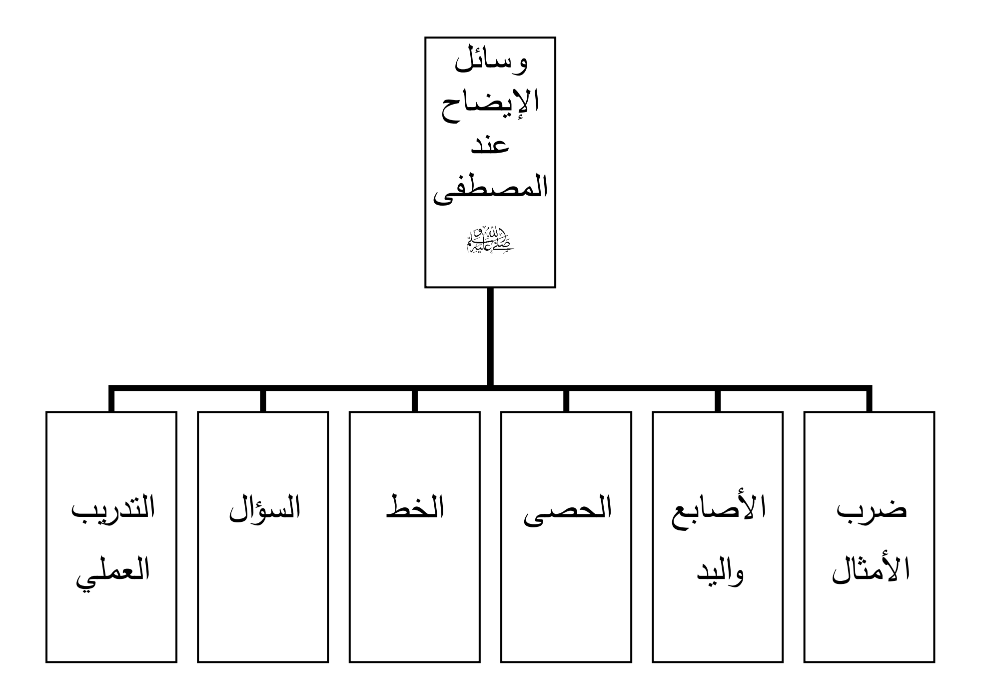
(٣) المصدر السابق نفسه، ج ١٤، ص ٣٢٠، ر ٦٤٠٩.

(٤) المصدر السابق نفسه، ج ١٥، ص ٩، ر ٦٦٣٨.

(٥) المصدر السابق نفسه، ج ١٤، ص ٣٨٤، ر ٦٤٦٦.

(٦) بئر معونة بين أرض بني عامر وحرة بني سليم في طريق المصعد من المدينة إلى مكة، انظر الحموي، ياقوت: معجم البلدان لياقوت الحموي، ج١، ص ٣٠٢ .

(٧) ابن حبان: المصدر السابق، ج١٦، ص ٤١٤.



إذا فالباحث بموضوعية يعترف بما لا مجال للشك أن النبي ﷺ قد علم أصحابه وسعى لأن يكونوا منارا للمتعلمين المقبلين من الأمم الأخرى. فبنوا حضارة راقية عجب من بنائها جميع المفكرين من الديانات الأخرى، فمنهم من أقر بعظمتها وعظمة مؤسسها، ومنهم من أخذته العزة بالأثم، وحسدا من عند أنفسهم أن يؤتى العرب هذا الفضل، ولكن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

ومما تقدم تَخْلُصُ الدراسة بأن المصطفى ﷺ استخدم كل الإمكانات المتاحة في التربية والتعليم، فكانت المخرجات مبهرة، فنشأ جيل الصحابة الكرام الذين بهروا العالم في القيادة والعلم والسلوك، فكانوا ولا يزالون لا مثيل لهم علما وعملا ومن ثمارهم التقدم والإزدهار الذي عاشته الأمة في القرون التي تلت، لا بل إن علماء الأمة اصطلحوا على أن فترتهم فترة القرن الأول بأنها فترة الاحتجاج، ومصدر الإلهام والتوجيه والإجتهاد.

لقد أرسى المصطفى ﷺ القواعد الأولى للتعليم والتعلم والتي قام عليها نظام التربية والتعليم في حضارتنا الإسلامية، فجميع الإثمار العلمي بما جسده المصطفى ﷺ بأسلوب تربوي راق في الواقع المعيشي.

المبحث الثالث: التعليم في العصر الراشدي

يعد العصر الراشدي من أزهى العصور التي مرت بها الحضارة الإسلامية، ففي هذا العصر جمع القرآن الكريم في عهد الصديق ﷺ، ووحدت المصاحف في عهد عثمان ﷺ وفي هذا العصر مُصِّرَتْ البصرةُ والكوفةُ والفسطاطُ والتي غدت معاقل للعلم والمعرفة، وفي هذا العصر تطورت المؤسسة القضائية والإدارية وظهرت العديد من الدواوين، كما شهد هذا العصر تمازج الأجناس والأعراق بعد فتح الشام والعراق وفارس ومصر وأجزاء من المغرب الإسلامي، وفي هذا العصر أشرق الصحابة وأبناء الصحابة على الأمصار يعلمون الناس الخير ويرشدونهم إلى طريق الهداية، وسأقتصر على توضيح المعالم الدينية لتطور رحلة التعليم في هذه الحقبة التي تعد امتدادا لعصر الرسالة.

فقد بين أبو بكر الصديق ﷺ في أول خطبة له بعد توليه الخلافة بأنه سيسير على خطا المصطفى ﷺ حين قال: لست تاركا شيئا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، وإني أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ[١]. لذلك أبقى عمال رسول الله وولاته والمعلمين والمربين كما هم ولم يستبدل وينقل إلا للضرورة، واهتم الصديق ﷺ بتعليم الناس سنن الهدى وحرص أيما حرص على نشر الدين ناصعا نقيا من أية شائبة ويتضح ذلك من تعليمه الناس إبان الصلوات وبالأخص صلاة الجمعة، فعن ابن عمر أن أبا بكر كان يعلمهم التشهد على المنبر، كما يُعلَّمُ الصبيانُ في الكُتّاب[٢].

ولعل من أبرز البصمات التي تركها الصديق ﷺ في مجال التعليم أنه أمر بجمع القرآن الكريم بعدما استحر القتل بالحفظة في حروب الردة[٣] وبهذه الخطوة حفظ المصدر الأول للتشريع، والمصدر الأول للتربية والتعليم من التحريف، فحمدت له الأمة هذا الصنيع، ولعل المتأمل لتوجيهات الصديق ﷺ لزيد بن ثابت ﷺ يجد نضجا ورقيا منهجيا ووعيا يثير الإعجاب في الحرص على الدقة والأمانة في كتابة القرآن الكريم، بل إن هذا العمل يعد أول عمل علمي منهجي ومؤسسي في تاريخنا الإسلامي، إذ من خلال عملية الجمع تعرفنا على الحفظة وأسلوب

---

(١) ابن حنبل: المصدر السابق، ج١، ص ٢٠٥، ر ٢٥.

(٢) ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد ت(٢٣٥هـ/ ٨٥٠م): الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، مج١، ص ٢٦٠، ر ٢٩٩٠.

(٣) ابن حنبل: المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٨، ر ٧٦.

التدوين ومرجعيات الأمة في ذلك الوقت في حفظ القرآن العظيم وأدوات الكتابة ونوعية الخطوط والأحبار المستعملة.

كما أن المتأمل لقادة الجيوش الفاتحة من الصحابة وأبناء الصحابة وما كان يصاحبها من العلماء وما يتخللها من دروس ومواعظ قبل القتال، يجد بداية لتكوين مدرسة تربوية عسكرية تهدف إلى الرقي المعرفي والثقافي للجنود من خلال تلك الحلقات التي يحاضر فيها كبار الصحابة، وهي من السوابق التربوية في التاريخ الإسلامي.

ولعل التعليم حصلت فيه طفرة في عهد عمر بن خطاب ﷺ والذي يعد من كبار مجتهدي الصحابة ﷺ. وقد قدمت العديد من الدراسات حول فقه عمر بن الخطاب واجتهاداته الموفقة منها على سبيل المثال، ما ألفه الشيخ محمد محمد المدني في فقه الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ[١] ضمنها اجتهاداته الفقهية والتي تنم عن فهم عميق لأحكام وتشريع الإسلام، ومن الناحية التعليمية نرى أن عمر بن الخطاب ﷺ استحدث اجراءا في النفقة على المتعلمين تشجيعا لهم في الاهتمام بكتاب الله تعالى وصونا له من الضياع بل والعمل على استظهاره عن ظهر قلب[٢].

وانظر إلى تربيته وتعليمه للقادمين من مصر، إذ كانوا حريصين على الإلتزام بما في كتاب الله تعالى وحمل العامة على ذلك . فعن الحسن البصري: أن ناسًا لقوا عبد الله بن عمرو ﷺ بمصر، فقالوا: نرى أشياء من كتاب الله، أمرَ أن يُعمل بها، لا يُعمل بها، فأردنا أن نلقَى أمير المؤمنين في ذلك؟ فلما قدموا المدينة جمعهم عمر بن الخطاب فأخذ أدناهم رجلا فقال: أنشدكم بالله وبحق الإسلام عليك، أقرأت القرآن كله؟ قال: نعم. قال، فهل أحصيته في نفسك؟ قال، اللهم لا! قال: ولو قال: نعم لخصَمَه قال: فهل أحصيته في بصرك؟ هل أحصيته في لفظك؟ هل أحصيته في أثرك؟ قال: ثم تتبعهم حتى أتى على آخرهم، فقال: ثكلتْ عمر أمُّه! أتكلِّفونه أن يقيمَ الناس على كتاب الله؟ قد علم ربنا أن ستكون لنا سيئات. قال: وتلا ﴿ إنْ

(١) المدني، محمد محمد: نظرات في فقه الفاروق عمر بن الخطاب، وزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

(٢) ابن سعد: المصدر السابق، ج٣، ص ٢٩٧.

تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾. هل علم أهل المدينة أو قال هل علم أحدٌ بما قَدِمتم؟ قالوا، لا! قال: لو علموا لوعَظْت بكم[1].

فعمر بن الخطاب ﷺ حريص كل الحرص على الالتزام بما جاء به الشرع مع علمه المسبق واعترافه بالتقصير، وأن العامة ولا بد وأن يكون فيهم الخطأ والزلل، فحمل العامة على ما يريده بعض الخاصة فيه من العنت ما فيه.

لذلك كان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: ما أخاف على هذا الأمر إلا من أحد رجلين، لا أخاف عليه مؤمنا لأنه قد استبقاه إيمانه ولا فاسقا بينا فسقه، ولكني أخاف عليه رجلا يأخذ القرآن فيسرع حذقه فإذا أذلقه بلسانه وأفرغ أفراغا؛ ابتدر مجلسه واستمع منه ثم تأوله على غير تأويله[2]. وقال ﷺ: إن أصحاب الرأي أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، وتفلتت منهم أن يعوها، واستحيوا حين سئلوا أن يقولوا لا نعلم فعارضوا السنن برأيهم[3].

وقد اتخذ ﷺ رحبة بناحية المسجد تسمى البطحاء فقال: من كان يريد أن يلغط أو ينشد شعرا أو يرفع صوتا فليخرج إلى هذه الرحبة[4]. فمن باب أولى أن يهتم بإنشاء الكتاتيب ومراكز العلم لأبناء المسلمين في مدن المسلمين وقراهم ويمدهم بأولي الفضل من العلم والتقى من صحابة المصطفى ﷺ.

بل وأمر عمر بن الخطاب ﷺ بالعطاء للمعلمين في مدينة المصطفى ﷺ فعن الوضين بن عطاء قال: ثلاثة معلمين كانوا بالمدينة يعلمون الصبيان، وكان عمر بن الخطاب يرزق كل واحد منهم خمسة عشر درهما كل شهر[5]. وهو دليل على اهتمام عمر بن الخطاب ﷺ بالتعليم والمعلمين ولا يعني أن بالمدينة ثلاثة معلمين فقط بل هي الإشارة إلى من يأخذ العطاء من الخليفة، لأن البعض كان يتعفف أخذ العطاء.

---

(١) الطبري، محمد بن جرير ت(٣١٠هـ/ ٩٢٢م): جامع البيان في تأويل القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت،، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ج٨، ص ٢٥٤.

(٢) البرهان فوري: المصدر السابق، ج١٠، ص ٢٦٧، ر ٢٩٣٩٩.

(٣) المصدر السابق نفسه، ج١٠، ص ٢٦٨، ر ٢٩٤٠٦.

(٤) الكتاني: نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، ج١، ص ٢٣١.

٥ ابن عساكر، علي بن الحسن ت(٥٧١هـ/ ١١٧٦م): تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ج٢٤، ص ٣٥.

ومن أجل اهتمام عمر بن الخطاب بالتعليم انتشرت الكتاتيب في بلاد الشام لتعليم كتاب الله ﷻ، فعن أدهم بن محرز الباهلي قال: إني لأول مولود ولد في الإسلام بحمص[1] وأول مولود فرض له بها، وأول مولود رؤي في كتف يختلف بها إلى الكُتَّابِ أتعلَّم الكِتاب.[2]

ومن اهتمامات عمر بن الخطاب ﷺ بقضايا التعليم، حفظه وصيانته للغة العربية من العجمة والتحريف وبالأخص فيما يتعلق بكتاب الله ﷻ، فعن ابن أبي مليكة قال: قدم أعرابي في زمان عمر بن الخطاب فقال: من يقرئني مما أنزل على محمد ﷺ قال: فأقرأه رجل براءة فقال: ﴿ أن الله بريء من المشركين ورسولِه ﴾ بالجر فقال الأعرابي: أو قد برئ الله من رسوله!! فإن يكن الله بريء من رسوله فأنا أبرأ منه. فبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه فقال: يا أعرابي أتبرأ من رسول الله ﷺ فقال: يا أمير المؤمنين إني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن، فسألت من يقرئني فأقرأني هذا سورة براءة فقال: إن الله بريء من المشركين ورسوله. فقلت: أو قد بريء الله من رسوله إن يكن الله بريء من رسوله فأنا أبرأ منه! فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابي قال فكيف هي يا أمير المؤمنين قال: ﴿ أن الله بريء من المشرِكين ورسولُه﴾ فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ مما برئ الله ورسوله منه. فأمر عمر بن الخطاب ألا يقريء الناس إلا عالم باللغة وأمر أبا الأسود فوضع النحو[3].

ومن هذه الرواية تشير إلى أن الآمر بوضع علم اللغة والنحو إنما هو عمر بن الخطاب ﷺ وليس علي بن أبي طالب ﷺ، وإن كان علي ﷺ هو المشهور بوضع أساس هذا العلم.

لقد نشط الناس في العهد الراشدي في طلب العلم والرحلة من أجله، فكانوا لا يجدون حرجا من سؤال أمير المؤمنين عمر ﷺ عن بعض الأمور المتعلقة بالعبادات، كما حدث للحارث بن معاوية الكندي وسؤاله لعمر ﷺ عن حضور الصلاة وأهلَه بجنبه والبيتُ لا يَسَعُهُم، وعن الركعتين بعد العصر، وأن يقصص القصص، فأفتاه ونصحه وقال: أخشى عليك أن تقص، فترفع عليهم في نفسك، ثم تقص فترفع حتى يخيل أنك فوقهم بمنزلة الثريا فيضعك الله تحت أقدامهم

---

(١) حمص بالكسر ثم السكون والصاد مهملة بلد مشهور قديم كبير مسور وفي طرفه القبلي قلعة حصينة على تل عال كبيرة وهي بين دمشق وحلب في نصف الطريق، انظر الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص ٣٠٢ .

(٢) ابن عساكر: المصدر السابق، ج٧، ص ٤٦٥.

(٣) القرطبي: المصدر السابق، ج١، ص ٤٣.

يوم القيامة بقدر ذلك[1]. فعمر بن الخطاب لم ير بأسا بالتذكير والقصص والذي هو جانب من جوانب التعليم، وإنما خشي على صاحبه بالعجب وأن له فضلا على الآخرين، فيذوق وبال عُجْبِهِ عند رب العالمين.

وكتب رجل إلى عبد الله بن عمر ﷺ يسأله عن العلم فكتب إليه ابن عمر ﷺ : إنك كتبت تسألني عن العلم فالعلم أكبر من أن أكتب به إليك، ولكن إن استطعت أن تلقى الله كافَّ اللسانَ عن أعراض المسلمين، خفيف الظهر من دمائهم، خميص البطن من أموالهم، لازما لجماعتهم، فافعل[2].

ولم تقتصر الرحلة على المتعلمين بل كانت للمعلمين من الرحلة نصيب أيضا، فعن أبى قلابة قال: جاءنا أبو سليمان مالك بن الحويرث ﷺ إلى مسجدنا فقال: والله إني لأصلي بكم وما أريد الصلاة، ولكنى أريد أن أريكم كيف رأيت رسول الله ﷺ يصلي[3].

ولم يكتف الخليفة عمر ﷺ بجهود ولاة الأمصار في نشر التعليم، بل دعمها بالعلماء الذين كان يرسلهم من المدينة محملين بوصاياه، فقد بعث عشرة من الصحابة ﷺ وكان فيهم عبد الله بن مغفل المزني ﷺ ليفقهوا الناس بالبصرة[4]. كذلك بعث عمران بن حصين الخزاعي ﷺ إلى البصرة ليفقه أهلها وكان من فقهاء الصحابة. ويروي قرظة بن كعب أنه لما أراد الذهاب مع عدد من أصحابه إلى الكوفة[5] شيعهم عمر بن الخطاب ﷺ وقال: إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل، فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم، جردوا القرآن، و أقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ . وقد سير عمر ﷺ عبد الله بن مسعود ت (٣٢هـ/ ٦٥٣م) ﷺ إلى الكوفة ليعلم أهلها أمور دينهم. وكان نصيب الكوفة من الصحابة كبيرا إذ هبط فيها ثلاثمائة من

(١) ابن حنبل: المصدر السابق ، ج١، ص ٢٦٦، ر ١١١.

(٢) البرهان فوري: المصدر السابق، ج١٠، ص ٢٥٩، ر ٢٩٣٨٠.

(٣) أبو داود: المصدر السابق، ص ١١٠، ر ٨٤٢.

(٤) البصرة في كلام العرب الأرض الغليظة، أن المسلمين حين وافوا مكان البصرة للنزول بها نظروا إليها من بعيد وأبصروا الحصى عليها فقالوا: إن هذه أرض بصرة. يعنون حصبة فسميت بذلك، انظر الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص ٤٣٠ .

(٥) الكوفة بالضم بأرض بابل من سواد العراق، سميت الكوفة لاستدارتها، وقيل سميت الكوفة كوفة لاجتماع الناس بها، مصرت زمن عمر بن الخطاب، انظر الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص ٤٩٠ .

أصحاب الحديبية وسبعون من أهل بدر. وأرسل عمر معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبا الدرداء إلى الشام ﷺ، لأن أهلها بحاجة إلى من يعلمهم القرآن الكريم. فكان عبادة ﷺ في الشام قاضياً ومعلما[١].

وأكد عمر بن الخطاب ﷺ على تعلم السنن والفرائض واللحن والعلم وتعليمه للناس، وتعلم الوقار والسكينة والتواضع للمعلمين والمتعلمين، وأن لا يكونوا من جبابرة العلماء، وكتب إلى أمراء الأجناد بأن تفقهوا في الدين، فانه لا يعذر أحد باتباع باطل وهو يرى أنه حق ولا يترك حق وهو يرى أنه باطل، وكتب إلى أبي موسى الاشعري يأمره بالتفقه في السنة والعربية وإعراب القرآن[٢].

وفي عهد ذي النورين عثمان بن عفان ﷺ كان الجمع الثاني للقرآن الكريم خوفا من اختلاف الناس وتخطأة بعضهم لبعض نظرا لاختلاف اللهجات، فمما رواه البخاري ﷺ أن حذيفة بن اليمان ﷺ قدم على عثمان ﷺ وكان يغازي أهل الشام في فتح إرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة ﷺ: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها أليك. فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام ﷺ فنسخوها في المصاحف وقال عثمان ﷺ للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم. فَفَعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف[٣] رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.[٤] وفي رواية الأكثر أن يُخَرَّق. (٥)

واهتم عثمان بن عفان ﷺ بتعليم أبناء المسلمين في الأمصار، ومن كبار المعلمين أبو الدرداء ﷺ، كان إذا صلى الغداة في جامع اجتمع الناس للقراءة عليه، فكان يجعلهم عشرة عشرة،

---

(١) العمري، أكرم بن ضياء: عصر الخلافة الراشدة، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٢٩٧.

(٢) البرهان فوري: المصدر السابق، ج١٠، ص ٢٥٢.

(٣) انظر الملحق (٤)، صفحة منسوخة من المصحف الإمام (عثمان بن عفان) المحفوظ بطشقند.

(٤) البخاري: المصدر السابق كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، ج٦، ص ١٢٠، ر ٤٩٨٧ .

(٥) العسقلاني، ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م، مج ١٠، ص ٢٥.

وعلى كل عشرة عريفا، ويقف هو في المحراب يرمقهم ببصره، فإذا غلط أحدهم رجع إلى عريفهم، فإذا غلط عريفهم رجع إلى أبي الدرداء فسأله عن ذلك، وكان ابن عامر عريفا على عشرة، فلما مات أبو الدرداءﷺ خلفه ابن عامر. قال مسلم بن مشكم– أحد تلاميذ أبي الدرداء–: قال لي أبو الدرداء ﷺ: أعدد من يقرأ عندي القرآن. فعددتهم ألفا وستمائة ونيفا، وكان لكل عشرة منهم مقرئ، وأبو الدرداء يكون عليهم قائما، وإذا أحكم الرجل منهم تحول إلى أبي الدرداءﷺ[1].

وهذه أول إشارة واضحة لكيفية التدريس وعدد الطلاب في كل فصل دراسي إذا جاز التعبير، وهذا النص الثمين يبرز الإقبال الكبير والشديد في عهد عثمان ﷺ على طلب العلم.

ولعل زواج عثمان بن عفانﷺ من ابنتي المصطفى ﷺ ومكانته المرموقة عند المصطفى ﷺ وما أثر عنه من مكارم وبذل في سبيل الله تعالى، جعله مثالا يحتذى به من قبل المسلمين، فعن حمران بن أبان مولى عثمان بن عفانﷺ قال: رأيت عثمان بن عفان ﷺ توضأ فأفرغ على يديه ثلاثا فغسلهما، ثم تمضمض واستنثر، ثم غسل وجهه ثلاثا وغسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثا، ثم اليسرى مثل ذلك ثم مسح رأسه، ثم غسل قدمه اليمنى ثلاثا ثم اليسرى مثل ذلك، ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ توضأ مثل وضوئى هذا ثم قال: (من توضأ مثل وضوئى هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه، غفر الله له ما تقدم من ذنبه)[2].

ويبدو أن التعليم تقدم في عهد علي بن أبي طالب ﷺ رغم ما اكتنفت خلافته من فتن واضطرابات، فهناك من يؤكد على إسهاماته في حماية اللغة العربية بوضعه علم النحو، فيذكر أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري، أن أول من وضع علم العربية، وأسس قواعده، وحد حدوده علي بن أبي طالبﷺ، وأخذ عنه أبو الأسود الدؤلي وقد بين ذلك بقوله: وسبب وضع علي هذا العلم ما روى أبو الأسود الدؤلي قال: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ فوجدت في يديه رقعة. فقلت ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال: إني تأملت كلام الناس فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء – يعني الأعاجم – فأردت أن أضع لهم شيئاً يرجعون إليه ويعتمدون عليه. ثم ألقى إلي الرقعة وفيها مكتوب: الكلام كله اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبأ به، والحرف ما جاء لمعنى.

---

(١) العمري، المرجع السابق، ص ٢٩٨.

(٢) أبو داود: المصدر السابق، ص ٣٥، ر ١٠٦.

وقال لي: انح هذا النحو، وأضف إليه ما وقع إليك، واعلم يا أبا الأسود إن الأسماء ثلاثة: ظاهر ومضمر واسم لا ظاهر ولا مضمر، وإنما يتفاضل الناس يا أبا الأسود فيما ليس بظاهر ولا مضمر، وأراد بذلك الاسم المبهم. قال أبو الأسود: فكان ما وقع إلي، (إن وأخواتها) ماخلا (لكن) فلما عرضتها على علي ، قال لي: وأين لكن؟ فقال ما حسبتها منها، فقال: هي منها فألحقها، ثم قال: ما أحسن هذا النحو الذي نحوت. فلذلك سمي النحو نحوا[١].

وإن كانت هناك روايات أخرى تفيد أن الآمر بوضع علم النحو إنما هو زياد بن أبي سفيان، فروي أنه بعث إلى أبي الأسود الدؤلي فقال له: يا أبا الأسود إن هذه الحمراء قد كبرت وأفسدت من ألسن العرب، فلو وضعت لهم شيئاً يصلح به الناس ويعرب به كتاب الله، فأبى أبو الأسود، وكره إلى إجابة زياد إلى ما سأل، فوجه زياد رجلاً وقال له: اقعد على طريق أبي الأسود فإذا مر بك فاقرأ شيئا من القرآن وتعمد اللحن فيه. فقعد ذلك الرجل على طريق أبي الأسود، فلما مر به رفع صوته وقرأ: ﴿ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُوله ﴾ – بكسر اللام – فاستعظم أبو الأسود ذلك وقال: عز وجه الله تعالى أن يبرأ من رسوله. ورجع من فوره إلى زياد فقال: يا هذا قد أجبتك على ما سألت، ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن، فابعث إلي ثلاثين رجلاً، فأحضرهم زياد فاختار منهم أبو الأسود عشرة، ثم لم يزل يختارهم حتى اختار منهم رجلاً من عبد القيس، فقال له: خذ المصحف، وصبغاً يخالف لون المداد، فإذا فتحت شفتي فانقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتها فاجعل النقطة في أسفله، فأن أتبعت شيئاً من الحركات غنة فأنقط نقطتين، فابتدأ بالمصحف حتى أتى على آخره[٢].

ومما سبق يتضح أن واضع علم النحو هو أبو الأسود الدؤلي بأمر عمر بن الخطاب أو علي بن أبي طالب ﵄ أو زياد بن أبي سفيان في إمرته بالبصرة في خلافة معاوية بن أبي سفيان ﵁، والسبب في وضع هذا العلم هو صونا للقرآن الكريم من التحريف والعجمة وبسبب دخول كثير من غير العرب في الإسلام، فتدارك ولاة الأمر هذه القضية مستعينين بأبي الأسود ومن عاونه في وضع أصول هذا العلم.

---

(١) الأنباري، عبد الرحمن بن محمد ت(٥٧٧هـ/ ١١٨١م): نزهة الألباء في طبقات الأدباء، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص ١٤.

(٢) الأنباري: المصدر السابق، ص ١٨.

ومما يؤثر عن علي بن أبي طالبﷺ في مضمار التعليم قوله: ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه؟ قالوا بلى قال: من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤيسهم من روح الله، ولا يؤمنهم من مكر الله ولا يدع القرآن رغبة إلى ما سواه، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه، ولا علم ليس فيه تفهم، ولا قراءة ليس فيها تدبر[١]. تعلموا العلم تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله فإنه سيأتي من بعدكم زمان ينكر فيه الحق تسعة أعشاره[٢].

وكما حذر عمر بن الخطابﷺ من أهل الأهواء كذلك كان التنبيه والإعلام من قبل علي بن أبي طالبﷺ، نظرا لما ابتلي به من أحداث جسام في فترة عهده، ومن قوله لكميل بن زياد: إن ههنا وأشار إلى صدره علما لو أصبت له حملة، ثم قال: اللهم بلى أصبته لقنا غير مأمون، يستعمل آلة الدين للدنيا، ويستظهر بحجج الله على كتابه، وبنعمه على كتابه، أو منقادا لأهل الحق لا بصيرة له في أحيائه، يقتدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة، أو منهوما باللذات سلس القياد للشهوات، أو مغرى بجمع الأموال والإدخار... كذلك يموت العلم بموت حامليه.[٣]

طرق التعليم في العصر الراشدي

إن طرق تلقي العلم في عصر الرسالة والعصر الراشدي تتمثل في السماع، والعرض، والمذاكرة، والسؤال. والسماع هو الطريقة الأكثر انتشارا لقلة المواد المكتوبة، فالطلبة يتلقون المعلومات عن طريق سماع الشيخ الذي يلقيها بصوته بعد أن حفظها بصدره. والإلقاء ينبغي أن يكون واضحا، وقد يؤكد الشيخ المعنى بإعادة الكلام ليتمكن المستمع من إتقان حفظه، وقد كان هذا هو أسلوب نبينا (عليه الصلاة والسلام)[٤]. الذي كان يكرر المعلومة ثلاث مرات.

قال الخطيب البغدادي: حق الفائدة أن لا تساق إلا إلى مبتغيها، ولا تعرض إلا على الراغب فيها، فإذا رأى المحدث بعض الفتور من المستمع، فليسكت، فإن بعض الأدباء قال: نشاط القائل على قدر فهم المستمع، وعن عبد الله بن مسعود ت (٣٢هـ/ ٦٥٣م)، ﷺ قال: حدّث القوم ما أقبلت عليك قلوبهم، فإذا انصرفت قلوبهم فلا تحدثهم، قيل له: ما علامة ذلك؟

---

(١) البرهان فوري: المصدر السابق، ج١٠، ص ٢٦١، ر ٢٩٨٣٧.

(٢) المصدر السابق نفسه، ج١٠، ص ٢٥٦، ر ٢٩٣٦٥.

(٣) المصدر السابق نفسه، ج١٠، ص ٢٦٢، ر ٢٩٣٩١.

(٤) العمري، المرجع السابق، ص ٢٨٥.

قال: إذا حدقوك بأبصارهم. فإذا تثاءبوا واتكأ بعضهم على بعض فقد انصرفت قلوبهم فلا تحدثهم.[1]

وقد أنكرت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها على أبي هريرة رضي الله عنه سرده الحديث والتعجل في إلقائه، فقالت لابن أختها عروة بن الزبير: ألا يعجبك أبو فلان، جاء فجلس إلى جانب حجرتي، يحدث عن رسول الله ﷺ يسمعني ذلك وكنت أسبح، فقام قبل أن أقضي سبحتي، ولو أدركته لرددت عليه، إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسردكم[2]. فالتأني في تعليم العلم هو الطريقة المثلى التي كان يتبعها النبي ﷺ وكان على المعلمين التأسي به والاستنان بسنته.

والحلقات العلمية المنعقدة في المساجد زمن النبي ﷺ استمرت في فترة الخلفاء الراشدين فكانت لجابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري رضي الله عنه حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم، وكان آخر أصحاب رسول الله ﷺ موتا بالمدينة[3].

وقيل لأنس بن مالك رضي الله عنه: كيف كان المؤدبون على عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم؟ قال أنس: كان المؤدب له إجانَّة، وكل صبي يأتي كل يوم نوبته ماء طاهرا، فيصبونه فيها، فيمحون به ألواحهم. وقال أنس: ثم يحفرون حفرة في الأرض، فيصبون ذلك الماء فيها فينشف. قلت: أفترى أن يُلعط ؟ قال: لا بأس به، ولا يمسح بالرجل، ويمسح بالمنديل وما أشبهه. قلت: فما ترى فيما يكتب الصبيان في الكتاب من المسائل ؟ قال: أما ما كان من ذكر الله فلا يمحوه برجله، ولا بأس أن يمحى غير ذلك مما ليس من القرآن[4].

ومنها كما مر معنا قيام أبي الدرداء رضي الله عنه بتقسيم القُرَّاءِ عشرة عشرة، وعلى كل عشرة عريفا، فإذا غلط أحدهم رجع إلى عريفهم، فإذا غلط عريفهم رجع إلى أبي الدرداء.

---

(١) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي ت(٤٦٣هـ/ ١٠٧٢م): الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ج١، ص ٣٣٠.

(٢) البخاري: المصدر السابق كتاب المناقب، باب صفة النبي عليه الصلاة والسلام، ج٤، ص ٢٠٣، ر ٣٥٦٨ .

(٣) ابن حجر، أحمد بن علي ت(٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م): الإصابة في تمييز الصحابة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ج١، ص ٤٣٤.

(٤) حجازي، عبد الرحمن عثمان: المذهب التربوي عند ابن سحنون، مؤسسة الرسالة، بيروت،، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص١١٥.

دور المرأة في التعليم

يقول الله تبارك تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[١].

لقد ذكر الله ﷻ في هذه الآيات عشر صفات كريمة، ولم يكتف بقرن الإناث مع الذكور، والإشارة إلى أنه لا فرق في الأعمال الصالحة والصفات الكريمة بين الذكور والإناث، بل بالعكس من ذلك يفرد الصفات صفة صفة، فإذا وصف الذكور بها وصف الإناث بنفس الصفة وأفردهن بالذكر، وإن البيان مما يدل على محبة الله لإمائه ومدى اتساع الإمكانية والمجال لهن للظهور في كل صفة كريمة، والعمل الجليل والتحلي بفضائل الأعمال ومكارم الأخلاق[٢].

وإذ لم تكن المرأة المسلمة في عداد الخلفاء، فالإسلام كلفها أن تربي من يمكن أن يكون خليفة. والأم عليها ألا تغفل عن الواجب المقدس المنوط بها وهو تربية الولد الذي يتحمل مسؤولية العمل لصالح الأمة الإسلامية[٣]. وجاء القرآن الكريم ليصحح الأوضاع فاعترف بإنسانية المرأة[٤]، حيث قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾[٥] .

ولقد أدب الله سبحانه وتعالى أزواج النبي ﷺ في حياته وبعد وفاته أيضا لأنهن لسن كأحد من النساء فلهن كل التقدير والتوقير منا ومن جميع المسلمين. فعليهن دراسة القرآن الكريم وتعلم الحكمة النبوية.

فقد أمر النبي عليه الصلاة والسلام برعاية البنات وتربيتهن تربية إسلامية قويمة تؤهلهن لتحمل مسؤولية الأمومة والأسرة في المجتمع الإسلامي. فقد أمر البشير ﷺ بحسن تربية المرأة وتعليمها، ومن ذلك ما أخرجه البخاري عن أبي بردة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: (أيما

---

(١) الأحزاب: الآية ٣٥.

(٢) الندوي، علي الحسني: محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ج٢، ص ٥٢٨ .

(٣) الجندي، أنور: المدرسة الإسلامية على طريق الله ومنهج القرآن، دار الاعتصام،القاهرة، د. ت، ص ٢٥٤ .

(٤) منيسي، سامية: النداء الأول لحقوق الإنسان في الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، ص٦.

(٥) النساء : الآية ١

رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران)[1]. وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: (من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو. وضم أصابعه)[2].

فقد اهتم الهادي البشير ﷺ بالبنات اهتماما كبيرا مثلهن مثل الذكور في كل شيء، في التربية والتقويم والتعليم والإنفاق عليهن وقد رزقه الله تعالى الإناث في مجتمع يتفاخر بالذكور فكان يحسن إليهن ويرأف بهن ويعاملهن أكرم معاملة.

وللمرأة الحق في طلب العلم، يستوي في ذلك الرجل والمرأة، فقد كن نساء الصحابة يخرجن إلى المساجد لصلاة الجمع والجماعات والعيدين بأمر من رسول الله ﷺ فقد أمر (عليه الصلاة والسلام) الرجال أن يتركوا النساء يخرجن إلى المساجد بعد استئذانهن لأزواجهن، وذلك للعلم وتلقي العظة من رسول الله ﷺ ولتعم الفائدة للمجتمع المسلم، وقد ذكر أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النساء قلن للنبي ﷺ: غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك. فوعدهن يوما فوعظهن وأمرهن. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين [3].

وقد تمخضت هذه اللقاءات مع الصحابيات عن علم غزير لهن وعلى رأسهن أمهات المؤمنين حتى روين الحديث عنه ﷺ، فمنهن من روين الآلاف مثل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، والمئات مثل أم سلمة رضي الله عنها ومنهن من روين العشرات مثل باقي أمهات المؤمنين[4] والصحابيات رضي الله عنهن. كذلك جلست أمهات المؤمنين للفتيا ورواية الحديث فخرَّجت مدرسة رسول الله ﷺ المحدثات والفقيهات... وغير ذلك من العالمات الجليلات[5].

---

(١) البخاري: المصدر السابق، كتاب النكاح، باب اتخاذ السراري ومن أعتق جاريته ثم تزوجها، ج٦، ص ١٤٧، ر٥٠٨٣.

(٢) النيسابوري: المصدر السابق ، ج٨، ص ٤٢٨، ر ٢٦٣١.

(٣) البخاري: المصدر السابق، ج١، ص ٤٧. تعليقا ووصله مسلم من طريق ابراهيم، انظر فتح الباري لابن حجر، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، مج١، ص ٣٠٩.

(٤) الحفني، عبد المنعم : موسوعة أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ص ١٥ .

(٥) منيسي: المرجع السابق، ص٧٣.

وقالت أم هشام بنت حارثة الأنصارية رضي الله عنها أنها ما أخذت سورة ق إلا عن رسول الله ﷺ إذ يقرؤها على الناس في كل جمعة إذا خطبهم. وهو دليل على حضور النساء للجمع لتلقي العلم والمعرفة والفائدة من رسول الله ﷺ . لقد أعطى النبي ﷺ المرأة حقها في التعليم فبرزت العشرات من النساء الرائدات في المجتمع الإسلامي، فعائشة بنت أبي بكر هي معلمة الرجال، وميمونة بنت الحارث هي خالة يزيد بن الأصم عالم الإسلام وشيخه، وحفصة هي التي أخذ عنها الخليفة عثمان المصاحف[١].

وقد شاركت المرأة في نشر التعليم في العصر الراشدي، سواءا من أمهات المؤمنين أو من الصحابيات (رضوان الله عليهن أجمعين)، وإن أعظمهن أثرا وفضلا على المسلمين الصديقة بنت الصديق عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها والتي ما فتئت تعلم الرجال والنساء أصول دينهم – مع ملكتها العلمية والأدبية في مجالات عدة – حتى فترة مبكرة من العصر الأموي، فقد تأخرت وفاتها حتى (٥٨ هـ/ ٦٧٧م)، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: ما أشكل علينا أصحاب محمد ﷺ حديث قط فسألنا عائشة عنه، إلا وجدنا عندها منه علما[٢].

ومما يدل على مكانة عائشة رضي الله عنها العلمية قول قبيصة بن ذؤيب: كنت أنا وأبو بكر بن عبد الرحمن نجالس أبا هريرة رضي الله عنه، وكان عروة بن الزبير يغلبنا بدخوله على عائشة، وكانت عائشة رضي الله عنها أعلم الناس يسألها الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ. وكذلك قول مسروق: رأيت مشيخة أصحاب محمد الأكابر يسألونها عن الفرائض. وقول عروة: ما رأيت أحدا أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة رضي الله عنها[٣].

ولعل حفظ القرآن الكريم في بيت أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) فيه من الدلالات الشيء الكثير فهو يدل على مكانة المرأة المرموقة عند المسلمين حيث جعلوها أمينة على كتاب الله ﷻ، ولعل المتأمل لطبقات ابن سعد يلاحظ العدد الكبير من النساء قد شاركن في الحياة العلمية في العصر الراشدي ولا يسع المجال لبسط وسرد أسمائهن، ولعل

---

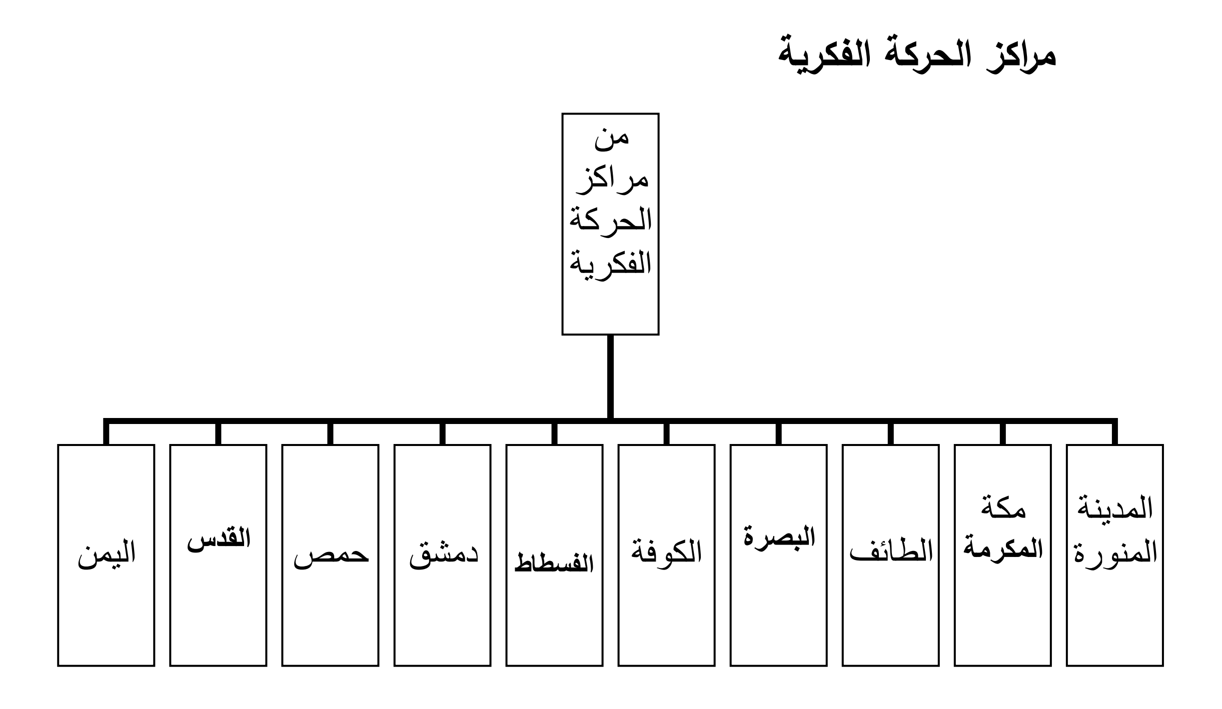
(١) المرجع السابق نفسه، ص ٨٨-٩٠ .

(٢) المزي، يوسف بن عبد الرحمن ت(٧٤٢هـ/ ١٣٤١م): تهذيب الكمال في أسماء الرجال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ج٣٥، ص ٢٣٣.

(٣) المزي: المصدر السابق، ج٣٥، ص ٢٣٤.

أمهات المؤمنين وأم الدرداء والخنساء وغيرهن خير شاهد على فعالية المرأة التربوية في تلك الحقبة.

مراكز الحركة الفكرية



كانت المدينة المنورة أهم مراكز الحركة الفكرية في عصر الرسالة والعصر الراشدي، فهي دار السنة، ومجتمع الصحابة، ومنها انتشر العلم إلى بقية المدن والأمصار، بخروج عدد كبير من الصحابة منها بعد وفاة النبي ﷺ حيث استقروا في البلاد المفتوحة، ونشروا العلم والرواية فيها.

وتبرز مكة المكرمة في مكانة مرموقة بين مدن الحجاز بسبب مركزها الديني، واجتماع العلماء فيها في مواسم الحج. أما الأمصار الجديدة فتبرز الحركة العلمية في كل من: الكوفة، والبصرة، ودمشق، والفسطاط، حيث استقر فيها عدد كبير من الصحابة، إذ برزت في الكوفة مدرسة عبد الله بن مسعود ت (٣٢هـ/ ٦٥٣م) في الفقه، وفي البصرة مدرسة أبي موسى الأشعري ت (٤٤هـ/ ٦٦٥م) في القراءات[١]. ولا ننسى دمشق، وحمص، والقدس، واليمن وغيرها من المدن الهامة في الأمصار المفتوحة في فارس ومصر والمغرب.

---

(١) العمري: المرجع السابق، ص ٣٠٠.

وتجدر الإشارة إلى اهتمام الخلفاء الراشدين ببناء المساجد، فلما افتتح عمر بن الخطاب ﷺ البلدان كتب إلى أبي موسى الأشعري ﷺ، وهو على البصرة، يأمره أن يتخذ للجماعة مسجدا ويتخذ للقبائل مساجد، وكتب إلى سعد بن أبي وقاص وهو على الكوفة وكتب إلى عمرو بن العاص وهو على مصر [١]، باتخاذ المساجد. فغدت المساجد مراكز مهمة لنشر العلم، واستقطبت الأمصار الجديدة طلبة العلم. وأنشأ المسلمون في الشام في كل مدينة فتحوها مسجدا واحدا، كانوا يجتمعون فيه للصلاة وتعلم أمور الدين وتعليمها[٢]. وقد كانوا يرسلون العلماء من الصحابة وقراءهم ليقيموا حلقات العلم وتدريس القرآن الكريم في كل مصر من أمصار الخلافة الإسلامية[٣].

ومن هذه المساجد:

١- جامع البصرة

والذي اختطه الصحابي الجليل عتبة بن غزوان ﷺ في سنة (١٤هـ/ ٦٣٥م) بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، وقد نزل عتبة على شاطئ دجلة بجبال جزيرة العرب فبنى فيه وبدأ بالمسجد، فأسسه وبناه من القصب في موضع يسمى البصرة، وبعد أن تولى أبو موسى الأشعري ﷺ إمارة البصرة بنى المسجد باللبن، وفي عهد معاوية بن أبي سفيان ﷺ، زيد في المسجد زيادة كبيرة وبناه بالآجر والجص وسقفه بالساج. ولما تولى زياد إمارة البصرة أعاد بناء الجامع عام (٤٤هـ/٦٦٥م)[٤]. وكان المسجد مسرحا للكثير من الأنشطة التعليمية والسياسية والاجتماعية، وكان أبوموسى ﷺ أول صحابي أُرْسلَ للتعليم في مسجد البصرة من قبل الخليفة عمر، وأصبحت البصرة بسبب هذا الجامع مركزا علميا عاليا مهما خاصة في عهد الأمويين كذلك، فقد كان لبعض التابعين وتابعيهم حلق علمية حية في المسجد يرتادها الناس من كل مكان.

---

(١) أبيض، ملكة : التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، ص ٨٦ .

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ٨٧ .

(٣) الحدابي: المرجع السابق، مج٤، ص ١٢٤ .

(٤) الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ج ٢٣، ص ١٩٢.

٢- جامع الكوفة

هو أول بناء وضع بعد اختطاط سعد بن أبي وقاص ﷺ الكوفة بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، وكان بنيانه على أساطين – أعمدة – من رخام لكسرى وفوق الأعمدة أسقف، ولم يكن للمسجد مجنبات – جدران – خارجية تحيط به، واستبدلت الجدران بخندق محفور حول الجامع توضيحا لمعالمه، فلم يزل كذلك حتى بني أزمان معاوية بالحجارة، وكان يتسع لستين ألفا.

واتخذ الصحابة الذين نزلوا الكوفة من مسجدها مركزا لنشر العلم وتوجيه الناس، ومن أشهر من نزل بها من الصحابة العلماء واشتغل فيها بالعلم والتعليم الصحابي الجليل عبد الله بن مسعودﷺ، وتخرج على يده شيوخ الكوفة اللاحقين، الذين تعلموا منه وتأدبوا بأدبه والذين أقاموا العديد من حلقات تدريس القرآن والتفسير ورواية الحديث. وقد شهد مسجد الكوفة من مظاهر النهضة العلمية والأدبية وخاصة في القرنين الأوليين الكثير، حيث نشطت فيه المجالس العلمية وحلقات التدريس، حتى إن عدد طلاب الحديث في الكوفة سنة (٨٢هـ/ ٧٠١م) بلغ أربعة آلاف طالب، كما أن تعليم الصغار كان له نصيب كبير في هذا الجامع لأزمنة عديدة[١].

٣- جامع عمرو بن العاص ﷺ (الجامع العتيق)

ويعرف كذلك بتاج الجوامع، وهو أول مسجد أسس بالفسطاط[٢] بعد الفتح الإسلامي لها على يد الصحابي الجليل عمرو بن العاص ﷺ، وكان بناؤه في إثر فتح الإسكندرية سنة (٢١هـ/ ٦٤١م) بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ إلى أمراء الأجناد ببناء الجوامع في البلاد المفتوحة، ومنذ أن أنشيء وهو معلم للعلم، يدرس فيه النابغون من الصحابة والذين كان لكل واحد منهم دروسا يلقيها في هذا المسجد في الفقه والحديث والمواريث والتاريخ وغيرها[٣]، من مثل

---

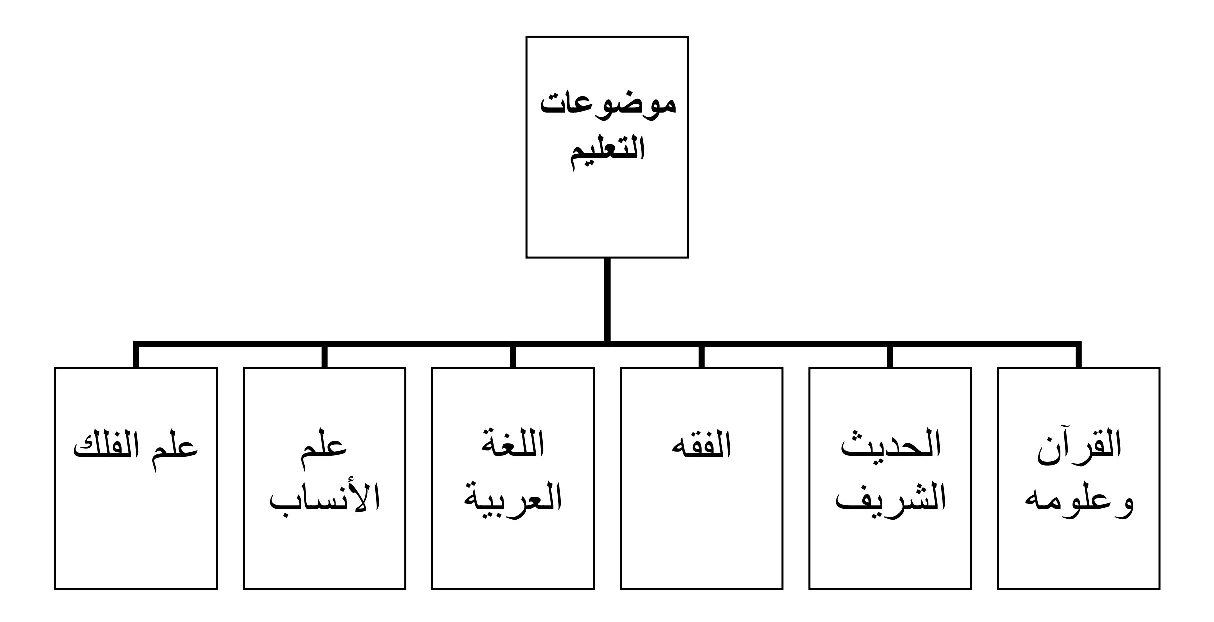
(١) الحدابي: المرجع السابق نفسه، مج٤، ص١٢٨- ١٢٩ .

(٢) سميت بذلك نسبة لفسطاط عمرو بن العاص عند فتحه لمصر وبعد فتح الإسكندرية قال عمرو بن العاص بعد مشاورة جنده : نرجع إلى موضع الفسطاط فرجعوا وجعلوا يقولون: نزلت عن يمين الفسطاط وعن شماله فسميت البقعة بالفسطاط، انظر الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص ٢٦١ .

(٣) الحدابي: المرجع السابق، مج٤، ص ١٢٩.

سليمان بن عتر التجيبي والذي جلس في جامع عمرو منذ عهد مبكر سنة (٣٨هـ/ ٦٥٨م) للتعليم[١].

موضوعات التعليم



أ- القرآن وعلومه

لقد اهتم الصحابة في جمع وتدوين القرآن الكريم وبينا الأسباب الداعية إلى ذلك على طول فترة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم)، وكان الرسم العثماني خال من النقط أو رسم أشكال الحركات، حرصا منهم على استيعاب الأحرف السبعة ومراعاة للهجات القبائل العربية المتنوعة، فتم نسخ القرآن عدة نسخ وإرسالها إلى المدن الكبرى وجمع الناس عليها. وقد أوصى الرسول ﷺ الصحابة بأخذ القرآن من أربعة، إذ قال (عليه الصلاة والسلام): (استقرئوا القرآن من أربعة، من عبد الله بن مسعود – فبدأ به –، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي ابن كعب، ومعاذ بن جبل).[٢]

---

(١) عبد الدائم، عبد الله: التربية عبر التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م، ص ١٥٣ .

(٢) البخاري: المصدر السابق كتاب فضائل أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام، باب مناقب سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه، ج٤، ص ٢٦٢، ر ٣٧٥٨ .

ب- الحديث الشريف

مع وجود عدد من الكتاب في عصر السيرة، وقيامهم بتدوين القرآن الكريم، فانه لم يتم تدوين الحديث النبوي بشمول واستقصاء، بل اعتمدوا على الحفظ والذاكرة في أغلبه، ولم يأمرهم النبي ﷺ بكتابته في بادئ الأمر خوفا من اختلاطه بالقرآن الكريم، وقد أراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يكتب السنن فاستشار أصحاب رسول الله ﷺ في ذلك فأشاروا عليه أن يكتبها فطفق يستخير الله فيها شهرا ثم أصبح يوما وقد عزم الله له فقال: إني كنت أريد أن أكتب السنن وإني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبدا.[١]

وقد وردت أحاديث عن النبي ﷺ تنهى عن كتابة الحديث، فعن أبي سعيد الخدري قال: جهدنا بالنبي ﷺ أن يأذن لنا في الكتاب فأبى[٢]. وقيل لأبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنكتب حديثكم هذا؟ قال: لا، لم تجعلونه قرآنا؟! ولكن احفظوا كما حفظنا[٣].

وإن ممن شدد على الأخذ بهدي النبي ﷺ وترك ما سواه عبدُ الله بن مسعود إذ منع من مدارسة علوم أهل الكتاب وآداب غير المسلمين فمن قوله رضي الله عنه: إن أحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وإن أحسن الحديث كتاب الله، وإن شر الأمور محدثاتها، وإنكم تحدثون ويحدث لكم، فإذا رأيتم محدثة فعليكم بالهدى الأول، فإنما أهلك أهل الكتابين قبلكم مثل هذه الصحيفة وأشباهها، توارثوها قرنا بعد قرن حتى جعلوا كتاب الله خلف ظهورهم كأنهم لا يعلمون، فأنشد الله رجلا علم مكان صحيفة إلا أتاني، فوالله لو علمتها بدير هند[٤] لانتقلت إليها[٥].

---

(١) الصنعاني، عبد الرزاق بن همام ت(٢١١هـ/ ٨٢٦م): المصنف، المجلس العلمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ج١١، ص ٢٥٧، ر ٢٠٤٨٤.

(٢) الرامهرمزي، الحسن بن عبد الرحمن ت(٣٦٠هـ/ ٩٧٠م): المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ٣٧٩.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٣٧٩.

(٤) هند الصغرى بنت النعمان بن المنذر نبيلة، فصيحة. ولدت ونشأت في بيت الملك بالحيرة. ولما غضب كسرى على أبيها حبسه ومات في حبسه، ترهبت ولبست المسوح، وأقامت في دير بنته بين الحيرة والكوفة عرف بدير هند، توفيت نحو ٧٤هـ/ ٦٩٣م. انظر الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، ط ٥، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ج ٨، ص ٩٨.

(٥) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي ت(٤٦٣هـ/ ١٠٧٢م): تقييد العلم، دار الاستقامة، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م ، ص ٥٨.

ولكن مع هذا المنع فقد أذن رسول الله ﷺ لبعض الصحابة بالكتابة عنه، فمنهم عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، الذي قال فيه أبو هريرة رضي الله عنه: ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثا عنه مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو رضي الله عنه فإنه كان يكتب ولا أكتب[١]. ولذلك فقد كتب بعضهم الأحاديث في الصحف في عصر الرسالة والراشدين ومنها[٢]:

١- صحيفة سعد بن عبادة الأنصاري رضي الله عنه ت (١٤هـ/ ٦٣٥م).

٢- صحيفة عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه ت(٨٧هـ/ ٧٠٥م).

٣- نسخة سمرة بن جندب رضي الله عنه ت (٦٠ هـ/ ٦٧٨م).

٤- كتب أبي هريرة رضي الله عنه ت (٥٩هـ/ ٦٧٩م).

٥- صحيفة أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ت (٥٠ هـ/ ٦٧٠م) .

٦- صحيفة جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه ت (٧٨ هـ/ ٦٩٧م) .

٧- الصحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ت (٦٥ هـ/ ٦٨٤م).

ج- الفقه

يعرف ابن قدامة الفقه في عرف الفقهاء بأنه : العلم بأحكام الأفعال الشرعية كالحل والحرمة والصحة والفساد ونحوها.[٣]

ويعرفه ابن خلدون بأنه: معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين، بالوجوب والحظر والندب والكراهة والإباحة ، وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه. وكان السلف يستخرجونها من تلك الأدلة على اختلاف فيها بينهم.[٤]

---

(١) البخاري: المصدر السابق كتاب العلم، باب كتابة العلم، ج١، ص ٤٢، ر ١١٣ .

(٢) العمري: المرجع السابق، ص ٣١١.

(٣) ابن قدامة، عبد الله بن أحمد ت(٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م): روضة الناظر وجنة المناظر، دار الزاحم، د.ت، ص ٣ .

(٤) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ت(٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) : مقدمة ابن خلدون، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص ٤١٢.

وتباين الصحابة في الفهم والأخذ عن النبي ﷺ، ويؤيد هذا الرأي ابن خلدون بقوله: ثم إن الصحابة لم يكونوا كلهم أهل فتيا، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم، وإنما كان ذلك، مختصاً بالحاملين للقرآن العارفين بناسخه ومنسوخه ومتشابهه ومحكمه وسائر دلالاته بما تلقوه عن النبي ﷺ أو ممن سمعه منهم من عليتهم، وكانوا يسمون لذلك القراء، أي الذين يقرأون الكتاب[١].

وكان العلماء بعد نبيهم ﷺ ستة نفر الذين يفتون فيؤخذ بفتواهم ويفرضون فيؤخذ بفرائضهم ويسنون فيؤخذ بسنتهم: عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري(رضي الله عنهم). فانفرد عمر وانفرد معه عبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت (رضي الله عنهم). فكان عمر بن الخطاب إذا قضى برأيه قضاء وقضيا برأيهما قضاءا تركا رأيهما لرأيه تبعا، وانفرد علي بن أبي طالب وانفرد معه أبي بن كعب وأبو موسى الأشعري (رضي الله عنهم) فكان إذا قضى برأيه قضاء وقضيا برأيهما قضاء تركا رأيهما لرأيه تبعا، فكان من هؤلاء الستة بالكوفة ثلاثة وثلاثة في سائر الأرض[٢].

ويقول علي بن عبد الله المدني: انتهى علم أصحاب رسول الله ﷺ من الأحكام إلى ثلاثة ممن أخذ عنهم وروي عنهم العلم: عبد الله بن مسعود ت (٣٢هـ/ ٦٥٣م)، وزيد بن ثابت ت (٤٥هـ/ ٦٦٥م)، وعبد الله ابن عباس ت (٦٨هـ/ ٦٨٧م)،(رضي الله عنهم)[٣].

وكان الصحابة يتفاضلون في الفقه والعلم فعن أبي سلمة قال: جاء رجل إلى ابن عباس وأبو هريرة جالس عنده فقال: أفتني في امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة ؟ فقال ابن عباس: آخر الأجلين. قلت أنا: ﴿ وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ﴾ . قال أبو هريرة: أنا مع ابن أخي – يعني أبا سلمة – فأرسل ابن عباس غلامه كريبا إلى أم سلمة يسألها فقالت: قتل زوج سبيعة الأسلمية وهي حبلى فوضعت بعد موته بأربعين ليلة، فخُطبت فأنكحها رسول الله ﷺ.[٤]

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٤١٣.

(٢) الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ج٢، ص ٢٨٨.

(٣) المصدر السابق نفسه، ج٢، ص ٢٨٩.

(٤) البخاري: المصدر السابق كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وأولات الأحمال﴾ ج٦، ص ٧٩، ر ٤٩٠٩.

وسئل ابن عمر في أي شهر اعتمر رسول الله ﷺ ؟ فقال: في رجب فقالت عائشة: ما اعتمر رسول الله ﷺ إلا وهو معه (تعنى ابن عمر) وما اعتمر في شهر رجب قط.[1] وجاءت الجدة إلى أبى بكر الصديق تسأله ميراثها فقال: ما لك فى كتاب الله تعالى شىء وما علمت لك فى سنة نبى الله ﷺ شيئا فارجعى حتى أسأل الناس. فسأل الناس فقال المغيرة بن شعبة: حضرت رسول الله ﷺ أعطاها السدس. فقال أبو بكر: هل معك غيرك؟ فقام محمد بن مسلمة فقال مثل ما قال المغيرة بن شعبة. فأنفذه لها أبو بكر[2].

وسئل أبو موسى الأشعري عن ابنة، وابنة ابن، وأخت. فقال: للابنة النصف وللأخت النصف، وأت ابن مسعود فسيتابعني. فسئل ابن مسعود وأخبر بقول أبي موسى فقال: لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين، أقضي فيها بما قضى النبي ﷺ، للابنة النصف، ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين، وما بقي فللأخت. فأتينا أبا موسى فأخبرناه بقول ابن مسعود فقال: لا تسألوني ما دام هذا الحبر فيكم[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان عمر رضي الله عنه يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال: إنه ممن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم. قال: وما رُئيتُه دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ حتى ختم السورة فقال بعضهم: أُمِرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا. وقال بعضهم: لا ندري و لم يقل بعضهم شيئا. فقال لي: يا ابن عباس أكذاك قولك ؟ قلت: لا، قال: فما تقول ؟ قلت: هو أجل رسول ﷺ أعلمه الله له ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ فتح مكة فذاك علامة أجلك ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ . قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم[4]. فهذه المواقف تشير إلى تفاوت الصحابة في الفقه، وأن الناس أخذوا منهم وتعلموا من علمهم، وارتُحلوا إليهم طلبا للعلم والمعرفة.

د- اللغة العربية

وقد ظهرت العناية باللغة العربية لأهميتها في فهم نصوص القرآن والسنة، وقد نقلت المصادر

---

(١) الترمذي: المصدر السابق، ص ١٧٠، ر ٩٦٣.

(٢) أبو داود: المصدر السابق ، ص ٣٢٨، ر ٢٨٩٤.

(٣) البخاري: المصدر السابق كتاب الفرائض، باب ميراث ابنة ابن مع ابنة، ج٨، ص ٧، ر ٦٧٣٦.

(٤) المصدر السابق نفسه، كتاب المغازي، باب منزل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح، ج٥، ص ١١١، ر ٤٢٩٤ .

عدة توصيات لعمر بن الخطاب ﷺ بتعلم العربية ورواية الشعر، فقد كتب إلى أبي موسى الأشعري ﷺ حينما كان واليه: مر من قبلك بتعلم العربية فإنها تدل على صواب الكلام، ومرهم برواية الشعر فإنه يدل على معالي الأخلاق[١]. وكتب إلَيه أيضا: إن كاتبك الذي كتب إلي لحن فاضربه سوطاً[٢]. وهو دليل على اهتمامه ﷺ باللغة العربية وبضرورة الحفاظ عليها.

ونقل قوله: تعلموا العربية فإنها تزيد في المروءة. وقوله: عليكم بالتفقه في الدين والتفقه في العربية وحسن العربية. وقوله: أعربوا القرآن فإنه عربي. وكان عبد الله بن عمر ﷺ يضرب بنيه إذا لحنوا. ولا شك أن عصر السيرة والراشدين يمثل بداية جديدة لازدهار اللغة العربية التي اعتز بها أصحابها وتعلمها المسلمون الجدد في المناطق المفتوحة وهذا ليس غريباً فهي لغة الدين والدولة الجديدة.

هـ- علم الأنساب

أما علم الأنساب، فهو علم عرفه المسلمون عن العصر الجاهلي، لكنهم جمعوه ودونوه، فضلاً عن شيوعه بينهم. وقد استمر الاهتمام بالأنساب في عصر الرسالة و العصر الراشدي لضرورات دينِية واجتماعية وعسكرية وإدارية، وللأنساب أهميتها في تطبيق أحكام الأحوال الشخصية من زواج وميراث، وفي معرفة أنساب المحدثين لتمييز رواة الحديث، وفي توزيع العطاء، ويمكن أن نعتبر ديوان الجند في خلافة عمر ﷺ أول تدوين شامل للأنساب.

وقد كلف الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ثلاثة من نسابي قريش، وهم جبير بن مطعم وعقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل (رضي الله عنهم) عمل جدول بالأنساب. وكان عقيل بن أبي طالب ﷺ عالماً بأنساب قريش ومآثرها وكان الناس يأخذون ذلك عنه بمسجد المدينة، وكذلك اشتهر حكيم بن حزام الأسدي بعلمه بأنساب قريش وأخبارها[٣]. وورد عن الزهري أنه قال: كنت أجالس عبد الله بن ثعلبة بن صعير العذري أتعلم منه نسب قومي. ثم لزمت سعيدا [أي ابن المسيب] فكان هو الغالب على علم المدينة[٤]. فتعلم الأنساب كان شائعا في فترة الخلافة

---

(١) البرهان فوري: المصدر السابق، ج١٠، ص ٣٠٠، ر ٢٩٥١٠.

(٢) وكيع، محمد بن خلف ت(٣٠٦هـ/ ٩١٩م): أخبار القضاة، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط١، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م، ج١، ص ٢٨٦.

(٣) العمري: المرجع السابق، ص ٣١٣-٣١٦.

(٤) ابن سعد: المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٨٢.

الراشدة، تطبيقا لأمر النبي ﷺ: (تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأثر)[١].

و- علم الفلك

قال تعالى: ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[٢]. لا شك أن علم الفلك قد داخله من الأوهام والخرافات شأنه شأن العلوم الأخرى، بل وتعداه إلى جَعْل الكواكب كالإله في تصرفها في المخلوقات من خير وشر، والنبي (عليه الصلاة والسلام) بين عبر الأحاديث النبوية الشريفة أن رب العزة والجلال هو المتصرف في خلقه كيف شاء لا دخل بالكواكب والنجوم في التأثير علينا.

فادعاء معرفة الغيب، وأن الأفلاكَ وحركَتها مؤثرةٌ في أقدار الناس، واستشفاء الناس بها، وحلهم وترحالهم بمواقيت سعدها ونحسها، لَهُوَ من الجاهلية الأولى، فالإسلام أشار إلى أن الأبراج والنجوم زينة، وللإهتداء بها ليلا، فاهتم المسلمون بها لمعرفة الحساب والمواقيت ومدد الفصول الأربعة وعلامات وبالنجم هم يهتدون.

وقد اهتم الجاهليون بأمر التوقيت، أي: تعيين الأوقات وضبط الأزمنة، لعوامل ضرورية عديدة. فالزراعة خاضعة لتقلبات الجو وتبدل المواسم، وكذلك الأعياد لدى الملل الأخرى، وكثير من الشعائر الدينية وأمور العبادة لها علاقة بالتوقيت كذلك، كما أن للتجارة وللسير في البر والبحر صلة كبيرة بمعرفة الأنواء والطوالع. ولهذا عنوا بتتبع سير الكواكب ودراسة ملامح السماء وظواهر الطبيعية التي لها علاقة بالرياح والأمطار وبأمثال ذلك للاستفادة منها في الحياة العملية. واستمر الحال على ما كان عليه من مدارسة علم الفلك للحاجة إليه للمسائل الآنفة الذكر.

ونستعرض حادثتين إحداهما لعمر بن الخطاب ﷺ والأخرى لعلي بن أبي طالب ﷺ وموقف كل منهما من هذا العلم الذي اختلط به علم السحر والكهانة، فعن الربيع بن سبرة الجهني قال: لما غزا عمر وأراد الخروج إلى الشام خرجت معه، فلما أراد أن يدلج نظرت فإذا القمر في

---

(١) البرهان فوري: المصدر السابق، ج٣، ص ٣٥٨، ر ٦٩٢٦.

(٢) الأنعام: الآية ٩٦- ٩٧.

الدبران فأردت أن أذكر ذلك لعمر فعرفت أنه يكره ذكر النجوم، فقلت له: يا أبا حفص انظر إلى القمر ما أحسن استواءه هذه الليلة؛ فنظر فإذا هو في الدبران. فقال: قد عرفت ما تريد يا ابن سبرة، تقول: إن القمر في الدبران، والله ما نخرج بشمس ولا بقمر إلا بالله الواحد القهار [1].

وعن مسافر بن عوف بن الأحمر أنه قال لعلي بن أبي طالب ﷺ حين انصرف من الأنبار إلى أهل النهروان: يا أمير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة، وسر في ثلاث ساعات يمضين من النهار قال علي: ولم؟ قال: لأنك إن سرت في هذه الساعة أصابك أنت وأصحابك بلاء وضرر شديد!! وإن سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفرت وظهرت وأصبت وطلبت!!. فقال علي: ما كان لمحمد ﷺ منجم ولا لنا من بعده. هل تعلم ما في بطن فرسي هذه؟ قال: إن حسبت علمت! قال: من صدقك بهذا القول كذَّبَ القرآن.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ [2] الآية، ما كان محمد ﷺ يدعي علم ما ادعيت علمه. تزعم أنك تهدي إلى علم الساعة التي يصيب السوء من سافر فيها؟ قال: نعم. قال: من صدقك بهذا القول استغنى عن الله تعالى في صرف المكروه عنه، وينبغي للمقيم بأمرك أن يوليك لأمر دون الله ربه، لأنك أنت تزعم هدايته إلى الساعة التي تنجو من السوء، من سافر فيها، فمن آمن بهذا القول لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ دون الله ندا وضدا، اللهم لا طائر إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك، نُكذِّبُك ونخالفك، ونسير في هذه الساعة التي تنهانا عنها، ثم أقبل على الناس فقال: يا أيها الناس، إياكم وتعلم هذه النجوم إلا ما يهتدى به في ظلمات البر والبحر، إنما المنجمُ كالكافر، والكافر في النار، والله لئن بلغني أنك تنظر في النجوم وتعمل بها لأخلدنك في الحبس ما بقيتَ وبقيتُ، ولأحرمنك العطاء ما كان لي سلطان.

ثم سار في الساعة التي نهاه عنها فأتى أهل نهروان [3] فقتلهم. ثم قال: لو سرنا في الساعة التي أمرنا بها فظفرنا أو ظهرنا لقال قائل: سار في الساعة التي أمر بها المنجم. ما كان

---

(١) البرهان فوري: المصدر السابق، ج١٠، ص ٢٧٥، ر ٢٩٤٣٣.

(٢) لقمان: الآية ٣٤ .

(٣) نهروان وأكثر ما يجري على الألسنة بكسر النون وهي ثلاثة نهروانات الأعلى والأوسط والأسفل هي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي حدها الأعلى متصل ببغداد وفيها عدة بلاد وكان بها وقعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب مع الخوارج مشهورة، انظر الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص ٣٢٤.

لمحمد ﷺ منجم ولا لنا من بعده. ففتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وسائر البلدان، أيها الناس: توكلوا على الله وثقوا به فإنه يكفى ما سواه [١].

فالخلفاء الراشدون لم يكونوا بمعزل عن تثقيف وتعليم المسلمين بل تابعوا القوم حتى اطمأنوا على سير تعليمهم دونما شائبة، مع الاهتمام الحثيث بكتاب الله ﷻ وصونا له حتى يتلى كما أنزل على نبينا محمد ﷺ .

(١) البرهان فوري: المصدر السابق، ج١٠، ص ٢٧٨، ر ٢٩٤٣٩.

الفصل الثاني: التعليم العام في العصر الأموي

المبحث الأول: تعليم الصبيان.

المبحث الثاني: تعليم المرأة.

المبحث الثالث: أماكن التعليم.

المبحث الرابع: المعلمون.

المبحث الأول: تعليم الصبيان

يعد العصر الأموي من أزهى العصور الإسلامية ففي هذا العصر وصلت الفتوحات الإسلامية إلى أقصى مداها من حدود الصين إلى أبواب فرنسا في بواتيه في الوسط الغربي من فرنسا [١]، وفي هذا العصر تم طبع البلاد المفتوحة بالطابع الإسلامي عن طريق بناء العديد من الحواضر والمساجد والتي منها على سبيل المثال: مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى، والمسجد الأموي في دمشق، بالإضافة إلى توسعة المسجد النبوي والمسجد الحرام، إلى جانب بناء مدينة واسط، وميناء تونس، والقيروان، وغيرها، والتي لعبت دورا علميا هاما، فكانت تلك الحواضر والمساجد مراكز إشعاع حضاري، كما كان لتعريب الدواوين والعملة أثر كبير في نشر اللغة العربية والإسلام في الأقاليم المفتوحة، إلى جانب تنشيط الحركة العلمية والثقافية.

لقد تحولت الإرهاصات العلمية في العصر الراشدي إلى نهضة علمية شاملة في العصر الأموي نتيجة تشجيع الخلفاء للعلم والعلماء لا بل واشتغال بعضهم بالعلم أمثال معاوية بن أبي سفيان ﷺ وعبد الملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز وغيرهم من خلفاء بني أمية مما ساهم في تنافس الرعية في طلب العلم، فَدُوِّنَ المصدرُ الثاني للتشريع في عهد عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى، وتطور علم الكيمياء وازدهرت الترجمة، ونضجت علوم اللغة، والفلك، والجغرافيا، والتفسير، والفقه، وعلم الرجال، وغيرها من فروع المعرفة.

إن التمازج الحضاري بين العرب والفرس والروم والقبط وغيرهم من الأجناس التي انطوت تحت راية الدولة الأموية، ساهم مساهمة فاعلة في تقديم تجربة فريدة في مختلف المجالات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والعلمية، ففي ظل عدالة الإسلام تنافس الجميع في طلب العلم، ونشر المعرفة، فبرز الأسود والأبيض والعبد والحر والمسلم وغير المسلم، والسقيم والسليم، لا بل ووصل بعض المبتلين في صحتهم إلى قمة الإفتاء في عهد عبد الملك بن مروان، وستحاول الدراسة في الصفحات الآتية تسليط الضوء على تطور التعلم في هذه الدولة العظيمة من خلال الحديث عن تعليم الصبيان وتعليم المرأة وأماكن التعليم والمعلمون.

لقد كانت عناية الدولة الإسلامية بتعليم الصبيان منذ فترة مبكرة من تاريخنا الإسلامي عندما جعل المصطفى ﷺ فداء بعض أسرى بدر مقابل تعليم صبيان المدينة، وتواصل الاهتمام بتعليم الصبيان في العصر الراشدي وبلغ ذروته في العصر الأموي وهذا يتضح من كثرة وصايا

---

(١) انظر الملحق (٣)، خارطة انتشار الإسلام وحدود الدولة الأموية.

خلفاء وولاة بني أمية لمؤدبي أولادهم التي تفيض بها كتب الأدب والتي تعكس مدى تمسك الخلفاء الأمويين بأهداب القيم العربية الإسلامية. كما وأن أخبارهم متناثرة في ثنايا كتابات العلماء الذين شرعوا في هذا العصر يسجلون علوم اللغة والأدب و الدين صيانة لها من الدس والتحريف[١].

وكما هو معلوم كانت تربية الطفل المسلم تبدأ في الوسط العائلي. وكان من واجب الأب أن يعلم طفله الشهادة – لا إله إلا الله محمد رسول الله– بمجرد اقتدار الطفل على النطق الصحيح وأن يبدأ في تعليمه الصلاة عندما يبلغ السابعة من العمر ثم يدفع به إلى الكتاب لتعلم القراءة والكتابة. وهناك حالات كان الأطفال يُدْفَعون إلى المعلم في سن الخامسة أو السادسة[٢]. فالتعليم في الصغر كالنقش على الحجر.

ولا يمنع النظام التربوي من حضور مجالس علوم القرآن والحديث من كان أقل عمرا من الخامسة إذا كان يفهم الخطاب ويرد الجواب[٣]. وقد يستصغر الشيخ بعضا من طلابه ولا يمنعه ذلك من إجازته برواية كتبه عنه[٤]. وكانت الإجازة متعارف عليها في ذلك العصر فعن ابن جريج قال: ما سمعت من الزهري شيئا، إنما أعطاني الزهري جزأ فكتبته وأجازه لي[٥].

وقد تطول ملازمة الطالب لشيخه وتورثه سمت معلمه وطريقته في التدريس، فكان عبد الله بن وهب المالكي قد صحب إمامه مالكا عشرين سنة، وربما امتد الأجل إلى أربعين عاما كما قال أبو عوانة: صحبت يزيد بن زريع أربعين سنة يزداد كل سنة خيرا، والإمام مالك نفسه تأثر بسمت شيوخه الزهري، وربيعة، وابن المكندر، وجعفر بن محمد، وكان أبو يوسف القاضي صورة عن شيخه أبي حنيفة، وكان أبو حنيفة تلميذ حماد وغيره[٦].

---

(١) العمايرة، محمد حسن: الفكر التربوي الإسلامي، دار المسيرة، عمّان، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ١١١ .

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ٢٠٢ .

(٣) الوادي آشي، أحمد بن علي ت(٩٣٨هـ/ ١٥٣٢م) : ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١١٣ .

(٤) اليحصبي، عياض بن موسى ت(٥٤٤هـ/ ١١٤٩م) : ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الامام مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ج١، ص ٥١٠ .

(٥) ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد ت(٣٢٧هـ/ ٩٣٩م) : الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م، ج٥، ص ٣٥٧، ر ١٦٨٧ .

(٦) حمدان، نذير : في التراث التربوي، دار المأمون، دار الثقافة العربية، دمشق، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ١٥٦ .

ومن الأمثلة العجيبة لالتزام المجلس ما روي أن ثعلب قال: ما فقدت إبراهيم الحربي من مجلس لغة ولا نحو من خمسين سنة[1]. وكان على الطالب الاهتمام بما يقوله المعلم والحرص على كتابته فعن شعبة قال: انظر ما يقرأ به أبو عمر بن العلاء مما يختاره فاكتبه، فإنه سيصير للناس أستاذا[2]. وقال الخليل بن أحمد ت (١٧٠ هـ/ ٧٨٦م): ما سمعت شيئا إلا كتبته، ولا كتبته إلا حفظته، ولا حفظته إلا ينفعني به الله ﷻ. وقال سعيد بن جبير كنت أكون مع ابن عباس فأسمع منه الحديث، فأكتبه في واسطة الرحل، فإذا نزلت نسخته[3].

وعند ظهور ملامح النباهة والتفوق لدى الطلبة نجد اليد الطولى من قبل المعلمين تأخذ بهم وترعاهم كقول الأصمعي – تلميذ أبي عمرو بن العلاء –: قال لي أبو عمرو بن العلاء: لو تهيأ أن أفرغ ما في صدري من العلم في صدرك لفعلت[4].

وتصل مظاهر العناية بالطلاب المتفوقين إيثارهم على أنفسهم بالأمور المعاشية المادية كما حدث بين أبي حنيفة وصاحبه أبي يوسف، وكان أبي حنيفة أكرم الناس مجالسة وأشدهم إكراما لأصحابه.. وإن كان مريضا عاده، أو في غم خفض عنه أو مسافرا تفقد أهله، وتعرض لقضاء حوائجهم ووصلهم بما أمكن. وهذا الأسلوب في التعامل شائع بين الأساتذة الموسرين وطلابهم المعوزين[5].

بل ويُرشَّح المتعلم بأن يحل محل معلمه إذا تكاملت عنده مقومات العلم والتعليم وإن كان في مقتبل العمر، فحين سأل عبد الله بن لهيعة أبا الأسود: من للرأي بعد ربيعة بالمدينة؟ قال: الغلام الأصبحي يعني مالكا . وسأل طلحةُ بن عمرو المكي، عطاءَ بن أبي رباح: من نسأل بعدك يا أبا محمد؟ قال: هذا الفتى إن عاش. يعني ابن جريج[6] .

---

(١) حمدان: المرجع السابق، ص ١٩٢ .

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ١٦٣ .

(٣) الباجي، سليمان بن خلف ت(٤٧٤هـ/ ١٠٨٢م) : سنن الصالحين وسنن العابدين، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص ٢٤٧ .

(٤) حمدان: المرجع السابق، ص ١٦٣ .

(٥) المرجع السابق نفسه، ص ١٩٠ .

(٦) المرجع السابق نفسه، ص ١٦٣ .

وقد كان كثير من السلف يستفيد من تلامذتهم ما ليس عندهم، وقد ثبت في الصحيح رواية جماعة من الصحابة عن التابعين وروى جماعات من التابعين عن تابعي التابعين، وهذا عمرو بن شعيب ليس تابعيا وروى عنه أكثر من سبعين من التابعين[١]. وإذا بلغ المتعلم هذه المنزلة من نفاذ العلم وحسن البصيرة فعليه أن يغتنم أوقاته ويحرص على الاستفادة منها وخاصة في حال فراغه.

ويشير النووي[٢] إلى العناصر الجامعة والمساعدة على تحصيل العلم فيقول: وينبغي أن يغتنم التحصيل في وقت الفراغ، والنشاط وحال الشباب وقوة البدن ونباهة الخاطر وقلة الشواغل قبل عوارض البطالة وارتفاع المنزلة. وقال الشافعي: تفقه قبل أن ترأس فإذا رأست فلا سبيل إلى التفقه[٣].

وقال رجل لأبي هريرة ﷺ: أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه. فقال: كفى بتركك له تضييعا. ويجب أن يكون طلبه للعلم خالصا لوجه الله تعالى لا يبتغي به الدنيا ولا الوجاهة فيها، فإن كان العلم للآخرة أورثه الله الدنيا والآخرة وأتته الدنيا وهي راغمة، وعن سفيان بن عيينة: طلبنا العلم لغير الله، فأبى إلا أن يكون لله[٤].

وكان منارُ الطلبةِ في حرصهم على العلم الصحابة الكرام، فعن ابن عباس ﷺ قال: وجدت عامة علم رسول الله ﷺ عند هذا الحي من الأنصار، إن كنت لأقيل بباب أحدهم ولو شئت أذن لي، ولكن أبتغي بذلك طيب نفسه[٥]. ومن حرصهم على التعلم عند الصحابة والتابعين

---

(١) حمدان: المرجع السابق، ص ١٨٩ .

(٢) النووي ت (٦٧٦ هـ/ ١٢٧٧م) يحيى بن شرف الحوراني، النووي، الشافعي، محيي الدين: علامة بالفقه والحديث. مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران) وإليها نسبته. انظر الزركلي: الأعلام، ج٨، ص ١٤٩.

(٣) حمدان: المرجع السابق، ص ١٨٨ .

(٤) الباجي: سنن الصالحين وسنن العابدين، المصدر السابق، ص ٢٤٨ .

(٥) المصدر السابق نفسه، ص ٢٥٤ .

لا يكتفون بالعدد القليل منهم، فانظر قول نافع: قرأت على سبعين من التابعين فما اجتمع عليه اثنان أخذته، وما شذ فيه واحد تركته، حتى ألفت هذه القراءة[1].

وعلى ولي الأمر أن يوجه الطلبة إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم مع تنويع مشارب العلم، قال ابن جريج: كنت أتتبع الأشعار الغريبة والأنساب فقيل لي: لو لزمت عطاء. فلزمته ثماني عشرة سنة أو تسع عشرة سنة إلا أشهرا أو ما شاء الله[2]. وبعد ملازمته عطاء تجده من كبار المفسرين للقرآن الكريم. قال سفيان: قال ابن جريج وهو ابن أربعين سنة: اقرأ علي القرآن حتى أفسره لك[3].

ويتوجب على المتعلم أن يبدأ أولا بكتاب الله العزيز فيتقنه حفظا ويجتهد في إتقان تفسيره وسائر علومه، فإنه أصل العلوم وأهمها، ثم يحفظ من كل فن مختصرا يجمع بين طرفيه من الحديث والفقه وعلم اللغة والتاريخ.

طرق التعليم

أ- حلقات التدريس

الحلقة كل شيء استدار[4] وسميت حلقات التدريس بهذا الاسم لأن الطلاب كانوا يلتفون حول معلمهم على شكل أنصاف دوائر. ويلقي المعلم خلال تلك الحلقات درسه شفويا، أو من كتاب بين يديه، وقد يكون الكتاب من تأليفه، أو من تأليف غيره، وقبل أن يبدأ المعلم بتدريس الكتاب، كان يعطيهم فكرة عامة عن موضوع الدرس ويناقشهم في موضوع الكتاب، ويوضح ويفسر ويناقش كلما واجهته صعوبة[5]. وقد اشتهرت العديد من الحلقات في العصر الأموي في المسجد النبوي، والمسجد الأقصى، والمسجد الحرام، والمسجد الأموي في دمشق وغيرها، ومن

---

(١) ابن غلبون، عبد المنعم بن عبيد الله ت(٣٨٩هـ/ ٩٩٩م) : الاستكمال لبيان جميع ما يأتي في كتاب الله عز وجل في مذهب القراء السبعة، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ص ١١ .

(٢) ابن أبي حاتم: المصدر السابق ج٥، ص ٣٥٦، ر ١٦٨٧ .

(٣) المصدر السابق نفسه، ج٥، ص ٣٥٧، ر ١٦٨٧ .

(٤) ابن منظور: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٦١.

(٥) العمايرة: المرجع السابق، ص ١٣٩ .

أشهر تلك الحلقات حلقة مالك بن أنس في المدينة وأبو حنيفة في العراق، وأبو الدرداء والزهري في الشام، والليث بن سعد في مصر وغيرها، حيث كان من مخرجات تلك الحلقات كوكبة مباركة من كبار العلماء ملؤوا الدنيا علما وثقافة. فنظام الحلقات والمجموعات والحوار والمناقشة هي في الحقيقة من موروثات تراثنا الحضاري، وليس نظاما أجنبيا عنا، ولا زال هذا النظام معمولا به حتى عصرنا الحاضر كما في الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة.

ب- طريقة القراءة

وتتم هذه الطريقة بأن يقرأ المعلم من كتاب ويقوم الطلاب بالكتابة على نسخهم، أو يقرأ الطالب من المجموعة بوجود المعلم، ويقوم الطلاب الآخرون بالكتابة، ويكون دور المعلم تصحيح الأخطاء وإرشاد الطلاب إلى النطق السليم للكلمات.

وقد شاع استخدام هذه الطريقة وبشكل خاص في تعليم القراءات القرآنية، والعلوم الدينية واللسانية. وكان استخدامها يتناسب وظروف العصر [١]. فعن علقمة قال: كنا جلوسا عند عبد الله ومعنا زيد بن حدير، فدخل علينا خباب فقال: يا أبا عبد الرحمن، أكل هؤلاء يقرأ كما تقرأ؟ فقال: إن شئت أمرت بعضهم فقرأ عليك. قال: أجل. فقال لي: اقرأ. فقال ابن حدير: تأمره يقرأ وليس بأقرئنا! فقال: أما والله إن شئت لأخبرنك ما قال رسول الله ﷺ لقومك وقومه. قال علقمة: فقرأت خمسين آية من مريم. فقال خباب: أحسنت. فقال عبد الله: ما أقرأ شيئا إلا هو قرأه.[٢]

وكقول الزعفراني[٣]: قدم علينا الشافعي فاجتمعنا إليه فقال: التمسوا من يقرأ لكم فلم يجترئ أحد أن يقرأ عليه غيري وكنت أحدث القوم سنا[٤].

---

(١) العمايرة: المرجع السابق، ص ١٤٠ .

(٢) ابن حنبل: المصدر السابق، ج٧، ص ١٢٤، ر ٤٠٢٥.

(٣) ابن الصباح الزعفراني ت(٢٥٩ هـ/ ٨٧٣ م) :الحسن بن محمد بن الصباح البزار الزعفراني البغدادي: فقيه، من رجال الحديث، ثقة. كان راويا للامام الشافعي. انظر الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٢، ص ٢١٢ .

(٤) حمدان: المرجع السابق، ص ١٩٣ .

ج- المناظرة

المناظرة من النظير وتعني المثل أو بمعنى الند[1]، والمناظرة حوار بين طرفين بغية الوصول للصواب والحق دونما تعصب وإلا كان جدالا. وشاع استخدام المناظرة وذلك لعدة عوامل منها: الخلافات الفكرية والمذهبية بين الاتجاهات الفكرية المختلفة ومحاولة كل اتجاه فكري نشر فكره السياسي والديني، وكذلك محاولة بعض الفرق الدينية المنحرفة نشر فكرها ومناهضة الدين الإسلامي. وقد شاع استخدامها بشكل خاص في حلقات المساجد، وفي المجالس العلمية والساحات العامة. وتكون المناظرة بأن يطرح سؤالا للمناقشة، وقد يكون الحوار بين عالم وعالم والطلاب، والمستمعون يدونون ملاحظاتهم الشفوية والكتابية، وقد يكون الحوار بين المدرس وطلابه، أو بين الطلاب أنفسهم بإشراف المعلم. وللمناظرة فوائد في تقوية الحجة وإطلاق اللسان والقدرة على الارتجال، وجودة التعبير، وما لها من أثر على حرية الفكر والثقة بالنفس[2].

ومن المناظرات بين الأئمة العلماء ما كان بين الإمام أبو حنيفة ت (١٥٠ هـ/ ٧٦٧م) مع الأوزاعي ت (١٥٧هـ/ ٧٧٤م) بمكة إذ قال الأوزاعي لأبي حنيفة: ما لكم لا ترفعون أيديكم عند الركوع والرفع منه؟ فقال أبو حنيفة: لأجل أنه لم يصح عن رسول الله ﷺ فيه شيء. أي لم يصح معنى إذ هو معارض وإلا فإسناده صحيح. فقال الأوزاعي: كيف لم يصح وقد حدثني الزهري عن سالم عن أبيه عبد الله بن عمر: أن رسول الله ﷺ كان يرفع يديه إذا افتتح الصلاة وعند الركوع وعند الرفع منه. فقال أبو حنيفة: حدثنا حماد عن إبراهيم عن علقمة والأسود عن ابن مسعود: أن النبي ﷺ كان لا يرفع يديه إلا عند الافتتاح ثم لا يعود. فقال الأوزاعي: أحدثك عن الزهري عن سالم عن أبيه، وتقول حدثنا حماد عن إبراهيم. فقال أبو حنيفة: حماد أفقه من الزهري، وكان إبراهيم أفقه من سالم، وعلقمة ليس دون ابن عمر [أي في الفقه] وإن كان لابن عمر صحبة، أو له فضل صحبة، فالأسود له فضل كثير. فرجَّحَ أبو حنيفة لفقه الرواة كما رجح الأوزاعي لعلو الإسناد.[3]

وتعد المناظرات من أبرز معالم حرية التعبير في الدولة الإسلامية، ومن العوامل المهمة في تطور العلوم وإثراء المعرفة. إذ لا يقصد بها إلا إحقاق الحق، وانظر إلى الرسائل المتبادلة

(١) ابن منظور: المصدر السابق، ج٥، ص ٢١٩.

(٢) العمايرة: المرجع السابق، ص ١٤١ .

(٣) علي، سعيد اسماعيل : المرجع السابق، ص ٤٣ .

بين الإمام مالك والليث تجد الخلاف في وجهة النظر مع أدب المناقشة وحسن المودة وسعة الصدر التي امتاز بها المحققون من العلماء الأوائل.[١]

د- الإملاء

وكان إلقاء الدروس في الإملاء بطيئا، فقرة فقرة، أو حديثا حديثا، حتى يتمكن الطلاب من الكتابة، ثم يقوم المعلم بالشرح والتوضيح، بذلك فالكتابة شرط أساسي في الإملاء، وهذا ما يختلف عن طريقة السماع التي كانت شائعة في العصور الإسلامية الأولى، حيث لم تكن الكتابة من ضروراتها، فالحرية متروكة للطالب.

وكان الشيخ أو المدرس يراعي عقول السامعين، وكلما روى شيئا كان يعلق بالشرح والتوضيح والتفسير، وبين ما فيه من المعاني الدقيقة التي يصعب فهمها على غير العلماء ويدون الطلاب هذه المعلومات على هامش الأوراق التي كتبت عليها الأصول وفي النهاية كان المعلم يختتم درسه بالحكايات والنوادر والأناشيد والأشعار.

وكانت العادة أن يطلب المعلم أو الشيخ من المتعلمين إعادة قراءة ما أملاه عليهم، فإذا وجد خطأ في النقل أصلحه، وفي ذلك ضبط لتوثيق المعلومات وصحتها وعدم التضارب فيها[٢]. وكان الصبيان يبدؤون يومهم المدرسي بحفظ القرآن ويستمرون إلى الضحى ثم ينتقلون بعد ذلك إلى تعليم الكتابة حتى الظهر ثم ينصرف التلاميذ إلى بيوتهم. كما أن الدراسة تعطل بمناسبة الأعياد.

ويقوم معلم الكتاب بالاستماع إلى كل واحد منهم للتأكد من حفظهم لما كتبوه على الألواح، بعدها يقوم الصبي بمسح اللوح بوضعه في إناء به ماء طاهرا ثم يجففه، وفي بداية تعلم الصبي الكتابة كان المعلم يقوم بإملاء آية أو آيات من القرآن على كل واحد ويطالبه بكتابتها، ثم ينتقل إلى صبي ثان ثم إلى آخر وهكذا ثم يعود إلى الصبي الأول ليراجع له كتابته، وكان المعلم يستعين بكبار التلاميذ كعرفاء يساعدونه لتعليم المبتدئين.

---

(١) نفس المرجع السابق والصفحة.

(٢) العمايرة: المرجع السابق، ص ١٤٢ .

وكانت الدرة من عدة المعلم يستخدمها في عقاب المقصرين من تلاميذه، ولكن الضرب بالدرة أو الفلقة كان لا يستخدم عادة إلا إذا فشل النصح والتقريع بالكلام غير البذيء أو الجارح، وكان الضرب عادة بعيدا عن العنف والقسوة وفي أماكن الجسم التي لا يترتب عليها إلحاق ضررا بالطفل، وعادة ما يكون الضرب على الرجلين في حدود ضربة واحدة إلى ثلاث[١].

وللشيزري آراء في تعليم الصبيان نقلها ممن سبقه وأضاف عليها في كتابه نهاية الرتبة في تعليم الحسبة ومنها:

أنه لا يجوز لمؤدبي الصبيان تعليمهم الخط في المساجد، لأن النبي ﷺ أمر بتنزيه المساجد من الصبيان والمجانين؛ لأنهم يسودون حيطانها ، وينجسون أرضها، إذ لا يحترزون من البول وسائر النجاسات؛ بل يتخذون للتعليم حوانيت في الدروب وأطراف الأسواق [٢]. وأول ما ينبغي للمؤدب أن يعلم الصبي السور القصار من القرآن، بعد حذقه بمعرفة الحروف وضبطها بالشكل، ويدرجه بذلك حتى يألفه طبعه، ثم يعرفه عقائد أهل السنة والجماعة، ثم أصول الحساب، وما يستحسن من المراسلات والأشعار دون سخيفها ومسترذلها.

وفي الرواح يأمرهم المؤدب بتجويد الخط على المثال، ويكلفهم عرض ما أملاه عليهم حفظا غائبا لا نظرا. ومن كان عمره فوق سبع سنين أمره المؤدب بالصلاة في جماعة، لأن النبي ﷺ قال: (علموا صبيانكم الصلاة لسبع، واضربوهم على تركها لعشر) .

ويأمرهم المؤدب ببر الوالدين، والانقياد لأمرهما بالسمع والطاعة، والسلام عليهما وتقبيل أيديهما عند الدخول إليهما ؛ ويضربهم على إساءة الأدب والفحش من الكلام، وغير ذلك من الأفعال الخارجة عن قانون الشرع، مثل اللعب بالكعاب والبيض والسير ونردشير، وجميع أنواع القمار، ولا يضرب صبيا بعصا غليظة تكسر العظم، ولا رقيقة تؤلم الجسم، بل تكون وسطا، ويتخذ مجلدا عريض السير، ويعتمد في ضربه على اللوايا والأفخاذ وأسافل الرجلين، لأن هذه المواضع لا يخشى منها مرض ولا غائلة .

---

(١) المرجع السابق نفسه، ص ١٤٦ .

(٢) الشيزري، عبد الرحمن بن نصر ت(٥٩٠هـ/ ١٠٩٤م) : نهاية الرتبة في طلب الحسبة، دار الثقافة، بيروت، د.ت، ص ١٠٣ .

ولا ينبغي للمؤدب أن يستخدم أحد الصبيان في حوائجه وأشغاله التي فيها عار على آبائهم، كنقل الزبل وحمل الحجارة، وغير ذلك. ولا يرسله إلى داره وهي خالية، لئلا تتطرق إليه التهمة. ولا يرسل صبيا مع امرأة ليكتب لها كتابا، ولا غير ذلك، فإن جماعة من الفساق يحتالون على الصبيان بذلك.

ويكون السائق لهم أمينا ثقة متأهلا؛ لأنه يتسلم الصبيان في الغدو والرواح، وينفرد بهم في الأماكن الخالية، ويدخل على النسوان؛ فيلزم أن يكون كذلك. وينبغي للمؤدب أن يمنع الصبيان من حفظ شيء من شعر ابن الحجاج[١] والنظر فيه، ويضربهم على ذلك.

وكذلك ديوان صريع الدلاء[٢]، فإنه لا خير فيه، وكذلك الأشعار التي عملتها الروافض في أهل البيت؛ فلا يعرفهم شيئا من ذلك، بل يعلمهم الأشعار التي مدحت بها الصحابة رضوان الله عليهم، ليرسخ ذلك في قلوبهم.[٣]ولا بأس بأخذ المعلم الأجرة من أولياء الأمور، فقد قال ابن مسعود: ولا بد للناس من معلم يعلم أولادهم ويأخذ على ذلك أجرا ولولا ذلك لكان الناس أميين. وعن ابن جريج قال: قلت لعطاء: أآخذ أجرا على تعليم الكتاب؟ أعلمت أن أحدا كرهه؟ قال: لا. واستدلوا على جواز أخذ الأجر بفعل سعد بن وقاص أنه قدم برجل من العراق يعلم أبناءهم الكتاب بالمدينة ويعطونه الأجر[٤].

لقد لخص هذا النص الثمين أصول التربية والتعليم بأبهى صورها وقدم خلاصة تجربة الأمة في التعليم.

---

(١) الحسين بن أحمد بن محمد ابن الحجاج؛ الكاتب الشاعر المشهور ذو المجون والخلاعة والسخف في شعره، مدح الملوك والأمراء والوزراء والرؤساء، كانت وفاته سنة ٣٩١هـ/ ١٠٠١م، بالنيل وهي بلدة على الفرات بين بغداد والكوفة، وحمل إلى بغداد، ودفن عند مشهد موسى بن جعفر. وأوصى أن يدفن عند رجليه، وأن يكتب على قبره " وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد " . انظر ابن خلكان، أحمد بن محمد ت(٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان، دار صادر، بيروت ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ج٢، ص ١٦٨، ر ١٩٢.

(٢) صريع الدلاء ت (٤١٢ هـ/ ١٠٢١م) محمد بن عبد الواحد القصار، المعروف بصريع الدلاء قتيل الغواشي، ذي الرقاعتين: شاعر، بصري المولد والمنشأ. استوطن بغداد. وقدم مصر، ومدح الظاهر الفاطمي، وتوفي فيها. ومن شعره : من نام لم يبصر بعيني رأسه * ومن تطأطأ راكعا قد انحنى !. انظر الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٦، ص ٢٥٤ .

(٣) الشيزري، المصدر السابق ، ص ١٠٤- ١٠٥.

(٤) حجازي: المرجع السابق، ص ١١٤ .

آداب المتعلم

من العلماء المربين والفقهاء المعدودين أبو حنيفة النعمان بن ثابت (٨٠-١٥٠هـ/٦٩٩-٧٦٧م) صاحب رسالة العالم والمتعلم والتي بين فيها ضرورة الالتزام بالهدي الأول وتحصين المتعلم من الشبهات والطعون في دينه ووصى بتقوى الله وطاعته، والتأني وضرورة الاستفسار في حالة تعسر الفهم، وغيرها من الوصايا المتضمنة في رسالته. [١]

ومن العلماء المربين والفقهاء المعدودين أيضا مالك بن أنس (٩٣-١٧٩هـ/ ٧١٢-٧٩٥م) الذي قال لأمه: أذهب فأكتب العلم؟ فقالت: تعال. فاللبس ثياب العلم. فألبستني ثيابا مشمرة، ووضعت الطويلة على رأسي، وعممتني فوقها، ثم قالت: اذهب فاكتب الآن.

وكان له منهج في التعليم وتعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنه كان يؤدب من كان لا يحسن الأدب في الحلقات العلمية، ويمكن الاطلاع على سيرة هؤلاء الأعلام للتأسي بهم في واقع حياتنا.

وممن تركوا بصمات واضحة في التعليم والفكر الإسلامي أبو حامد الغزالي ت (٥٠٥هـ/ ١١١١م)، ورغم أنه متأخر وفي فترة بعيدة عن العصر الأموي إلا أن توجيهاته كانت تستند على أسس للفكر التربوي معمول به في العصور السابقة، وبالتالي يمكن الاستئناس بها في هذا الموضع، فقد قدم مجموعة أفكار تتعلق بآداب المتعلم منها:

١- طهارة الظاهر والباطن أي المحافظة على الوضوء وابتغاء وجه الله تعالى في علمه.
٢- تفريغ القلب للعلم وقطع العلائق الشاغلة.
٣- اختيار أستاذ كامل في العلم والتقوى.
٤- الأدب في الاستفادة والتحصيل وذلك بتسجيل الفوائد ومصاحبة الصالح وترك الهموم والنشاط في المدارسة والمراجعة والمناظرة.
٥- إتقان طريقة واحدة حميدة ثم التشعب.
٦- عدم الاقتصار على علم واحد.
٧- عدم الخوض في فن من الفنون دفعة واحدة بل يراعي الترتيب ويبدأ بالأهم فالأهم.

---

(١) أبو حنيفة، النعمان ت(٨٠هـ/ ٧٦٧م): العالم والمتعلم، مطبعة الأنوار، القاهرة، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م، ص٨ وما بعدها.

٨- عدم تحقير أي علم من العلوم.

٩- الأدب عند الدرس والحضور بكامل الهيبة.

١٠- التحلي بالأخلاق الحميدة والرحلة في طلب العلم والسعي في العلم من الصغر وعدم تركه حال الكبر [1].

يتضح مما سبق أن تعليم الصبيان والعناية كانت من الناحية الشرعية والتربوية، وأن طرق تلقي العلم إما عبر الحلقات الدرسية أو القراءة، أوالمناظرة أو الإملاء، كما لابد من مراعاة المتعلم للترويح عن نفسه والاستجمام مما يساعده على الاستمرار في تلقي العلم.

---

(١) أبو حامد الغزالي، محمد بن محمد ت(٥٠٥هـ/ ١١١١م): أيها الولد، دار الاعتصام، القاهرة، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٤٧- ٦٥.

المبحث الثاني: تعليم المرأة

إن النماذج العظيمة التي خلفها لنا الإسلام من ذلك الميراث الخالد ميراث التضحية والعطاء ليجعلنا نعيد النظر مليا فيما يمكن أن تصنعه المرأة إن حسنت تربيتها وصفت المشارب والمنابع التي تنهل منها وترتوي، فامرأة كأم الشافعي تؤخذ نموذجا في التعليم والتربية حين تخرج بولدها يتيما من اليمن، وتمر به على فلسطين ثم يستقر بها المقام في مكة بلد أخواله رغبة منها أن يشب ولدها في بيئة علمية صالحة يتعلم فيها العربية والفقه والحديث ويحفظ القرآن، فحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين وحفظ موطأ مالك وهو ابن عشر سنين وجلس للإفتاء وهو ابن ست عشرة سنة[١].

ولعل من أبرز النساء المخضرمات في عصر الرسالة والعصر الراشدي والعصر الأموي أمهات المؤمنين اللاتي علمن الرجال والنساء على حد سواء فقد تأخر وفاة معظم أمهات المؤمنين حتى الفترة الأموية فعائشة بنت أبي بكر، توفيت عام (٥٨هـ/ ٦٧٧م) عن عمر يناهز ٦٦[٢]، وحفصة توفيت عام (٤٥هـ / ٦٦٥م) أو (٤١هـ/ ٦٦١م) وعمرها ٦٠ [٣]، وأم سلمة عام (٦٠ هـ/ ٦٧٩م) أو (٥٩هـ/ ٦٧٨م) عن ٨٤ سنة في عهد يزيد[٤]، وأم حبيبة توفيت في (٤٤ هـ/ ٦٦٤م) في خلافة معاوية[٥]، و سودة توفيت عام (٥٤ هـ/ ٦٧٣م)[٦]، و ميمونة بنت الحارث توفيت سنة (٥١ هـ/ ٦٧١م) أو (٦٦ هـ/ ٦٨٥م) وقيل سنة (٦٣هـ/ ٦٨٢م)[٧]، وجويرية بنت الحارث الخزاعية توفيت عام (٥٠ هـ/ ٦٧٠م)[٨]، وصفية بنت حيي توفيت عام (٥٠ هـ/ ٦٧٠م) أو (٥٢هـ/ ٦٧٢م) [٩]، إلا ما كان من وفاة خديجة بنت خويلد وذلك قبل الهجرة ومن وفاة زينب

(١) النعيمي، مريم عبد الله: لافتات للبمصرين، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص ٩١ .

(٢) الطبري، محب الدين أحمد بن عبد الله ت (٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م): السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، ص ١٢١ .

(٣) الطبري، محب الدين: المصدر السابق، ص ١٣٠ .

(٤) المصدر السابق نفسه، ص ١٤٧ .

(٥) المصدر السابق نفسه، ص ١٥٨ وفيه أنها توفيت في ٣٤هـ ولعله خطأ مطبعي، والتصحيح من الأعلام للزركلي ج٣، ص ٣٣ .

(٦) المصدر السابق نفسه، ص ١٦٧ .

(٧) المصدر السابق نفسه، ص ١٩٢ .

(٨) المصدر السابق نفسه، ص ٢٠٠ .

(٩) المصدر السابق نفسه، ص ٢٠٩ .

بنت جحش توفيت سنة (٢٠ هـ/ ٦٤٠م) زمن عمر بن الخطاب[1] وزينب بنت خزيمة توفيت (٤هـ/ ٦٥٢م) [2] (رضي الله عنهن أجمعين).

ولقد كان لهن أبلغ الأثر في التأثير على التعليم، بل كانت طرق عيشهن وما هم فيه من الزهد بالدنيا حافزا للاهتمام بتعلم الدين وإيثار الباقية على العاجلة. قال عطاء الخراساني: أدركت حُجُرَ أزواج النبي ﷺ من جريد، على أبوابها المسوح من شعر أسود، فحضرت كتاب الوليد بن عبد الملك يقرأ: يأمرنا بهدم حجر أزواج النبي ﷺ. فما رأيت يوما كان أكثر باكيا من ذلك اليوم. قال عطاء: فسمعت سعيد بن المسيب يقول يومئذ: والله لوددت أنهم تركوها على حالها، ينشأ ناشئ من أهل المدينة ويقدم القادم من الآفاق فيرى ما اكتفى به رسول الله ﷺ في حياته، فيكون ذلك مما يزهد الناس في التفاخر والتكاثر[3].

ولقد كان القادم إلى المدينة في طلب العلم يطلبه من مظانه من الصحابة الكرام وأمهات المؤمنين ﵃، فهن المعلمات الأُوَلُ لجيل التابعين، ولم يقتصر المؤرخون في تراجمهم على الرجال ودورهم في مجريات التاريخ الإسلامي بل عقبوا ذلك بذكر نساء المسلمين، وما لهن من دور مشرف في صعيد التربية الإسلامية، وما روين من السيرة النبوية وما فقهوه من الأحكام والسنة النبوية الشريفة.

فكان البعض يفتخر بكونه يروي عن سبعين امرأة، كهشام بن عبد الملك أبو الوليد الطيالسي[4]. وكان عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج يروي عن ست عجائز من عجائز المسجد الحرام وكان صاحب علم[5].

ولقد لعبت العديد من النسوة دورا تربويا وتعليميا رائدا، فأخذن بأيدي أطفالهن لطلب العلم، فعن حمزة الأعمى قال: ذهبت أمي إلى الحسن، فقالت: يا أبا سعيد ابني هذا قد أحببت أن

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١٨١ .

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ١٨٦ .

(٣) السمهودي: المصدر السابق، ص ٢٤٠ .

(٤) العجلي، أحمد بن عبد الله ت(٢٦١هـ/ ٨٧٤م) : تاريخ الثقات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، ص ٤٥٨، ر ١٧٣٨ .

(٥) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي ت(٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) : تأريخ مدينة السلام – تاريخ بغداد –، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، مج ١٢، ص ١٤٦، ر ٥٥٢٦.

يلزمك، فلعل الله أن ينفعه بك[١]. وقد اهتمت أم الشافعي بتربية ابنها على العلم وهو يتيم حتى بلغ من العلم مبلغه ولم يمنعها يتم ابنها وعسرة حالها في أن يكمل تعليمه بل وكانت تحضه عليه.

فكما أن الأمهات كن يحضضن على العلم، فقد كن كذلك يحذرن ممن يظنونه يستخف بأهل العلم، فعن إسحاق بن يوسف الأزرق قال: أردت الخروج إلى الكوفة. فقالت لي أمي: بحقي عليك يا إسحاق!! إذا دخلت الكوفة فلا تذهب إلى الأعمش[٢]، فقد بلغني أنه يستخف بأصحاب الحديث. فلما دخلت الكوفة هممت بالذهاب إلى الأعمش ثم ذكرت وصية أمي فتخلفت فلما رأيت أصحاب الحديث حملني حب العلم على أن ذهبت إليه. فقال لي: من أين أنت؟ فقلت: من واسط[٣]. قال: وما اسمك؟ قلت: إسحاق بن يوسف الأزرق. فقال: أليس قد قالت لك أمك: إذا دخلت الكوفة فلا تذهب إلى الأعمش فإنه يستخف بأصحاب الحديث. وقد بلغني ذلك . فقلت: ليس كل ما يبلغ الناس حق. قال: أما الآن فخذ، حدثنا عبد الله بن أبي أوفى قال: قال رسول الله ﷺ: (الخوارج كلاب النار)[٤].

وكانت منازل بعض الصحابيات ملتقى لأهل العلم، فعن إسماعيل بن عبيد الله قال: دخلت على أم الدرداء فلما سَلَّمْتُ جَلَسْتُ فسمعتُ كريمةَ بنت الحشحاشِ المزنية ، تقول: سمعت أبا هريرة وهو في بيت هذه ، وهي تشير إلى أم الدرداء ، يقول: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: (إن الله ﷻ قال: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه)[٥].

---

(١) ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد (٢٨١هـ / ٨٩٤م) : رسائل ابن أبي الدنيا في الزهد والرقائق والورع، المنتدى الإسلامي، الشارقة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، مج ٢، ص ١٥٠.

(٢) سليمان الاعمش ت (١٤٨ هـ / ٧٦٥ م) سليمان بن مهران الاسدي بالولاء، تابعي، ومنشأه ووفاته في الكوفة، كان عالما بالقرآن والحديث والفرائض، يروي نحو ١٣٠٠ حديث، انظر الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٣، ص ١٣٥ .

(٣) واسط بناها الحجاج بن يوسف الثقفي، وسميت بذلك لأنها متوسطة بين البصرة والكوفة لأن منها إلى كل واحدة منهما خمسين فرسخا، انظر الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص ٣٤٧ .

(٤) ابن عساكر: المصدر السابق، ج ٨، ص ٣١١ .

(٥) ابن عساكر: المصدر السابق، ج ٧٠، ص ٥١ .

بل وكان عددا من النساء يجعلن بيوتهن منارا للعلم يعلمن فيهن الجواري ويبلغن أحيانا نحوا من مئة جارية كلهن يحفظن القرآن الكريم[١]، وأم ورقة بنت عبد الله بن الحارث كان رسول الله ﷺ يزورها ويسميها الشهيدة وكانت قد جمعت القرآن[٢]. وعمرت دهرا.

وكذلك الشعر الأصيل فقد تعلمه إماء أهل المدينة منذ عهد الرسول ﷺ، فعن عمار قال: لما هجانا المشركون شكونا ذلك إلي النبي ﷺ فقال: (قولوا لهم كما يقولون لكم). قال: فلقد رأيتنا نعلمه إماء أهل المدينة .[٣] بل إن كثيرا من الوافدات على الخلفاء الأمويين والأمراءَ تَميَّزْنَ بالرقي الأدبي والثقافي كأم الخير بنت الحريش[٤] وأم سنان بنت خيثمة[٥] وامرأة أبي الأسود الدؤلي[٦].

ومن أولئك الوافدات على الأمراء ليلى الأخيلية تسأل الحجاج الصلة. فقال لها الحجاج: يا ليلى ما الذي أتى بك؟ قالت: إخلاف النجوم وقلة الغيوم وكلب البرد وشدة الجهد وكنت لنا بعد الله الرفد. ثم مدحته شعرا. فقال: يا فلان، اذهب بها إلى فلان فقل له: اقطع لسانها. فأمر بإحضار حجام!! فقالت: ثكلتك أمك! أما سمعت ما قال!! إنما أمرك بقطع لساني بالبر والصلة، وعندما عادت إلى الحجاج قالت: كاد والله أيها الأمير يقطع مقولي.[٧]

والبعض يكتب للاستفسار كأم حبيب بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة القرشية زوج يزيد بن معاوية، كتبت إلى النعمان بن بشير رضي الله عنه تسأله عن قصة زيد بن خارجة الأنصاري الذي تكلم بعد موته فكتب إليها بذلك[٨]. وهي إشارة إلى من يحسن الكتابة في ذلك العصر من نساء المسلمين. ومنهن المحدثات كخديجة بنت علي بن إبراهيم بن يوسف الشقيقي البصرية حدثت

---

(١) الذهبي، محمد بن أحمد ت(٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م) : سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ج ١٠، ص ٢٤١ .

(٢) ابن سعد: المصدر السابق، ج ٨، ص ٤٥٧ .

(٣) ابن حنبل: المصدر السابق، ج ٣٠، ص ٢٤٦، ر ١٨٣١٤.

(٤) ابن عساكر: المصدر السابق، ج٧٠، ص ٢٣٣ .

(٥) المصدر السابق نفسه، ص ٦٧ .

(٦) المصدر السابق نفسه، ص ٨٥ .

(٧) ابن خلكان: المصدر السابق، ج٢، ص٤٧– ٤٨ ، ر ١٤٩.

(٨) ابن عساكر: المصدر السابق، ج٧٠، ص ٢٠٨ .

بدمشق[1]، ومن المتعبدات العالمات شبكة البصرية كان في بيتها أماكن لتلامذتها وللمريدات تعلمهن طرق المجاهدات والمعاملة[2]. فنساء المسلمين لم يكنَّ بمنأى عن العلم والتعليم ومسابقة الرجال في مضمار العلم، فكان منهن المحدثات العابدات المعلمات المربيات، فشكر الله تعالى لهن سعيهن أجمعبن.

أما في الفصل بين الذكور والإناث فنجد أن السابقين ممن كتبوا في مجال التعليم يرون الاحتراز من تعليم البنات مع البالغين. قال سحنون: أكره للمعلم أن يعلم الجواري ويخلطهن مع الغلمان لأن ذلك فساد لهن[3].

ولكن إذا كان المتعلمون صغارا فلا بأس أن يكونوا في محل واحد مع التمايز فيما بينهم، لذى نجد أن أم الدرداء كانت يتيمة في حجر أبي الدرداء، تختلف معه في برنس، تصلي في صفوف الرجال، وتجلس في حلق القراء تعلم القرآن، حتى قال لها أبو الدرداء يوما: الحقي بصفوف النساء[4]. وصلاتها في صفوف الرجال وتعلمها القرآن في حلق القراء دليل على صغر سنها، ولم ينكر القوم عليها هذا الفعل حتى طلب منها أبو الدرداء اللحوق بصفوف النساء تعليما وتأديبا، وما هو الأمثل والأصلح لها. ولعل الفكر السائد في العصر الأموي أن لا بأس بتعليم الصغار ذكورا وإناثا في مكان واحد، والملاحظ من قول سحنون في تسمية المتعلمين من الذكور والإناث: بالجواري والغلمان. وهي إشارة إلى كبر سن المتعلمين وهو ما يتحرز من أجله، أما وهم صغار السن فلا بأس بذلك بدليل فعل أبي الدرداء ﵁.

وقد بلغ من اهتمام المرأة بالعلم أن أصبحت من رواة الحديث الشريف حتى أنك تجد سلسة الإسناد مسلسلا بالنساء. كعليلة بنت الكميت العتكية تروي عن أمها أمينة عن أمة الله بنت رزينة عن رزينة خادم رسول الله ﷺ[5]. وما يرويه أيضا عبد الرحمن بن عمرو بن جبلة بقوله: حدثتنا منيعة بنت شعبة الطائية قالت: سمعت أمي حفصة بنت عمر الطائية أنها سمعت عائشة

---

(١) المصدر السابق نفسه، ج ٦٩، ص ١١٢ .

(٢) الأزدي، محمد بن الحسين ت (٤١٢ هـ/ ١٠٢١م) : طبقات الصوفية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص ٣٩١ .

(٣) حجازي: المذهب التربوي عند ابن سحنون، ص ١٢٣ .

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٢٧٧ .

(٥) ابن عساكر: المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٠٥ .

ﷺ تقول: قال لي رسول الله ﷺ: (إذا أردت أن يذكرك الله عنده فأكثري من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر)[1].

و حديث عبد الوارث بن عبد الصمد فيما يرويه عن أمه أنها قالت: حدثتنا ماطرة المهرية قالت: حدثتني خالتي أم جعفر بنت النعمان: أنها سلمت على أسماء بنت أبي بكر وذكر عندها عبد الله بن الزبير فقالت: كان ابن الزبير قوام الليل صوام النهار وكان يسمى حمامة المسجد.[2] ومنهن من يقصصن من السيرة ما تيسر لهن مثل ماوية مولاة حجير بن أبي إهاب وهي التي كان خبيب بن عدي محبوسا في بيتها بمكة وكانت تحدث بقصته. ثم أسلمت فحسن إسلامها فكانت تقول والله ما رأيت أحدا خيرا من خبيب[3].

وكان عطاء ومجاهد يختلفان إلى جارية سوداء في ناحية مكة تَعِظُهُما ثم يرجعان. وكانت بمكة حكيمة يدخل عليها الصالحون، فقالت لها امرأة كانت تخدمها: إخوانك جاؤوك يحبون أن يسمعوا كلامك.[4]

والنساء كن يجتمعن من لدن عهد الخلفاء الراشدين، فعن سودة بنت أبي ضبيس الجهني قالت: كنا نكون في عهد النبي ﷺ وأبي بكر وصدر من خلافة عمر في المسجد، نسوة قد تخاللن، وربما غزلنا وربما عالج بعضنا فيه الخوص[5]. ويستفاد من الاجتماع كذلك تعلم العلم والعمل النافع. كعمل ريطة بنت عبد الله امرأة عبد الله بن مسعود وأم ولده وكانت امرأة صناعا فقالت: يا رسول الله إني امرأة ذات صنعة أبيع منها وليس لي ولا لزوجي ولا لولدي شيء وسألته عن النفقة عليهم؟ فقال: لك في ذلك أجر ما أنفقت عليهم[6] .

---

(١) المصدر السابق نفسه، ج ٦، ص ١٠٣ .

(٢) ابن عساكر: المصدر السابق، ج ٢٨، ص ١٧٥ .

(٣) ابن سعد: المصدر السابق، ج ٨، ص ٣٠١ .

(٤) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي ت(٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م) : صفة الصفوة، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، مج١، ج٢، ص ١٦٦ .

(٥) ابن سعد: المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٩٥ .

(٦) المصدر السابق نفسه، ج ٨، ص ٢٩٠ .

وكانت في النساء الطبيبة كزينب طبيبة بني أود كانت عارفة بالأعمال الطبية مشهورة عند العرب وكانت في العصر الأموي.[1] وهو دليل آخر في عدم اقتصار النساء على الجانب المتمثل في علوم القرآن والحديث واللغة، بل وتعداه للجانب العملي في معالجة ومداواة المرضى، وما الطب إلا مثال لقدرة المرأة على تعلم صنوف العلم وتقديم الفائدة المرجوة منها في المجتمع المسلم.

أعلام النساء

ولنذكر الآن بعضا من أعلام النساء واللاتي كان لهن أبلغ الأثر في التربية والتعليم:

١- أسماء بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان، ذات النطاقين وهي أم عبد الله ابن الزبير، تزوجها الزبير بن العوام بمكة فولدت له عدة ثم طلقها، وكانت مع عبد الله ابنها حتى قتل وبقيت مائة سنة حتى عميت وماتت بعد قتل عبد الله بن الزبير سنة ثلاث وسبعين بعد ابنها بليال، وكانت أخت عائشة لأبيها وهي أكبر من عائشة بعشر سنين[2].

٢- خصيلة بنت واثلة بن الأسقع كانت تسكن بيت المقدس روت عن أبيها واثلة بن الأسقع[3].

٣- صفية بنت شيبة بن عثمان بن أبي طلحة، الفقيهة العالمة، القرشية المكية. روت عن: عائشة، وأم حبيبة، وأم سلمة، أمهات المؤمنين. عاشت إلى دولة الوليد بن عبد الملك[4].

٤- الربيع بنت معوذ بن عفراء الأنصارية من بني النجار. لها صحبة ورواية، وقد زارها النبي ﷺ صبيحة عرسها صلة لرحمها. عمرت دهرا، وروت أحاديث. توفيت في خلافة عبد الملك سنة بضع وسبعين[5].

---

(١) السعيد، عبد الله عبد الرزاق : الطب ورائداته المسلمات، مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٩١ .

(٢) ابن عساكر: المصدر السابق، ج ٦٩، ص ٨ .

(٣) المصدر السابق نفسه، ج ٦٩، ص ١١٣ .

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٥٠٧- ٥٠٨ .

(٥) المصدر السابق نفسه، ج ٣، ص ١٩٨ .

٥- زينب بنت أبي سلمة بن عبد الاسد بن هلال المخزومية.ربيبة النبي ﷺ، وأخت عمر بن أبي سلمة، ولدتهما أم المؤمنين بالحبشة. روت أحاديث عن عائشة، وزينب بنت جحش، وأم حبيبة، وجماعة. توفيت قريبا من سنة أربع وسبعين[١].

٦- أم الدرداء السيدة العالمة الفقيهة، هجيمة، وقيل: جهيمة الأوصابية الحميرية الدمشقية، وهي أم الدرداء الصغرى. روت علما جما عن زوجها أبي الدرداء، وعن سلمان الفارسي، وكعب بن عاصم الأشعري، وعائشة، وأبي هريرة، وطائفة. وعرضت القرآن وهي صغيرة على أبي الدرداء وطال عمرها، واشتهرت بالعلم والعمل والزهد[٢].

وعن عون بن عبد الله، قال: كنا نأتي أم الدرداء فنذكر الله عندها. وقال يونس بن ميسرة: كن النساء يتعبدن مع أم الدرداء، فإذا ضعفن عن القيام، تعلقن بالحبال. ومن قولها: إن أحدهم يقول: اللهم ارزقني، وقد علم أن الله لا يمطر عليه ذهبا ولا دراهم، وإنما يرزق بعضهم من بعض، فمن أعطي شيئا، فليقبل، فإن كان غنيا، فليضعه في ذي الحاجة، وإن كان فقيرا، فليستعن به.

وكان عبد الملك بن مروان جالسا في صخرة بيت المقدس، وأم الدرداء معه جالسة، حتى إذا نودي للمغرب قام وقامت تتوكأ على عبد الملك حتى يدخل بها المسجد، فتجلس مع النساء، ويمضي عبد الملك إلى المقام يصلي بالناس. وعن يحيى بن يحيى الغساني، قال: كان عبد الملك بن مروان كثيرا ما يجلس إلى أم الدرداء في مؤخر المسجد بدمشق. وعمرت إلى ما بعد سنة إحدى وثمانين[٣].

٧- عائشة بنت طلحة بن عبيدالله التيمية، بنت أخت أم المؤمنين عائشة، أم كلثوم بنتي الصديق. روت عن خالتها عائشة، ووفدت على هشام بن عبد الملك، فاحترمها، ووصلها[٤].

---

(١) المصدر السابق نفسه، ج ٣، ص ٢٠٠ .
(٢) المصدر السابق نفسه، ج ٤، ص ٢٧٧ .
(٣) المصدر السابق نفسه، ج ٤، ص ٢٧٨- ٢٧٩ .
(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٣٦٩ .

٨- رابعة العدوية البصرية، الزاهدة، العابدة، الخاشعة، أم عمرو، رابعة بنت إسماعيل، وقد حمل الناس عنها حكم كثيرة، وحكى عنها سفيان وشعبة وغيرهما [١].

٩- زجلة مولاة عاتكة بنت عبد الله بن معاوية وقيل إنها مولاة عاتكة بنت يزيد بن معاوية روت عن أم الدرداء وكويسة امرأة ذكرت أنها رأت النبي ﷺ. عن صدقة بن خالد القرشي قال: حدثتنا زجلة مولاة معاوية قالت: كنا مع أم الدرداء فأتاها هشام بن إسماعيل المخزومي فقال: يا أم الدرداء ما أوثق خصالك في نفسك؟ قالت: الحب في الله ﷻ. وعن أبي زرعة قال: فيمن حدث بالشام من النساء، زجلة روت عن أم الدرداء.[٢]

١٠- عائشة بنت طلحة بن عبيد الله التيمية وأمها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق روت عن خالتها أم المؤمنين عائشة وقال أبو زرعة الدمشقي:عائشة بنت طلحة امرأة جليلة تحدث عن عائشة وتحدث الناس عنها بقدرها وأدبها، ووفدت على عبد الملك بن مروان وعلى هشام بن عبد الملك.[٣]

١١- فاطمة بنت عبد الملك بن مروان ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية زوج عمر بن عبد العزيز، حكت عن زوجها عمر بن عبد العزيز، روى عنها المغيرة بن حكيم الصنعاني اليماني وعطاء بن أبي رباح وأبو عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري ومزاحم مولى عمر وزفر مولى مسلمة بن عبد الملك ودارها بدمشق.[٤]

فمما سبق يتضح أن أمهات المؤمنين لهن قدم السبق في التعليم في العصر الأموي وذلك لتأخر وفات معظمهن، كما وظهرت أعلام من النساء في التعبد والزهد والشهرة بالتحديث وتعليم القرآن.

---

(١) المصدر السابق نفسه، ج ٨، ص٢٤١- ٢٤٢ .

(٢) ابن عساكر: المصدر السابق، ج ٦٩، ص١٦٣- ١٦٤ .

(٣) المصدر السابق، ج ٦٩، ص ٢٤٨ .

(٤) المصدر السابق، ج ٧٠، ص ٢٨ .

المبحث الثالث: أماكن التعليم

إن المتتبع لأماكن التعليم من العصر الجاهلي حتى بدايات العصر الأموي تكاد لا تخرج عن دار الندوة وأسواق العرب، ودور الصحابة، والمساجد. ولقد بلغ عدد الأماكن التي صلى فيها المصطفى ﷺ واتخذت مساجد ما يربو على الأربعين مسجدا في المدينة المنورة إبان حياته ﷺ. كما أن للمكتبات، والقصور، والمجالس الأدبية، دور كبير في نشر العلم والتعلم في العصر الأموي.

أولا: المساجد

أما في العصر الأموي فقد تحولت المساجد إلى جامعات تستقطب طلبة العلم من مختلف الأنحاء، وكان الأمويون منذ عهد معاوية بن أبي سفيان لهم التوجه البارز في تثقيف الناس في المساجد فهذا معاوية ﷺ كتب إلى عبدالرحمن بن شبل الأنصاري ﷺ الذي كان يسكن حمص قائلا: إنك من قدماء أصحاب رسول الله ﷺ وفقهائهم، فإذا صليت ودخلت فسطاطك فقم في الناس فحدثهم بما سمعت من رسول الله ﷺ[١]. ومن أبرز تلك المساجد التي ساهمت في النهضة التعليمية في الدولة الأموية:

١- جامع القيروان

وهو أبو المساجد في الجناح الغربي لمملكة الإسلام، حيث أسسه القائد الفاتح عقبة بن نافع، وابتدأ بناؤه سنة (٥٠هـ/ ٦٧٠م)، وهي نفس السنة التي اختط فيها عقبة مدينة القيروان[٢] إثر الفتح الإسلامي لبلاد المغرب العربي وساهم في بناء المساجد عد من الصحابة والتابعين وتم الانتهاء من بنائه وبناء القيروان سنة (٥٥ هـ/٦٧٥م)[٣]. وقد جدد المسجد مرة في أيام القائد حسان

(١) أبيض، ملكة : التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، ص ٩٩ .

(٢) مدينة عظيمة بإفريقية، وليس بالغرب مدينة أجل منها، مصرت في الإسلام في أيام معاوية. انظر الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص ٤٢٠ .

(٣) الحدابي: المرجع السابق، مج٤، ص ١٣٠ .

بن النعمان حوالي عام (٨٠هـ/ ٦٩٩م)، وزاد فيه بعد ذلك بشر بن صفوان، عامل الخليفة هشام بن عبد الملك زيادة كبيرة سنة (١٠٥هـ/ ٧٢٣م)[١].

وكان جامع القيروان ثكنة عسكرية ومدرسة علمية، يفد إليها طلاب العلم من أقطار عديدة، وقد كان فيه جناحان: جناح للرجال يدرس فيه الإمام عبد السلام سحنون ت (٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)، وجناح للنساء تدرس فيه ابنته، واستمر الجامع يقوم بعمله التربوي والتعليمي والتثقيفي في بلاد المغرب والأندلس زهاء خمسة قرون حتى انتقل التعليم الرسمي إلى جامع الزيتونة[٢].

٢- جامع الزيتونة

أسس هذا الجامع بتونس[٣] حسان بن النعمان في زمن خلفاء بني أمية في سنة (٧٠هـ/ ٦٩٨م) وقيل (٨٠ هـ/ ٦٩٩م) وفي سنة (١١٤هـ/٧٣٢م) قام والي إفريقية الأمير عبيد الله بن الحبحاب بتوسعة وإعمار الجامع ووضعه على أساس فخم. وكان التعليم بالزيتونة تعليما كاملا أي يشمل التعليم الإسلامي الأدبي والديني وجميع العلوم العقلية والرياضية[٤].

٣- المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة

المسجد الأقصى في القدس، يقع في الجهة الجنوبية من الحرم الشريف وقد بدئ في بناء المسجد زمن عبد الملك بن مروان وانتهى بناؤه في عهد الوليد بن عبد الملك وتم البناء بين سنتي (٧٤هـ - ٨٦هـ/ ٦٩٣م- ٧٠٥م). وأمر كذلك عبد الملك بن مروان ببناء مسجد قبة الصخرة وتم البناء ما بين (٦٥هـ- ٧٢هـ/ ٦٨٥م- ٦٩١م)[٥]، وكان آية من آيات الجمال في عهده ورتب

---

(١) الموسوعة العربية العالمية: المرجع السابق، ج ٢٣، ص ١٩٣ .

(٢) الحدابي: المرجع السابق، مج٤، ص ١٣١ .

(٣) مدينة كبيرة محدثة بإفريقية على ساحل بحر الروم عمرت من أنقاض مدينة كبيرة قديمة بالقرب منها يقال لها قرطاجنة، وهي قصبة بلاد إفريقية، انظر الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص ٦٠ .

(٤) الحدابي: المرجع السابق، مج٤، ص ١٣١ .

(٥) عواد، محمود : القدس معلومات وأرقام، مركز الإعلام العربي، الجيزة، مصر، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ٢٩.

للمسجد القائمين على خدمته وخدمة المصلين[١]. وكانا أي المسجدين عامرين بالحلقات العلمية، وكانا يحويان نفائس المخطوطات، مع ما كان يوقف من أوقاف من قبل الموسرين لبيت المقدس.

٤- المسجد الجامع بواسط

والمسجد الجامع بواسط في العراق (٨٤ هـ/ ٧٠٣م). والمعروف أن واسط في العراق كانت خامس مدينة أنشئت في الإسلام، بناها الحجاج الثقفي في وسط العراق عام (٨٤هـ/ ٧٠٣م)، وكان تخطيطه يتكون من مربع يبلغ طول ضلعه حوالي مائتي ذراع[٢].

٥- الجامع الأموي في دمشق

الجامع الأموي وهو أعظم مساجد الدنيا – بناءا في عصره – وأتقنها صناعة وأبدعها حسنا وبهجة وكمالا، وأول من اختطه وأسس مكانه الصحابي الجليل أبو عبيدة عامر بن الجراح ﷺ سنة (١٤هـ/٦٣٥م) أثناء فتح المسلمين لدمشق في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ. أما بناؤه فكان على يد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك سنة (٨٦هـ/٧٠٥م) وفرغ من بنائه سنة (٩٦هـ/٧١٤م)، وقد جلب لبنائه صناعا ومهندسين من القسطنطينية[٣] وأنفق فيه الكثير. ولما اكتمل بناؤه لم يكن على وجه الأرض بناءا أحسن ولا أبهى ولا أجمل منه، وهو القائل فيه: رأيتكم يا أهل دمشق تفتخرون على الناس بأربع خصال، فأحببت أن يكون مسجدكم الخامس، تفتخرون بمائكم وهوائكم وفاكهتكم وحماماتكم فأردت أن يكون مسجدكم الخامس[٤]. وقد اشتمل الجامع على كثير من المرافق والإمكانات التي ساعدته على أداء رسالته الدعوية والعلمية والاجتماعية الشاملة. وكانت تعقد فيه حلقات لتدريس فنون العلم المختلفة وأول من جلس للتدريس فيه الصحابي الجليل أبو الدرداء حيث كانت له فيه حلقة ضخمة. واستمر هذا الجامع في تأدية دوره

---

(١) ابن تميم المقدسي، أحمد بن محمد ت(٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م): مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م،ص ١٧١، وانظر ص ١٧٥.

(٢) الموسوعة العربية العالمية: المرجع السابق، ج ٢٣، ص ١٩٣ .

(٣) بين القسطنطينية وعمورية ستون ميلا. ملَكَ بروميةَ قسطنطين الأكبر ثم انتقل إلى بزنطية وبنى عليها سورا وسماها قسطنطينية. انظر الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص ٣٤٧. وافتتحها الأتراك العثمانيون ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م، وجعلوها عاصمة دولتهم.

(٤) النعيمي، عبد القادر بن محمد ت (٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م): الدارس في تاريخ المدارس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ج٢، ص ٢٩٤ .

العلمي على مدى قرون عديدة وأصبح مهوى لطلاب العلم من المسلمين[1]، يفدون إليه من مختلف البقاع.

وكان الوليد يهتم بتعليم القرآن في المسجد الجامع، فقد طلب من عبدالله بن عامر اليحصبي أكبر قراء الشام في عصره أن يتخذ مكانه في تعليم القرآن في الجامع بين الجنانه والقنطرة[2]. وكتاب عمر بن عبدالعزيز الذي يقول فيه: أما بعد فأمروا أهل العلم أن ينشروا العلم في مساجدهم فإن السنة كانت قد أميتت . وأمره لعاصم بن عمر بن قتاده بأن يجلس في مسجد دمشق ويحدث الناس بمغازي الرسول ومناقب أصحابه [3]. لقد كانت المساجد جامعات مفتوحة يفد إليها طلبة العلم فيتلقون التعليم المجاني والرعاية من قبل الأمة عن طريق الأوقاف التي كانت تخصص لذلك.

ثانيا: الكُتَّاب

عند الرجوع إلى أصل الكلمة وتصريفاتها نجد بأن المُكْتِبُ هو المُعَلِّمُ. والمُكَتِّبُ الذي يُعَلِّم الكتابَة. وكان الحجاج مُكْتِباً بالطائف يعني مُعَلِّماً. ومنه قيل عُبَيْدٌ المُكْتِبُ لأَنه كان مُعَلِّماً. والمَكْتَبُ موضع الكُتَّاب. والمَكْتَبُ والكُتَّابُ موضع تَعْلِيم الكُتَّابِ. والجمع الكَتَاتِيبُ والمَكاتِبُ.[4]

وعند النظر إلى أمر الرسول ﷺ بأن يفتدي كل أسير من أسرى بدر – من الذين يعرفون القراءة والكتابة – بتعليم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة، فإن ذلك إشارة إلى إنشاء الكُتَّابِ أو المَكْتَب، وترد كلمة مكتب في بعض الروايات التاريخية، كمرور سعيد بن المسيب على المكتب[5]، وكان لأبي عمرو الأوزاعي مَكْتَبٌ باليمامة[6].فالكتاب هو المركز التربوي التعليمي الأول المنفصل عن المسجد، وهو النواة التي بنيت عليها المدرسة فيما بعد.

---

(١) الحدابي: المرجع السابق، مج٤، ص ١٣٢ .

(٢) أبيض، ملكة : التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، ص ١٢٥ .

(٣) المرجع السابق نفسه، ص ١٣٥ .

(٤) ابن منظور: المصدر السابق، ج١، ص ٦٩٨.

(٥) ابن سعد: المصدر السابق، ج٥، ص ١٤١.

(٦) المصدر السابق نفسه، ج٧، ص ٤٨٨.

أنواع الكتاتيب

١- كُتَّابُ القراءة والكتابة

مع ظهور الإسلام وتنامي المجتمع المسلم وحاجته للقراء والكتاب لشغل الوظائف المتعددة في دواوين الدولة، انتشر هذا النوع من الكتاتيب بصورة أوسع وانتشر في الأمصار الإسلامية في العصور الإسلامية المتأخرة أكثر من العصور الإسلامية الأولى، ويدل على ذلك ما قاله ابن خلدون: لتعليم الخط عندهم قانون ومعلمون له على انفراد كما تتعلم سائر الصنائع ولا يتداولونها في مكاتب الصبيان. وعلى هذا فقد كان هذا النوع من الكتاتيب أسبق أنواع المعاهد التعليمية وجودا في العالم الإسلامي[١].

وكان الاعتماد على الكتاتيب العربية المحلية وسيلة لتعليم الكتابة لأبناء المسلمين. فقد كانت الكتاتيب لذوي الديانات الأخرى منتشرة في الشام بدليل ما طلبه المسلمون من أسرى قيسارية من تعليم المسلمين الذين لا يجيدون الكتابة. وكذلك عمد المسلمون بعد الفتح مباشرة إلى إرسال أبنائهم لتعلم الكتابة في الكتاتيب القائمة والتي كان يديرها المعلمون النصارى. وإن تدبيرا من هذا القبيل لا يمكن أن يتخذه والي الشام ما لم يحصل على موافقة مسبقة من الخليفة[٢].

٢- كُتَّابُ تعليم القرآن ومبادئ الدين الإسلامي

نشأت الحاجة إلى إلقاء مسؤولية تعليم وتأديب الصبيان إلى معلمين ومؤدبين متفرغين، ويتم ذلك في أماكن خاصة هي الكتاتيب، ونظرا لازدياد أعداد الحفاظ ومنع الحرج عن المصلين ظهرت الكتاتيب الخاصة لتعليم القرآن وقد ازداد عددها في زمن الأمويين[٣]. والمسلمين لم يتأخروا في إنشاء كتاتيب خاصة بهم لتعليم القرآن، من مثل أم الدرداء التي علمت الصبيان القراءة والكتابة بدمشق[٤].

---

(١) الحدابي: المرجع السابق، مج٤، ص ١٤٩ .

(٢)أبيض، ملكة : التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، ص ٨٥ .

(٣) الحدابي: المرجع السابق، مج٤، ص ١٥٠ .

(٤) أبيض، ملكة : التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، ص ٩٢ .

مكان الكُتَّاب

كانت الكتاتيب تلحق أحيانا بالمسجد وتبعد عنها أحيانا أخرى، وغالبا ما تكون على شكل حوانيت – دكاكين – في الدروب وأطراف الأسواق، كما كان بعض المعلمين يفردون حجرة أو أكثر من دورهم لتعليم الصبيان القراءة والكتابة والقرآن. وكان بعض الكتاتيب عبارة عن خيمة من جملة خيام الحي بالبادية كما في تونس والمغرب ، وعرفت بالكتاب الخيمي[١] .

وكان الصِبْيَةُ الصغار يلتحقون بالكتاتيب بدءا من سن الرابعة، وكان أكثرهم يتمكن من حفظ كتاب الله كاملا قبل العاشرة. ولم يقتصر الأمر على الأبناء فقط، فقد أسست كتاتيب خاصة بالفتيات الصغيرات يتلقين فيها دروسا في القراءة والكتابة ومبادئ القواعد والحساب، مع التركيز على تحفيظ القرآن وتعليم الفقه[٢].

ويذكر أبو بكر ابن العربي في كتابه أحكام القرآن بأن للقوم في التعلم سيرة بديعة ؛ وهي: أن الصغير منهم إذا عقل بعثوه إلى المكتب، فإذا عبر المكتب أخذه بتعليم الخط والحساب والعربية، فإذا حذقه كله أو حذق منه ما قدر له خرج إلى المقرئ فلقنه كتاب الله، فحفظ منه كل يوم ربع حزب، أو نصفه، أو حزبا، حتى إذا حفظ القرآن خرج إلى ما شاء الله من تعليم العلم أو تركه[٣] .

وانتشر الكتاب مع انتشار الإسلام في الأمصار، وأصبح بناء الكتاتيب من أجل الأعمال وأكرمها، ولذلك ازداد عددها بشكل ملحوظ، حتى أصبح بكل قرية كتاب بل أكثر من كتاب، حتى أن ابن سحنون ذكر أنه لم يكن يخلو درب من الدروب في مدن المغرب من هذه الكتاب، فقد بلغ عدد الكتاتيب في جزء من أفريقية ستة آلاف كتاب، وهي تمثل مرحلة التعليم الأولي أو الابتدائي في العالم الإسلامي، ووفرت الكتاتيب على مختلف الطبقات قسطا وافرا من التعليم وبالأخص للفقراء من الناس والأيتام وكان بعضها بالمجان بل وتخصص فيه أرزاق وأعطيات للطلاب الفقراء[٤].

---

(١)الحدابي : المرجع السابق، مج٤، ص ١٥١–١٥٢ .

(٢) الموسوعة العربية العالمية: المرجع السابق، ج ٢٣، ص ١٨٢ .

(٣) النجار، إبراهيم : الفكر التربوي عند العرب، الدار التونسية للنشر، تونس، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، ص ١٦٦ .

(٤) الحدابي: المرجع السابق، مج٤، ص ١٥١ .

ثالثا: المكتبات

لقد كان لبعض الصحابة والتابعين كتب في بيوتهم بمنزلة المكتبات الخاصة، فقد كان لعبد الله بن عمرو بن العاص الصحيفة الصادقة، وأيضا أبو قلابة من كبار التابعين أوصى بكتبه لأحد أصحابه فجيء بها في عدل راحلة، كذلك النساء كن يقتنين الكتب من مثل أسماء بنت عميس ﵂ كان عندها كتاب جمعت فيه بعض أحاديث الرسول ﷺ، ثم كثرت المكتبات الخاصة، حتى كان للخلفاء نصيب منها من مثل معاوية بن أبي سفيان ﵁ ومن تلاه من الخلفاء الأمويين[1].

وقد عني الخلفاء المسلمون منذ فجر العهد الأموي بالكتاب العربي ونشره بين الناس وإنشاء الخزائن التي تضم الكتب والدفاتر والسجلات كما عنوا بالحصول على كتب العلم القديمة لتكون مرجعا لهم ولأولادهم، وكانوا يزودون المساجد الجامعة في كل إقليم بالخزائن التي تضم المصاحف وكتب العلم. وكان كثير من العلماء منذ زمن قديم يوقفون كتبهم وأوراقهم ومخطوطاتهم على خزائن المساجد ودور العلم يتقربون بذلك إلى الله ويرجون نشر العلم ومعونة أصحابه.

أقام معاوية بن أبي سفيان ﵁ مكتبة خاصة أو شبه خاصة في القصر دعيت (بيت الحكمة)[2] يجمع فيها الكتب التي يأتيه بها أعوانه، والكتابات التي يسجلها له كتابه. ويعنى بها غلمان له مرتبون، وقد وكلوا بحفظها وقراءتها[3].

ولعل من أقدم الخزائن العربية التي عرفت بعض أخبارها هي خزانة خالد بن يزيد بن معاوية. وقد ظلت خزانة خالد هذه محفوظة في البلاط الأموي، ولما ولي الخليفة عمر بن العزيز فتحها للناس للإفادة منها والتعلم من نفائسها[4].

---

(١) المرجع السابق نفسه، مج٤، ص١٨٥- ١٨٦ .

(٢) الدارمي، عثمان بن سعيد ت (٢٨٢هـ/ ٨٩٥م) : رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشرالمريسي العنيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م، ص ١٣٥ .

(٣) أبيض، ملكة : التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، ص ٩٣ .

(٤) عبد الدائم: المرجع السابق، ص ١٥٧ .

واحتفظ خالد بن يزيد بمكتبة جده معاوية (بيت الحكمة) وأغناها بمجموعات الحديث، وكتب الكيمياء والفلك والطب والفلسفة، وأنشأ حركة لترجمة الكتب الأجنبية إلى اللغة العربية، وجمع حوله العلماء في كل مجال . وهذه الأعمال تجعل منه الرجل الذي أعطى لمؤسسة بيت الحكمة طابعها الخاص الذي تطور واتضح في العهد العباسي بشكل عام وفي عهد المأمون بشكل خاص[١] .

بل واستفاد منها المتعاقبون على الخلافة والخلفاء في أرجاء المعمورة فقد أورد القفطي في ترجمته لابن السنبدي حيث يقول: هَذَا رجل كَانَ بمصر وهو من أهل المعرفة والعلم والخبرة بعمل الاصطرلاب والحركات، وَقَدْ رأينا من عمله آلات حسنة الوضع فِي شكلها صحيحة التخطيط فِي بابها. ويحكي ابن السنبدي أنه كان يتجول في خزانة الكتب بالقاهرة ويشاهد مَا يتعلق بصناعته فقال: فرأيت من كتب النجوم والهندسة والفلسفة خاصة ستة آلاف وخمسمائة جزء، وكرة نحاس من عمل بطليموس، وعليها مكتوب: حملت هَذِهِ الكرة من الأمير خالد بن يزيد بن معاوية. وتأملنا مَا مضى من زمانها، فكان ألفاً ومائتين وخمسين سنة[٢].

إن مكتبة معاوية بن أبي سفيان يمكن أن تعد المركز الأول من مراكز التعريب أو الترجمة إلى اللغة العربية، وأن خالد بن يزيد قد طور هذه المكتبة المركزية والتي تدعى بيت الحكمة، فأغناها بكتب الحديث وكتب الكيمياء والفلك والطب والفلسفة، وأنشأ فيها حركة لترجمة الكتب الأجنبية إلى اللغة العربية، وجمع لها العلماء في مجالات شتى فأعطى بيت الحكمة طابعها الخاص وحتى غدت مركزا للإشعاع الثقافي[٣].

وممن يذكر عنه الاعتناء بجمع الكتب من خلفاء بني أمية، الوليد بن عبد الملك، فقد روي أنه جمع خزانة وجعل عليها خازنا اسمه سعد. وكذلك الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وكان محبا للعلم منقبا عن كتبه ودواوين الشعر، وأنه جمع خزانة كتب كبيرة في قصره على الرغم من

---

(١) أبيض، ملكة : التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، ص ١٠٦ .

(٢) القفطي، علي بن يوسف ت (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م): أخبار العلماء بأخبار الحكماء، مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م، ص ٢٨٦ .

(٣) النملة، علي بن إبراهيم : مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ع ٤، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ٥٤٨ .

قصر مدته إذ لم يبق في الخلافة إلا سنة وثلاثة أشهر [1]. وقد ذكر أبو زرعة الدمشقي الوليد بن يزيد فيمن كان يحدث من بني أمية. وعندما قتل الوليد أخرجت الكتب التي كانت تحوي أحاديث الزهري من خزائنه، وحملت على الدواب لكثرتها [2].

ومن مآثر الوليد بن عبد الملك أنه اعتنى بتكوين مكتبة ضمت مصاحفا وأشعارا وقصصا، كان صاحب المصاحف يجمعها ويعنى بها ويعطيها للنساخ فيكتبونها بخط جيد . كما ضمت كتبا أجنبية كان قواده يعودون بها من الفتوح، كتلك التي عاد بها طارق بن زياد من الأندلس والتي ضمت كتبا مثل الكيمياء والعلوم الطبيعية[3].

ومما يدل على تنوع المكتبات وأنها تُتَوارَثُ من عصر لعصر، ما حدث به محمد بن إسحاق أنه قال: كان بمدينة الحديثة رجل يقال له محمد بن الحسين جَمَّاعَةً للكتب له خزانة لم أر لأحد مثلها كثرة، تحتوي على قطعة من الكتب الغريبة في النحو واللغة والأدب والكتب القديمة، فلقيت هذا الرجل فآنس بي وكان نَفورا. فأخرج إلي قِمْطَرا كبيرا فيه نحو من ٣٠٠ رطل جلود فلجان وصكاك وقرطاس مصر وورق صيني وورق تهامي وجلود أدم وورق خراساني فيها تعليقات عن العرب وقصائد مفردات من أشعارهم وشيء من النحو والحكايات والأخبار والأسمار والأنساب وغير ذلك من علوم العرب وغيرهم [4].

---

(١) عبد الدائم: المرجع السابق، ص١٥٧– ١٥٨ .

(٢) أبيض، ملكة : التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، ص ١٥٣ .

(٣) المرجع السابق نفسه، ص ١٢٧ .

(٤) النجار: المرجع السابق، ص ١٠٦ – ١٠٧.

رابعا: البيمارستان

كلمة الفارسية وتدل على المستشفى[1]. ومن الأماكن القديمة لتعليم الطب مدرسة جنديسابور[2] والتي أنشئت في القرن السادس الميلادي ٥٥٥ م للطب والفلسفة، وكان جل علمائها من النصارى النساطرة ولغة التعليم اللغة السريانية . وبها آثار الهند وفارس واليونان. ومدرسة الحيرة وهي آرامية نسطورية. اشتهرت بالطب واللغة والفلسفة. وتعد حلقة من حلقات الاتصال بين الثقافة الهيلينية والثقافة الإسلامية. كما كانت مركزًا للترجمة عن الفارسية قبل الإسلام وبعده[3]. وأول من عمل البيمارستانات في الإسلام الوليد بن عبد الملك سنة (٨٨هـ/ ٧٠٦م) وجعل فيها الأطباء وأجرى فيها الجرايات، وكانت في البيمارستانات خزائن الكتب ومعاهد لتدريس الطب والصيدلة[4].

وكان لكل بيمارستان حمام عام ومكتبة، وكانت البيمارستانات بمثابة مستشفيات تعليمية، يتلقّى فيها طلاب الطب علومهم .فبعد أن يتفقد الطبيب مرضاه ومعه طلابه، يأتي إلى إيوان خاص مزوّد بكل الآلات والكتب ثم يلقي عليهم دروسه أو يناقش معهم بعض الحالات التي وقفوا عليها. وكان بعض كبار الأطباء يجعل له مجلسًا عامًا لتدريس الأطباء الجدد[5].

---

(١) موجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ج٦، ص ١٦٠١.

(٢) مدينة بخوزستان بناها سابور بن أردشير فنسبت إليه وأسكنها سبي الروم وطائفة من جنده. انظر الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص ١٧٠.

(٣) النملة: المرجع السابق، ص٥٤٠- ٥٤١ .

(٤) عبد الدائم: المرجع السابق، ص ١٦٢ .

(٥) الموسوعة العربية العالمية: المرجع السابق، ج ١٦، ص٤٣٨- ٤٣٩ .

خامسا: المجالس الأدبية

وهي مجالس كانت تعقد في الأماكن العامة كالطرقات والساحات يتنافس فيها العلماء ويتناظرون أمام الناس، ومن أشهر هذه المجالس المربد في البصرة، وقد كانت تضم إلى جانب علماء المدينة جمهرة فاضلة من علماء البادية ورواة أخبارها، وفي المربد أيضا كان جرير والفرزدق وأصحابهم يلقون قصائدهم، وكان كثير من طلاب العلم وأئمة النحو أمثال: الأصمعي وأبي عمرو وأبي العلاء والكسائي والخليل وسيبويه يقصدون تلك المجالس ويفيدون منها [١].

كما وأن النقائض المشتهرة بين جرير والفرزدق أفادت بشكل كبير من الناحية التاريخية سواءا في أحداث جاهلية أو حتى في صدر الإسلام وكذلك عرض الواقع الاجتماعي والسياسي للعرب، وما جرى من معارك وفتن بين أطراف الصراع السياسي على الخلافة، وإن كان النقد لاذعا في بعض الأحيان إلا أن النقائض تعكس الواقع الصادق بين شريحة كبيرة من عرب تلك المناطق والضغوط التي كانت تواجههم والمظاهر المنوعة من الطبقة الحاكمة أو الثقافة العامة للمجتمع.

---

(١) العمايرة: المرجع السابق، ص ١٥١ .

المبحث الرابع: المعلمون

إن كلمة معلم مشتقة من العلم، والعلم نقيض الجهل، ويوصف لمن بلغ الغاية في العلم " علاَّمة " والكلمة توصف للمذكر والمؤنث[1]، ويبدو أن كلمة معلم تتصرف أساسا إلى معلمي الصبيان، فقد وردت الكلمة في عصر الرسالة عندما جاء أحد غلمان الأنصار لأبيه وهو يبكي فسأله: ما شأنك؟ قال: ضربني معلمي. ومقام المعلم مقام شريف بدليل ما روي عن المصطفى ﷺ قوله: (إنما بعثت معلما)[2].

والمعلمون في العصر الأموي قد بلغوا شأوا بعيدا في مضمار العلم، كيف لا وأئمتهم الصحابة الكرام الذين ساهموا في تعليم الناس العلم والعمل فكانوا خير أسوة للناس أجمعين، بل إن منهم من كان جاهليا وطالت به الحياة حتى التقى بالخليفة معاوية بن أبي سفيان كعبيد بن شرية الجرهمي[3]وكيزيد بن الأسود الجرشي[4]، والذي عاش حتى معارك مصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان.

والمعلمون في العصر الأموي كانوا أعلاما في علوم القرآن والحديث والفقه والأنساب والأدب، وكانوا يتخيرون أطايب الأدب ويعقدون الندوات الأدبية عند الأمراء أو في مجالسهم الخاصة، ومن الألفاظ التي أطلقت على المعلم في العصر الأموي: معلم ومؤدب ومكتب. وليس من السهل وضع خط فاصل بين لفظ مؤدب ومعلم إلا إذا استعملت لفظة مؤدب في الدلالة على من يعلم أبناء الخاصة، إذ أن لفظة معلم لم تستعمل في الحديث عن أحد أبناء الخاصة إلا نادرا[5].

---

(١) ابن منظور: المصدر السابق، ج١٢، ص ٤١٦ .

(٢) البرهان فوري: المصدر السابق، ج١٠، ص ١٤٧، ر ٢٨٧٥١.

(٣) ابن عساكر: المصدر السابق، ج ٣٨، ص ٢٠٣.

(٤) الذهبي، محمد بن أحمد ت(٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م) : تاريخ الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ج ٥، ص ٥٣٨ .

(٥) أبيض، ملكة: مؤسسات التربية العربية في الشام حتى أواسط القرن الرابع الهجري، التربية العربية الإسلامية المؤسسات والممارسات، مؤسسة آل البيت، عمان، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ج١، ص ١٨١ .

ومن أقدم من كتب في مجال التعليم والعلماء وطريقة الاهتمام بالطلبة محمد بن سحنون ت (٢٥٦هـ/ ٨٧٠م) في كتابه آداب المعلمين إذ نَظَّر لفئة المعلمين الطريقة الأمثل في التعامل مع الطلبة وأولياء أمورهم، مع الإشارة إلى المعاش والأجر والفصول الدراسية وفترة الإجازات المقترحة وعدد أيامها، وما إذا ما أخل أحد الطرفين بالشروط المتعاقد عليها وما يتوجب على الطرفين الإلتزام به في مناح شتى.

فمما ذكره ابن سحنون ت (٢٥٦هـ/ ٨٧٠م) في كتابه: ولا بد للناس من معلم يعلم أولادهم ويأخذ على ذلك أجرا، وكان عطاء يعلم الكتب ويشترط، وقدم سعد بن أبي وقاص برجل من العراق يعلم أبناء المدينة الكتاب ويعونه الأجر ولا بأس أن يضربهم على منافعهم، ويؤدبهم على اللعب والبطالة وأما على قراءة القرآن فلا يجاوز أدبه ثلاثا والمعلم يعلم بأجر معلوم كل شهر أو سنة وله أن يأذن للصبيان اليوم ونحوه بإذن آبائهم لأنه كالأجير لهم. ويجوز للمعلم أن يأذن لهم في أيام الأعياد في الفطر والأضحى، ويجب أن يتعاهد الصبية في حضورهم وانصرافهم وأن لا يسلط بعضهم على بعض في التوجيه والتعليم.

وينبغي أن يعلمهم الحساب وليس ذلك بلازم له إلا أن يشترط ذلك عليه. وكذلك الشعر والغريب والعربية والخط وجميع النحو وهو في ذلك متطوع. وينبغي أن يعلمهم إعراب القرآن وذلك لازم له وبالشكل والهجاء والخط الحسن والقراءة الحسنة والتوقيف والترتيل. وعلى المعلم أن يكسب الدرة والفلقة وكراء الحانوت، وعليه أن يتفقدهم بالتعليم والعرض ويجعل لعرض القرآن وقتا معلوما مثل يوم الخميس وعشية الأربعاء ويأذن لهم في يوم الجمعة، وذلك سنة المعلمين منذ كانوا ولم يعب ذلك عليهم. وليجعلهم بالسواء في التعليم: الشريف والوضيع وإلا كان خائنا.

ومما ذكره ابن سحنون ت (٢٥٦هـ/ ٨٧٠م) أن على المعلم أن لا يعلم ما يسيء إلى معتقد الطلبة بل يعمل على صيانة دينهم، ونبذ كل ما يتعلق من أمور الكهانة والسحر والنجوم واستشهد بقول ابن عباس – في النهي عن ذلك –: قوم ينظرون في النجوم يكتبون أبا جاد أولئك لا خلاق لهم[١].

---

(١) حجازي: المرجع السابق، ص ١١٤– ١٢٧.

ولقد أشار البعض إلى أنه كان بالشام عشرة آلاف عين رأت النبي ﷺ[1]، وهذا الجم الغفير كان له أكبر الأثر في تعليم أهل الشام والتزامهم بالكتاب والسنة. كذلك زار الصحابي الجليل أبو هريرة جامع دمشق واجتمع الناس له وحدثهم[2].

ومن أشهر المعلمين في العصر الأموي:

أولا: الصحابة

وقد كان الصحابة في العصر الأموي يتواصون بالعلم ويذكر بعضهم بعضا فعن الحسن البصري: أن زياداً استعمل الحكم بن عمرو الغفاري على البصرة، فلقيه عمران بن حصين في دار الإمارة بين الناس، فقال: أتدري فيم جئتك؟ أتذكر أن رسول الله ﷺ لما بلغه الذي قال له أميره: قم فقع في النار، فقام الرجل ليقع فيها، فأدرك فأمسك، فقال النبي ﷺ: (لو وقع فيها لدخل النار)، ثم قال: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) . قال: بلى. قال: إنما أردت أن أذكرك هذا الحديث[3]. فهو تأكيد وتذكير فيما بين الصحابة على التزامهم بمنهج النبي ﷺ في ظل متغيرات عديدة من قبل الناس أو حتى الأمراء.ومن الصحابة العلماء المعلمين في العصر الأموي:

١- عقبة بن عامر الجهني ت (٥٨هـ/ ٦٧٨م) وكان عالما مقرئا فصيحا فقيها فرضيا شاعرا كبير الشأن[4].

٢- زيد بن ثابت الأنصاري ت (٤٥هـ/ ٦٦٥م) كان كاتبا للوحي وتعلم وتفقه في الدين، فكان رأسا بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض. وكان أحد الذين جمعوا القرآن في عهد النبي ﷺ. وهو الذي كتبه في المصحف لأبي بكر

---

(١) الزبيدي، محمد بن محمد الحسيني : اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، دار الفكر، د.ت، ص ٢٠٤.

(٢) أبيض، ملكة: مؤسسات التربية العربية في الشام حتى أواسط القرن الرابع الهجري، ج١، ص ١٤٨ .

(٣) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، المصدر السابق، ج٢، ص ٥٢.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٦٧ .

الصديق، ثم لعثمان بن عفان حين جهز المصاحف إلى الأمصار. ولما توفي رثاه حسان بن ثابت، وقال أبو هريرة: اليوم مات حبر هذه الأمة[١].

٣- عبد الله بن عباس ت (٦٨هـ/ ٦٨٧م) حبر الأمة وترجمان القرآن فقد قال عنه عمرو بن دينار: ما رأيت مجلسا كان أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس، الحلال والحرام والعربية والأنساب والشعر، وقال عطاء: كان ناس يأتون ابن عباس في الشعر والأنساب، وناس يأتونه لأيام العرب ووقائعهم، وناس يأتونه للفقه والعلم، فما منهم صِنْفٌ إلا يقبل عليهم بما يشاؤون. وكان كثيرا ما يجعل أيامه يوما للفقه، ويوما للتأويل، ويوما للمغازي، ويوما للشعر، ويوما لوقائع العرب[٢].

٤- أبو هريرة الصحابي الجليل لزم صحبة النبي، فروى عنه ٥٣٧٤ حديثا، نقلها عن أبي هريرة أكثر من ٨٠٠ رجل بين صحابي وتابعي[٣]. وهذا التحديد لعدد مروياته إنما هو تقدير من البعض ولا نجزم به، فحصر الأحاديث من الكتب المطبوعة والمخطوطة أمر متعسر ولكن المشهور أنه (رضي الله عنه) أكثر الصحابة رواية عن النبي ﷺ ببركة دعاء النبي ﷺ له بالحفظ. توفي (٥٩هـ/ ٦٧٩م).

٥- عبد الله بن عمرو بن العاص[٤] كان يكتب في الجاهلية، ويحسن السريانية. استأذن النبي ﷺ في الكتابة عنه، فأذن له. توفي (٦٥هـ/ ٦٨٤م).

٦- عمران بن حصين كان مع كبر سنه يستند إلى أسطوانة في حلقة مسجد البصرة يحدث القوم[٥]. توفي (٥٢هـ/ ٦٧٢م).

٧- عبد الله بن السائب القرشي المخزومي القارىء أخذ عنه أهل مكة القراءة وعليه قرأ مجاهد وغيره من قراء أهل مكة، سكن مكة وتوفي بها قبل أن يقتل عبد الله بن الزبير بيسير[١]. أي سنة (٧٣هـ/ ٦٩٢م).

---

(١) الزركلي، خير الدين بن محمود ت (١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م) : الأعلام، دار العلوم للملايين، بيروت، ط ٥، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ج ٣، ص ٥٧ .

(٢) الزركلي،: المرجع السابق نفسه، ج ٤، ص ٩٥ .

(٣) المرجع السابق نفسه، ج ٣، ص ٣٠٨ .

(٤) المرجع السابق نفسه، ج ٤، ص ١١١ .

(٥) ابن سعد: المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٩١.

٨- أنس بن مالك: صاحب رسول الله ﷺ وخادمه. روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثا. رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة، فمات فيها. وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة توفي (٩٣ هـ/ ٧١١م)[٢].

٩- عامر بن واثلة الكناني القرشي، أبو الطفيل شاعر كنانة، وأحد فرسانها، ومن ذوي السيادة بها، روى عن النبي ﷺ تسعة أحاديث، وعاش إلى أيام عمر بن عبد العزيز، وتوفي بمكة. وهو آخر من مات من الصحابة (١٠٠هـ/ ٧١٨م)[٣].

١٠- عبد الله بن الحارث صحابي سكن مصر، وهو آخر من مات بمصر من الصحابة توفي في (٨٦ هـ/ ٧٠٥م)، وروى عنه المصريون أحاديث[٤].

١١- وهب الخير وهو وهب بن عبد الله السوائي، صحابي. توفي النبي ﷺ وهو مراهق، وسكن الكوفة ومات في ولاية بشر بن مروان على العراق. وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة توفي في (٦٤ هـ/ ٦٨٣م)[٥].

١٢- صدي بن عجلان الباهلي، أبو أمامة: صحابي. توفي في أرض حمص (٨١ هـ/ ٧٠٠م). وهو آخر من مات من الصحابة بالشام وله في الصحيحين ٢٥٠ حديثا[٦] .

ويتضح من سرد أسماء الصحابة أن منهم من جمع إلى علم القرآن الكريم علم اللغة والأنساب والشعر والفقه، بل وعلم من اللغات الأخرى كالسريانية، وأن منهم من تأخرت وفاته لما بعد التسعين من الهجرة النبوية المشرفة، كأنس بن مالك وعامر بن واثلة، ويأتي في طليعة

(١) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٣، ص ٢٥٧.
(٢) الزركلي: المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٤ .
(٣) المرجع السابق نفسه، ج ٣، ص ٢٥٥ .
(٤) الزركلي: المرجع السابق، ج ٤، ص ٧٧ .
(٥) المرجع السابق نفسه، ج ٨، ص ١٢٥ .
(٦) المرجع السابق نفسه، ج ٣، ص ٢٠٣ .

الصحابة المعلمين، زيد بن ثابت، وابن عباس ، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم.

ولقد مر بنا في مبحث سابق دور المرأة وما قدمته من مساهمة فعالة في التعليم، وكان الدور الأسمى لأمهات المؤمنين والصحابيات الكرام، ومنهن ممن لم يذكرن من قبل مثل:

١- أسماء بنت أبي بكر الصديق حيث كانت ممن أسهمن بدور إيجابي في مجال التعليم، فعلمت العديد من النساء فكان من تلميذاتها: أم الدرداء وفاطمة بنت قيس وصفية بنت شيبة وأخذ عنها ابناها عبد الله وعروة وحفيدها عبد الله بن عروة وابن عباس وأبو واقد الليثي ومحمد بن كيسان ووهب بن كيسان وابن أبي مليكة[١].

٢- وبرزت أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق في دقائق الفقه ورواية الحديث حتى تفوقت في تتبع الروايات، وقد مكنتها قوة الحافظة من أن تبرز كل من كان في سنها، وكانت مأمونة ثقة حجة في علمها، وممن روى عنها ابنها إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة وجابر بن عبد الله الأنصاري و طلحة بن يحيى بن طلحة وغيرهم. ومن الذين رووا عنها من النساء حبيبة بنت ميسرة وهند الفراسية والرباب وفاطمة بنت المنذر وغيرهن[٢].

ثانيا: التابعون

ومن التابعين العلماء الذين أخذوا من الصحابة الكرام فيما يرويه علي المديني بقوله: انتهى علم أصحاب رسول الله ﷺ من الأحكام إلى ثلاثة ممن أخذ عنهم وروي عنهم العلم عبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وعبد الله ابن عباس.

وأخذ عن عبد الله بن مسعود ستة: علقمة بن قيس والأسود بن يزيد وعبيدة السلماني والحارث بن قيس ومسروق وعمرو بن شرحبيل. وانتهى علم هؤلاء إلى: إبراهيم النخعي وعامر الشعبي. وانتهى علم هؤلاء إلى: أبي اسحق والأعمش. ثم انتهى علم هؤلاء إلى: سفيان بن سعيد .

---

(١) شرف الدين، محمود عبد الفتاح: أبو بكر الصديق وبنوه، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ص ١٩٢ .

(٢) المرجع السابق، ص٢٢٢- ٢٢٤ .

وأخذ عن زيد بن ثابت أحد عشر رجلا ممن كان يتبع رأيه ويقتدي به: قبيصة بن ذؤيب وخارجة بن زيد وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وعروة بن الزبير وأبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله وسعيد بن المسيب وأبان بن عثمان وسليمان بن يسار ثم صار علم هؤلاء كلهم إلى ثلاثة إلى: ابن شهاب وبكير بن عبد الله بن الأشج وأبي الزناد ثم صار علم هؤلاء كلهم إلى مالك بن أنس.

فأما ابن عباس فصار علمه إلى ستة نفر إلى: سعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح وعكرمة ومجاهد وجابر بن زيد وطاوس وصار علم هؤلاء كلهم إلى: عمرو بن دينار [١].

ومن الأعلام في العصر الأموي:

١- خالد بن أبي الهياج ويوصف بحسن الخط وكان يكتب المصاحف والشعر والأخبار للوليد بن عبد الملك.

٢- مالك بن دينار مولى أسامة بن لؤي بن غالب ويكنى أبا يحيى من رواة الحديث وكان ورعا، وكان يكتب المصاحف بأجرة ومات سنة (١٣٠هـ/ ٧٤٧م) [٢].

٣- روح بن زنباع الجذامي والذي يقول فيه عبد الملك بن مروان: إن روح بن زنباع شامي الطاعة، عراقي الخط، حجازي الفقه، فارسي الكتابة [٣]. توفي (٨٤هـ/ ٧٠٣م).

٤- وعبدالرحمن بن أبي بكرة الثقفي، ولد زمن عمر، وكان ثقة، كبير القدر، مقرئا، عالما. قال شعبة: كان أقرأ أهل البصرة. توفي سنة (٩٦هـ/ ٧١٤م) [٤].

٥- إسماعيل بن عياش الحمصي كان لكثرة طلبته يقعد على غرفة ومعه ثلاثة أو أربعة، والناس مجتمعون تحته فيقرأ الكتاب ثم يلقيه إليهم فينسخونه جميعا من غدوة إلى الليل [٥]. توفي (١٨٢هـ/ ٧٩٨م).

---

(١) الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع،، ج ٢، ص ٢٨٩.

(٢) الزركلي: المرجع السابق، ج٥، ص ٢٦٠.

(٣) الجهشياري، محمد بن عبدوس ت(٣٣١هـ/ ٩٤٢م) : الوزراء والكتاب، المكتبة العربية، بغداد، و مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي، مصر، ط١، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م، ص ٢١ .

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٣٢٠ .

(٥) أبيض، ملكة: مؤسسات التربية العربية في الشام حتى أواسط القرن الرابع الهجري، ج١، ص ١٤٨ .

٦- والأعرج الحافظ المقرئ أبو داود عبد الرحمن بن هرمز مولى ربيعة بن الحارث بن عبد الملك الهاشمي المدني كاتب المصاحف: سمع أبا هريرة وأبا سعيد الخدري وكان ثقة ثبتا عالما مقرئا توفى (١١٧هـ/ ٧٣٥م)[1].

٧- حماد بن سلمة كان إماما في العربية فقيها فصيحا مفوها مقرئا[2]. توفي (١٦٧هـ/ ٧٨٤م).

٨- عثمان بن زائدة، وكان مقرئا مجودا[3].

٩- علاقة بن كرسم الكلابي وكان في أيام يزيد بن معاوية وله علم بالأنساب والأخبار وأحاديث العرب القديمة وقد أخذ عنه من ذلك شيء كثير وكان يزيد بن معاوية قد أدخله في سماره[4].

١٠- علي بن حمزة الكسائي هو أبو الحسن علي بن حمزة من ولد بهمن بن فيروز مولى بني أسد النحوي أحد الأئمة في القراءة والنحو واللغة وأحد السبعة القراء المشهورين وهو من أهل الكوفة[5]. توفي (١٨٩هـ/ ٨٠٥م).

١١- أبو حنيفة النعمان بن ثابت، الكوفي، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. وكان قوي الحجة وقال عنه الإمام الشافعي: الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة توفي في (١٥٠ هـ/ ٧٦٧م)[6]. وفيه يقول الأعمش إذا سئل عن مسألة: عليكم بتلك الحلقة يعني حلقة أبي حنيفة[7].

١٢- مالك بن أنس الأصبحي الحميري، أبو عبد الله: إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية، مولده ووفاته في المدينة. كان صلبا

---

(١) الذهبي، محمد بن أحمد ت(٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م) : تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ج ١، ص ٧٥ .

(٢) الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م، ج ١، ص ٥٩٢ .

(٣) المصدر السابق نفسه، ج ٣، ص ٣٣ .

(٤) الحموي، ياقوت بن عبد الله ت (٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم الأدباء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ج ٤، ص ١٦٣٠، ر ٧٠٥ .

(٥) المصدر السابق نفسه، ج ٤، ص ١٧٣٧، ر ٧٥٣ .

(٦) الزركلي : المرجع السابق، ج ٨، ص ٣٦ .

(٧) الصيمري، حسين بن علي ت(٤٦٣هـ / ١٠٤٥م) : أخبار أبي حنيفة وأصحابه، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٧٨ .

في دينه، بعيدا عن الأمراء والملوك، صنف الموطأ ورحل إليه الناس من أقطار الأرض توفي (١٧٩ هـ/ ٧٩٥م)[١].

١٣- محمد بن مسلم بن عبد الله ابن شهاب الزهري كان يقول: أدركت من قريش أربعة بحور سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وأبا سلمة بن عبد الرحمن وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة. وعن الزهري قال: كنت أجالس عبد الله بن ثعلبة بن صعير العذري أتعلم منه نسب قومي. ثم لزمت سعيدا فكان هو الغالب على علم المدينة[٢]. توفي (١٢٤هـ/ ٧٤٢م).

١٤- زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب وكانت له حلقة في مسجد رسول الله ﷺ وقد روى عن ابن عمر وعن أبيه وعطاء بن يسار[٣].

١٥- ربيعة بن أبي عبد الرحمن المعروف بربيعة الرأي، قال مالك بن أنس: كنا نعد حلقة ربيعة ثلاثين رجلا معتما سوى من ليس بمعتم، وكان ربيعة يلبس العمائم. وقال مالك بن أنس: ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة بن أبي عبد الرحمن[٤]. توفي بالمدينة سنة (١٣٦هـ/ ٧٥٣م)[٥].

١٦- إبراهيم بن عقبة بن أبي عياش مولى الزبير بن العوام بن خويلد وكان لإبراهيم وموسى ومحمد بني عقبة حلقة في مسجد رسول الله ﷺ فكانوا كلهم فقهاء محدثين[٦].

١٧- محمد بن سيرين البصري، الأنصاري بالولاء إمام وقته في علوم الدين بالبصرة من أشراف الكتاب، مولده ووفاته في البصرة. تفقه وروى الحديث، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا وتوفي (١١٠ هـ/ ٧٢٨م)[٧].

---

(١) الزركلي: المرجع السابق، ج ٥، ص ٢٥٧ .

(٢) ابن سعد: المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٨٢.

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى(القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ص ٣١٤.

(٤) المصدر السابق نفسه، ص ٣٢١.

(٥) المصدر السابق نفسه، ص ٣٢٣.

(٦) المصدر السابق نفسه، ص ٣٣٩.

(٧) الزركلي: المرجع السابق، ج ٦، ص ١٥٤ .

١٨- عبد الرحمن بن أبى ليلى والذي يقول: أدركت عشرين ومائة من أصحاب النبي ﷺ كلهم من الأنصار. وكان أصحاب رسول الله ﷺ يستمعون لحديثه، وينصتون له، منهم البراء بن عازب، توفى سنة (٨٣هـ/ ٧٠٢م)[١].

١٩- قبيصة بن ذؤيب، والذي يقول: كنا في خلافة معاوية، وإلى آخرها، نجتمع في حلقة بالمسجد، بالليل، أنا، ومصعب، وعروة ابنا الزبير، وأبو بكر بن عبدالرحمن وعبد الملك بن مروان، وعبد الرحمن المسور، وإبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف، وعبيدالله بن عبد الله بن عتبة، وكنا نتفرق بالنهار، فكنت أنا أجالس زيد بن ثابت وهو مترئس بالمدينة في القضاء، والفتوى، والقراءة، والفرائض، في عهد عمر، وعثمان، وعلي. ثم كنت أنا وأبو بكر بن عبدالرحمن نجالس أبا هريرة، وكان عروة يغلبنا بدخوله على عائشة[٢]. توفي سنة (٨٦هـ/ ٧٠٥م).

٢٠- أبو بكر بن عياش وكان ممن يكتب الحديث عند الأعمش فمر بهم ذات يوم رجلٌ وقال: يا أبا محمد ما هؤلاء الصبيان حولك؟ قال: هؤلاء الذين يحفظون عليك دينك[٣].

٢١- حماد الراوية حماد بن سابور بن المبارك، وقيل إن الخليفة الوليد بن يزيد قال لحماد الراوية: بم استحققت هذا اللقب، فقيل لك: الراوية؟ فقال: بأني أروي لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به، ثم أروي لأكثر منهم ممن تعرف أنك لم تعرفه ولم تسمع به، ثم لا أنشد شعرًا قديما ولا محدثًا إلا ميزت القديم منه من المحدث.[٤] وروي أن عمرو بن العلاء كان يقدم حمادًا على نفسه، وكان حماد يقدم عمرًا على نفسه، وعمرو بن العلاء نفسه من شيوخ علماء العربية في ذلك العهد[٥]. توفي (١٥٥هـ/ ٧٧٢م).

٢٢- عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج[٦]، لزم عطاء سبع عشرة سنة روى عن ست عجائز من عجائز المسجد الحرام وكان صاحب علم، وقال ابن جريج: ما دون

---

(١) النووي، يحيى بن شرف ت (٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م) : تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج ١، ق ١، ص ٣٠٤، ر ٣٦٢ .

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٤٢٤ .

(٣) الرامهرمزي، المصدر السابق، ص ١٩٣ .

(٤) علي، جواد : المرجع السابق ج ١٧، ص ٣١٠.

(٥) المرجع السابق نفسه، ج ١٧، ص ٣١٢.

(٦) الخطيب البغدادي: تأريخ مدينة السلام – تاريخ بغداد –، مج ١٢، ص ١٤٢، ر ٥٥٢٦ .

العلم تدويني أحد وقال: جالست عمرو بن دينار بعد ما فرغت من عطاء سبع سنين[1]. توفي (١٥٠هـ/ ٧٦٧م).

٢٣- الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي، أبو عبد الرحمن من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، أخذه من الموسيقى وكان عارفا بها. وهو أستاذ سيبويه النحوي. ولد ومات في البصرة، قال النضر بن شميل: ما رأى الراؤون مثل الخليل ولا رأى الخليل مثل نفسه. توفي (١٧٠ هـ/ ٧٨٦م) [2].

٢٤- المفضل الضبي المتوفى (١٦٨ هـ/ ٧٨٤م)، هو المفضل بن محمد بن يعلي بن عامر الضبي، راوية، علامة بالشعر والأدب وأيام العرب. من أهل الكوفة. وهو أوثق من روى الشعر من الكوفيين[3].

٢٥- أبو قلابة الجرمي عبد الله بن زيد المتوفى (١٠٤هـ/ ٧٢٢م)، انتقل من البصرة إلى داريا وأقام فيها مكتبا يعلم فيه الصبيان القرآن[4].

٢٦- أبو إدريس الخولاني المتوفى (٨٠هـ/ ٦٩٩م)، عائذ الله بن عبد الله بن عمرو الخولاني الدمشقي: تابعي فقيه وكان واعظ أهل دمشق وقاصهم في خلافة عبد الملك. وتولى القضاء في دمشق. قال فيه الذهبي: عالم أهل الشام[5].

٢٧- شهر بن حوشب المتوفى (١٠٠هـ/ ٧١٨م)، فقيه قارئ، من رجال الحديث[6].

٢٨- ورجاء بن حيوة المتوفى (١١٢هـ/ ٧٣٠م)، شيخ أهل الشام في عصره. من الوعاظ الفصحاء العلماء. كان ملازما لعمر بن عبد العزيز في عهدي الإمارة والخلافة، واستكتبه سليمان بن عبد الملك. وهو الذي أشار على سليمان باستخلاف عمر[7].

---

(١) الخطيب البغدادي: تأريخ مدينة السلام – تاريخ بغداد –، مج ١٢، ص ١٤٦.

(٢) الزركلي: المرجع السابق، ج ٢، ص ٣١٤ .

(٣) المرجع السابق نفسه، ج ٧، ص ٢٨٠ .

(٤) أبيض، ملكة: مؤسسات التربية العربية في الشام حتى أواسط القرن الرابع الهجري، ج١، ص ١٤٤. وانظر ابن عساكر: المصدر السابق، ج٢٨، ص ٢٨٣، ر ٣٣٠٢.

(٥) الزركلي: المرجع السابق، ج ٣، ص ٢٣٩ .

(٦) المرجع السابق نفسه، ج ٣، ص ١٧٨ .

(٧) المرجع السابق نفسه، ج ٣، ص ١٧ .

٢٩- عبد الله بن بسر المازني، صحابي. كان ممن صلى إلى القبلتين. توفي بحمص عن ٩٥ عاما وهو آخر الصحابة موتا بالشام توفي (٨٨هـ/ ٧٠٦م)[١].

٣٠- القاسم بن معن بن عبد الرحمن المسعودي الهذلي الكوفي، أبو عبد الله: قاضي الكوفة، من حفاظ الحديث. كان عالما بالعربية والأخبار والأنساب والأدب، ومن أروى الناس للحديث والشعر، يقال له: شعبي زمانه. وكان سخيا. وهو من أحفاد الصحابي عبد الله ابن مسعود[٢]. توفي (١٧٥هـ/ ٧٩١م).

٣١- وهب بن منبه الصنعاني المتوفى (١١٤هـ/ ٧٣٢م)، مؤرخ كثير الأخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين ولا سيما الإسرائيليات. ولد ومات بصنعاء وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها[٣].

وممن وصف بالتعليم وأنه كان معلما كلا من الطرماح بن حكيم بن الحكم[٤]، ومحمد بن الزبير[٥]. فراس بن يحيى الهمداني[٦] والضحاك بن مزاحم[٧]و عبد الكريم بن أبي المخارق[٨] وإسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر[٩]، والقاسم بن مخيمرة أبو عروة الهمداني الكوفي[١٠]. وعبد الله بن الحارث وقبيصة بن ذؤيب وعمرو بن الحارث والزهري [١١]، و محمد بن صدقة الجبلاني[١٢] وليث بن أبي سليم[١٣]، وبشر بن منصور[١].

---

(١) المرجع السابق نفسه، ج ٤، ص ٧٤ .

(٢) الزركلي: المرجع السابق، ج ٥، ص ١٨٦ .

(٣) المرجع السابق نفسه، ج ٨، ص ١٢٥ .

(٤) المرجع السابق نفسه، ج ٣، ص ٢٢٥ .

(٥) ابن حبان: الثقات، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ط١، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ج ٧، ص ٤٠٣ . وانظر الكامل في ضعفاء الرجال للجرجاني، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، ج ٦، ص ٢٣٨ .

(٦) ابن أبي حاتم: المرجع السابق، ج ٧، ص ٩١، ر ٥١٤ .

(٧) الجرجاني، عبدالله بن عدي ت (٣٦٥هـ/ ٩٧٥م) : الكامل في ضعفاء الرجال، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، ج ٤، ص ٩٥ .

(٨) المصدر السابق نفسه، ج ٥، ص ٣٣٩ .

(٩) ابن عساكر: المصدر السابق، ج ٨، ص ٤٣٤.

(١٠) المصدر السابق نفسه، ج ٤٩، ص ١٩٦.

(١١) المصدر السابق نفسه، ج ٤٩، ص ٢٥٨.

(١٢) ابن حجر، أحمد بن علي ت(٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) : تهذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ج ٩، ص ٢٠٥ .

(١٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٦، ص ١٨٢ .

ولقد ترقى عدد من المعلمين لدى الخلفاء حتى أنهم يستشارون في القضايا المهمة ويوكل إليهم الأعمال الجليلة، فكان قبيصة بن ذؤيب فقيه أهل المدينة كاتبا لعبد الملك بن مروان على ديوان الخاتم، وكان الحسن البصري كاتبا للربيع بن زياد الحارثي على خراسان[٢] ثم صار سيد الزهاد مع علمه وفقهه، ولاه عمر بن عبد العزيز قضاء البصرة وكان محمد بن سيرين كاتبا لأنس بن مالك بفارس، وكان الشعبي كاتبا لعبد الله بن مطيع ثم لعبد الله بن يزيد الخطمي من الأنصار والي عبد الله بن الزبير على الكوفة، ثم بلغ من الفقه والعلم ما لم يكن أحد يناظره فيه من أهل دهره. وكان سعيد بن جبير كاتبا لعبد الله بن عتبة بن مسعود ثم كتب لأبي بردة بن أبي موسى الأشعري[٣].

وحتى خصوم الأمويين من العباسيين شهدوا على براعة المثقفين من أعيان الدولة الأموية ومن بينهم يحيى بن خالد البرمكي الذي استدعى إسماعيل بن عبد الحميد الكاتب وسأله: يا إسماعيل أتدري ما بين يدي؟ قال: نعم، مصحف. قال: لا، ولكن رسائل أبيك، فإنا ما نلتمس شيئا نريد أن نؤيد به المُلْكَ إلا وجدنا أباك قد سبقنا إليه. وعبد الحميد بن يحيى الكاتب هو القائل يصف الكُتّابَ: إن الكُتّابَ قليل والمتسمون بالكُتّابِ كثير.[٤]

ومن حرص الخليفة عمر بن عبد العزيز على التعليم أنه أمر برجل إلى الحبس وقال: ضعوه في الحبس، ووكلوا به معلما يعلمه القرآن وما يجب عليه من الطهارة والصلاة، وأجروا عليه كل يوم درهما، وعلى معلمه ثلاثة، ولا يخرج من الحبس حتى يحفظ القرآن أجمع[٥]. وإن عمر بن عبد العزيز بهذا الفعل يكون قد سبق علماء النفس والإصلاح بقرون عديدة، وجعل السجون مراكز تأهيل وإصلاح لنزلائها ومحاولة لدمجهم في المجتمع بالطرق السليمة. إذ أن

---

(١) أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله، ت(٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م) : حلية الأولياء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، ج ٦، ص ٢٤١ .

(٢) خراسان بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق، وآخر حدودها مما يلي الهند وطخارستان وغزنة وسجستان وكرمان وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها وتشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو وبلخ وطالقان ونسا، انظر الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص ٣٥٠ .

(٣) البغدادي، عبد الله بن عبد العزيز: الكتّاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها، تحقيق هلال ناجي، مجلة المورد، وزارة الإعلام، العراق، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، مج ٢، ع ٢، ص ٥٨ .

(٤) المرجع السابق نفسه، مج ٢، ع ٢، ص٧٠- ٧١ .

(٥) ابن الجوزي: أخبار الظراف والمتماجنين، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص ١٣٢ .

العديد من الدول العربية في الوقت الحالي تتبع نفس الأسلوب في محاولة إصلاح وتعليم وإعادة تربية نزلائها من المسجونين، وذلك عبر تشجيعهم حفظ كتاب الله ﷻ وحفظ الأحاديث والمتون العلمية، بل وقام المسؤولون بإلحاق المكتبات العلمية والمعاهد الفنية في السجون بغية تأهيل نزلائها التأهيل القويم.

ومن أبرز المعلمين في المغرب الإسلامي في فترة العصر الأموي، ممن لهم دور تربوي في المغرب وإسهام في تعريبه وطبعه بالطابع الإسلامي:

١- إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر: ولاه عمر بن عبد العزيز على إفريقية[1] في المحرم سنة (٩٩ . ١٠٠هـ/ ٧١٧- ٧١٨م) فكان خير أمير، قال ابن خلدون: وأسلم جميع البربر في أيامه، وأرسل معه عشرة من فقهاء التابعين وعلمائهم يفقهون الناس في أمور الدين، ويبينون لهم الحلال والحرام. وكان هذا الأمير في غاية الزهد والتواضع حريصاً على نشر العلم وسار في أهل البلاد بسيرة العدل، وكان شديد الحفظ لحديث رسول الله ﷺ، ومكث في القيروان معلماً للناس، ناشراً للسنة، لمدة ثلاث وثلاثين سنة حيث توفي بها سنة (١٣١هـ/ ٧٤٨م).

٢- بكر بن سوادة الجذامي: أبو ثمامة المتوفى (١٢٨هـ/ ٧٤٥م) بإفريقية قام في الشمال الإفريقي أكثر من ثلاثين سنة محدثاً ومفتياً، وفقيهاً وقد انتفع به أهلها، ورووا عنه، وعداده في المصريين رغم طول مكثه بالقيروان ووفاته بها.

٣- جُعثلُ بن عاهان الرُّعيني القتباني: أبو سعيد المتوفى حوالي (١١٥ هـ/ ٧٣٣م)، وكان محدثاً، فقيهاً مقرئاً، تولى قضاء الجند بالقيروان وبث فيها علماً كثيراً لمدة زادت عن خمسة عشر عاماً.

٤- حبان بن جبلة القرشي المتوفى (١٢٥هـ/ ٧٤٢م وقيل ١٢٢هـ/ ٧٣٩م)، أرسله عمر لتفقيه أهل مصر بالقيروان أدخل في الشمال الإفريقي حديث جملة من الصحابة منهم: ابن عباس وابن عمر، وعبد الله بن عمرو، ووالده عمرو، وبقي يبث العلم في عاصمة الشمال الإفريقي في مدينة القيروان أكثر من خمس وعشرين سنة.

---

(١) إفريقية بكسر الهمزة وهو اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية وينتهي آخرها إلى قبالة جزيرة الأندلس، انظر الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص ٢٢٨.

٥- سعد بن مسعود التجيبي أبو مسعود المتوفى بالقيروان، يروي عن جماعة من الصحابة، وقد سكن القيروان وبث في الشمال الإفريقي علماً كثيراً وكانت مجالسه مليئة بالحكم والمواعظ البليغة، وكان شديداً على الأمراء.

٦- طلق ابن جعبان الفارسي، أكثر روايته عن التابعين كان فقيهاً عالماً، وروى عنه من أهل القيروان.

٧- عبد الرحمن بن رافع التنوخي المتوفى بالقيروان (١١٣هـ/ ٧٣١م)، دخل القيروان في وقت مبكر، سنة (٨٠هـ/ ٦٩٩م)، ، وذلك على عهد حسان بن النعمان، وهو أجل قضاة القيروان، واستمر يبث فيها العلم ما يقارب ثلاثاً وثلاثين سنة، حتى انتفع به خلق كثير من أهلها.

٨- عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة الكناني كان مقيماً في القيروان قبل زمن بعثة عمر بن عبد العزيز بمدة طويلة ولاه عمر بن عبد العزيز قضاء القيروان سنة (٩٩هـ/ ٧١٧م)، سار في أهل القيروان بالكتاب والسنة ونشر العلم بينهم لمدة طويلة زادت عن خمس وعشرين سنة.

٩- عبد الله بن يزيد المعافري الحبلي، المتوفى بالقيروان (١٠٠هـ/ ٧١٨م)، دخل القيروان في زمن مبكر، وسكنها وبنى بها داراً ومسجداً لمجالسه العلمية وانتفع به أهل إفريقية وبث فيها علماً كثيراً وأدخل القيروان حديث جماعة من الصحابة ممن لم يدخلها، وكان تأثيره في الحياة العلمية . خاصة الجانب الحديثي . بالقيروان كبيراً.

١٠- وهب بن حي المعافري: سكن القيروان، وبث فيها علماً كثيراً وبها كانت وفاته، وقد أدخل إلى القيروان حديث ابن عباس وغيره، وروى عن النبي ﷺ مرسلاً.

هؤلاء الفقهاء العشرة من خيرة فقهاء التابعين أرسلهم عمر بن عبد العزيز إلى الشمال الإفريقي ليفقهوا ويعلموا الناس دينهم فكانوا عند حسن ظنه بهم وكانوا للناس قدوة صالحة، وقد سبق هؤلاء العشرة كثير من التابعين الذين قاموا بتعليم أهل البلاد أحكام الدين علماً وعملاً[١].

(١)الصلابي، علي محمد : عمر بن عبد العزيز وعالم التجديد، دار ابن كثير، دمشق، ط خاصة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص ٢٤٢- ٢٤٥ .

مجالس العلم

ولم يأنف الصحابة من الانضمام لحلق العلم التي يلقيها التابعون فعن مكحول قال: كانت حلقة من أصحاب النبي ﷺ يدرسون جميعا، فإذا بلغوا سجدة بعثوا إلى أبي إدريس الخولاني، فيقرؤها، ثم يسجد، فيسجد أهل المدارس. وعن يزيد بن أبي مالك، قال: كنا نجلس إلى أبي إدريس الخولاني فيحدثنا، فحدث يوما عن بعض مغازي رسول الله ﷺ حتى استوعب الغزاة، فقال له رجل من ناحية المجلس: أحضرت هذه الغزوة ؟ فقال: لا، فقال الرجل: قد حضرتها مع رسول الله ﷺ، ولأنت أحفظ لها مني[١]. وعن ابن سيرين قال قدمت الكوفة وللشعبى حلقة عظيمة وأصحاب رسول الله ﷺ يومئذ كثير[٢].

ومن مجالس القرن الأول مجلس قبيصة بن ذؤيب في جامع دمشق وكان مجلسه أعظم المجالس وأكثرها أهلا، وقد غلب عليه الحديث. وحلقة أو مجلس الفقيه مكحول، في جامع دمشق وقد استمرت تلك الحلقة قرابة الثلاثين عاما، وغلب عليها الفقه. وقد أوصى مكحول بها بعد وفاته إلى تلميذه ثابت بن ثوبان. وحلقة مكحول هي التي جاء إليها يزيد بن عبد الملك أيام طلبه العلم، وقال مكحول لطلبة العلم: دعوه يجلس حيث انتهى المجلس يتعلم التواضع.

ومجلس القارئ عبد الله بن عامر اليحصبي في جامع دمشق، وقد طلب منه الخليفة الوليد بن عبد الملك الجلوس للإقراء في موضع بعينه من المسجد، وحلقة سعيد بن عبد العزيز التنوخي في جامع دمشق وكان يدرس فيها الحديث والفقه. وحلقة عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي وكانت حلقته في دمشق وبيروت حلقة حديث وفقه، كما كان لمجالس الأدب نصيب في الجوامع كما كان في جامع حلب في مجلس نوفل بن الفرات[٣].

ومن المؤدبين من كان يجمع بين الصبيان والجواري في موضع واحد كالخليل بن عمرو، وهو مكي ومولى بني عامر بن لؤي، وكان يؤدب الصبيان ويلقنهم القرآن والخط ويعلم الجواري[٤].

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٢٧٤ .

(٢) الذهبي: تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ج ١، ص ٦٥ .

(٣) أبيض، ملكة: مؤسسات التربية العربية في الشام حتى أواسط القرن الرابع الهجري، ج١، ص١٢١- ١٢٢ .

(٤) الأصفهاني، علي بن الحسين ت (٣٥٦هـ/ ٩٦٧م) : الأغاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ج ٢١، ص ١٩٦.

وقد شهد المنصور – الخليفة العباسي – على رواج العلم وانتشاره زمن بني أمية بقوله لمالك بن أنس: قد طلبت هذا الشأن في زمان بني أمية فقد عرفته[1]. ويشير أبو عمرو الكلبي إلى انتشار التعليم بقوله: عهدت المسجد الجامع – يعني بدمشق – وإن عند كل عمود شيخاً، وعليه الناس يكتبون العلم[2].

عطاء العلماء

اهتم الخلفاء الأمويون بصرف العطاء وما يصلح للمتفرغين في التعليم وطلب العلم فقد ذكر المدائني أن وظيفة دمشق التي وظفها معاوية أربع مئة ألف دينار، وهذا بعد صرف ما لا بد من صرفه في ديوان الجند والولاة، وأرزاق الفقهاء والمؤذنين والقضاة[3]. ونجد أن رجاء بن حيوة ت (١١٢هـ/ ٧٣٠م) كان يعطى أيام يزيد بن عبد الملك ثلاثين دينارا شهريا، وكان رجاء يحدث ويفقه ببيت المقدس[4].

وكان الخليفة عمر بن العزيز ببعث العلماء لتفقيه وتعليم الناس، ومن العلماء عالِمَين كبيرين يقرئان بني تميم القرآن ويفقهانهم، وهما الحارث بن يمجد الأشعري ويزيد بن أبي مالك وأجرى عليهما رزقا، فقبل يزيد الرزق ولكن الحارث رفضه لأنه لم يرد أن يتقاضى أجرا على التعليم[5].

أما عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ت (١٥٧هـ/ ٧٧٤م) الذي فقه الجند، فقد سيل اسمه في ديوان الساحل لأن العطاء كان مقصورا في أيامه على المقاتلين. ولقد بدأ عدد المستفيدين من المعلمين والمتعلمين يزداد من لدن عهد الوليد بن عبد الملك، مما دعت الحاجة لأولي الأمر والأخوان الميسورين إلى إعطاء الجوائز والهبات وقضاء الديون عن المعلمين والطلاب أحيانا. ومن شواهد ذلك: أن الوليد بن عبد الملك كان يعطي إبراهيم بن أبي عبلة قصاع الفضة ليقسمها

---

(١) ابن عساكر: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٨٤.

(٢) المصدر السابق نفسه، ج ١، ص ٣٢٨ .

(٣) ابن عساكر: المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٢ .

(٤) أبيض، ملكة: مؤسسات التربية العربية في الشام حتى أواسط القرن الرابع الهجري، ج١، ص ١٣٢ .

(٥) المرجع السابق نفسه، ج١، ص ١٣٥ .

على قراء بيت المقدس. وأن عمر بن عبد العزيز قضى عن عاصم بن عمر بن قتادة دينه وأمر له بمعونة، وأمره أن يجلس في مسجد دمشق فيحدث الناس بمغازي الرسول ومناقب أصحابه[1].

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى والي حمص: انظر إلى القوم الذين نصبوا أنفسهم للفقه وحبسوها في المسجد عن طلب الدنيا فأعط كل رجل منهم مائة دينار يستعينون بها على ما هم عليه من بيت مال المسلمين حين يأتيك كتابي هذا قال: خير الخير أعجله والسلام عليك. وكان عمرو بن قيس وأسد بن وداعة فيمن أخذها[2]. وأن مسلمة بن عبد الملك أوصى بثلث ماله لطلاب الأدب، وقال إنها صناعة مجفو أهلها.

وجدير بالذكر أن الأوزاعي بالذات حصل على أعطيات كثيرة من بني أمية وبني العباس بلغت سبعين ألف دينار، وكان يقبل هذه الأعطيات ويوزع معظمها على الفقراء، كما أن بعض المعلمين كانوا يشركون طلابهم في العطاء الذي يحصلون عليه[3].

فأخبار عطاء العلماء وردت زمن الخلفاء الراشدين، واتسع نطاقه زمن بني أمية نظرا لاتساع التعليم والمتعلمين، بل ووردت الإشارات إلى قيام الخلفاء بتسديد وقضاء ديون العلماء، وعند ترقي العلماء لتربية وتعليم أبناء الخلفاء نجد العطاء في ازدياد تبعا للأعباء الملقاة عليهم.

---

(١) المرجع السابق نفسه، ج١، ص ١٣٣ .

(٢) ابن عساكر : المصدر السابق، ج ٤٦، ص ٣٢٠.

(٣) أبيض، ملكة: مؤسسات التربية العربية في الشام حتى أواسط القرن الرابع الهجري، ج١، ص ١٣٣-١٣٤.

الفصل الثالث: التعليم الخاص في العصر الأموي

المبحث الأول: تعليم أبناء الخلفاء وكبار رجالات الدولة.

المبحث الثاني: المعلمون.

المبحث الثالث: مناهج التعليم.

المبحث الرابع: وصايا الخلفاء التربوية.

المبحث الأول: تعليم أبناء الخلفاء وكبار رجالات الدولة

إن تعليم أبناء الخلفاء وأبناء الخاصة في الدولة كان يتطلب مزيدا من الاهتمام والعناية، فقد سعى الخلفاء وكبار رجالات الدولة إلى تعليم أبناءهم أفضل ما يمكن من جميع العلوم السائدة في ذلك العصر، وأن يتم تنشأتهم التنشأة الصالحة، مع الإعداد الجيد لتحمل الأعباء المستقبلية، فلا بد من أن يكونوا ملمين بعلوم القرآن والفقه والأدب والشعر وتاريخ العرب وأيامهم بالقدر الذي يؤهلهم لأن يلاقوا الوفود وأن يجيزوهم بما يناسبهم. وعلى أبناء الخلفاء والأمراء أن يكونوا مؤهلين لتولي المناصب الهامة، وقد حرص الخلفاء على تدريب أبنائهم على القيادة والحكم من خلال تكليفهم ببعض المهام سواء العسكرية بقيادة بعض الحملات العسكرية أو رئاسة الوفود أو حضور المناظرات ومجالس العلم والحكم، وتعليمهم التواضع واحترام العلماء.

كما أن الخلفاء الأمويين اهتموا بأولياء العهود وألزموا أبناءهم المؤدبين والفقهاء ويتضح ذلك من قول أهل الشام في معاوية بن يزيد: ما رأينا شابا أصح وجها ولا أفصح لسانا ولا أمد قامة من معاوية بن يزيد بن معاوية. وكان يزيد لما عقد لابنه معاوية ألزمه الفقهاء والرواة[١].

وبلغ من اهتمام الوليد بن عبد الملك أن قال: إذا احتلم الصبي من ولدي فضموا إليه مؤدباً له صلاح وفضل وشرف، وضُمُّوا إليه عَشَرَةٌ يجالسونه ويكونون عيوناً عليه يحولون بينه وبين من يجالسه من أهل الدناءة والسخف[٢].

وبما أن استقامة اللسان وفصاحة البيان من المكونات الأساسية لمن يتصدى لقيادة الناس في تلك الحقبة، كان الخلفاء يرسلون أبناءهم إلى البادية ليتربوا فيها على الفصاحة والعادات العربية العريقة، فنشأ يزيد بن معاوية على سبيل المثال مع أمه ميسون الكلبية[٣] في صحراء بني

---

(١) أبو تمام، حبيب بن أوس بن الحارث ت(٢٣١هـ/ ٨٤٦م): نقائض جرير والاخطل، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ط١، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م، ص ٥ .

(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى ت (٢٧٩هـ/ ٨٩٢م): كتاب جمل من أنساب الأشراف، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ج٨، ص ٣٢٥٩ .

(٣) ميسون بنت حميد بن بجدل الكلبية، شاعرة، تزوجها معاوية بن أبي سفيان ونقلها من البدو إلى دمشق وأسكنها قصرا من قصور الخلافة فكانت تكثر الحنين والتذكير لمسقط رأسها، فطلقها معاوية. انظر كحالة، عمر رضا: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م، ج ٥ ، ص ١٣٦.

كلب، وأخذ من الصحراء خير ما كان فيها، مثل الفصاحة فكان يعد من خطباء العرب وأخذ كذلك حب الصيد والرياضة[١].

واعتاد أهل الحاضرة عموما إرسال أبنائهم إلى البادية ليعيشوا مع أترابهم ويختلطوا بمجتمع البادية فيأخذوه من اللغة أفصحها ومن الشعر أفضله ومن الفروسية أمهرها. كما عمد البعض إلى إرسال أبنائهم إلى المدينة المنورة باعتبارها مدرسة القرآن والحديث، كما كان مع عمر بن عبد العزيز رحمه الله حيث أرسله أبوه إلى المدينة ليتعلم فيها.

وكان المؤدب يحظى بتقدير واحترام كبير من قبل الخليفة أو الأمير، فكان يفرد له جناح خاص في قصر الأمير بحيث يكفل له طعامه وشرابه وإقامته، وقد يقضي معه الأعوام الطويلة[٢]. ولم يكن هذا الفعل مقتصرا على أبناء الخلفاء بل تعدى ذلك إلى الرجال المهمين في الدولة، ويستدل من ذلك فعل محمد بن عبد الله بن طاهر، إذ يقول ثعلب: أقعدني محمد بن عبد الله بن طاهر مع ابنه طاهر وأفرد لي دارا في داره وأقام لنا وظيفة فكنت أقعد معه إلى أربع ساعات من النهار ثم أنصرف إذا أراد الغداء[٣].

ولم تكن مهمة المؤدب تقتصر على التعليم بل كانت تتعداه إلى غرس القيم والمبادئ السامية والإشراف على حياة الأبناء الخاصة ومراقبة مأكلهم ومشربهم والعناية بأخلاقهم وآدابهم، وكل ذلك ليظهروا مقدرة وبراعة في إدارة دفة الأمور عندما يتولى أحدهم المهام العامة التي سيكلف بها فيما بعد.

ولم يغفل المؤدبون عن أهمية الترويح والتسلية على العملية التعليمية فيذكر الجاحظ أن الأوائل كانوا يتخذون لأبنائهم من يعلمهم الكتاب والحساب ثم لعب الصوالجة[٤] والرمي في

---

(١) العقاد، عباس محمود : التعليم عند العرب، مجلة الكتاب، مج ١، ج٣، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م، ص ٢٦٣ .

(٢) صالحية، محمد : مؤدبو الخلفاء في العصر الأموي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، الكويت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، مج ١، ع ٣، ص ٣٧ – ٤٣.

(٣) النجار: المرجع السابق، ص ١١٦ .

(٤) الصولج عصا معقوف طرفها يضرب بها الفارس الكرة والجمع صوالج، انظر الزيات، أحمد: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط٤، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص ٥١٩.

التنبوك[١] والمجثمة[٢] والطير الخاطف، ورمي البنجكاز والبنادق، وقبل ذلك الدبوق والنفخ في الشيطار، وبعد ذلك الفروسية واللعب بالرماح والسيوف والمشاولة[٣] والمنازلة والمطاردة ثم النجوم واللحون والطب والهندسة وتعلم النرد والشطرنج[٤].

ولعل المتأمل لسيرة الخليفة عبد الملك بن مروان يلحظ أنه كان حريصا كل الحرص على معرفة نفسيات أبنائه ومحاولته إشباع حاجاتهم النفسية من لعب وحب استجمام، وحرصه كذلك على احترام وتقدير معلمي أولاده فكان يجلس بالقرب منهم. يقول إسماعيل بن عبيد الله:

كنت أعلم يزيد بن عبد الملك بن مروان ومروان بن عبد الملك ومعاوية بن عبد الملك بن مروان وكان أصغرهم. فكنت على فراش وهم بين يدي يتعلمون فأقبل عبد الملك يمشي بغير رداء فلما نظرت إليه يؤمني يريد أن يجلس عندي قمت عن الفراش، فقال عبد الملك: اجلس يا إسماعيل مكانك. فجلست وقام قائما فقال: يا غلام ائتني بوسادة فأوتيت له وسادة فجلس معه بنوه إلى جانبي فقالوا: يا أمير المؤمنين إن إسماعيل قد عمنا بالتعليم فإن رأيت أن تدعنا نلعب. قال: بأي شيء تريدون أن تلعبوا قالوا: بالجوز. فقال: يا غلام ائتنا بقفة من جوز. وأخذوا يلعبون وأخذ عبد الملك يعين ابنه الأوسط مروان على معاوية الأصغر إذ فر الأصغر فبكى فقال له عبد الملك: في شأن عشر جوزات قمرك تبكي! نحن نهب لك غرارة ملأى. قال الغلام: والله ما أبكي أن قمرني ولكن أبكي على تعليمك إياه علي منذ اليوم. فقلت ليزيد: ألا ترى إلى أخيك بكى من عشر جوزات! فنكس الغلام حياء ولم يجبني يعني يزيد. فقال عبد الملك حين رآه لا يتكلم قد استحيى: لنجدن أبا خالد حليما سكوتا. يعني يزيد إذ لعبوا وضحكوا فقال: يا بني تضحكون وتلعبون وقد مر على رأس أبيكم ما قد مر[٥].

---

(١) النَّبَكَة أَكَمة مُحَدَّدة الرأْس وربما كانت حمراء ولا تخلو من الحجارة وقيل هي الأَرض فيها صَعُود وهَبُوط، انظر ابن منظور: لسان العرب، ج١٠، ص ٤٩٧.

(٢) المُجَثَّمة هي المَصْبورة وهي كل حيوان يُنْصَب ويُرْمَى ويُقْتَل ولا تكون إلاَّ من الطير والأَرانِب وأَشْباهِها مما يَجْثِمُ بالأرض أي يَلْزمها، انظر ابن منظور: لسان العرب، ج١٢، ص ٨٢.

(٣) شال الشيء شولا وشولانا ارتفع، وأشاله رفعه، انظر الزيات: المعجم الوسيط، ص ٥٠١.

(٤) الضامن، حاتم صالح : فصول مختارة من كتب الجاحظ، المورد مجلة تراثية فصلية، وزارة الثقافة والفنون، العراق مج ٧، ع ٤، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م، ص ١٥١ .

(٥) ابن أبي الدنيا: المصدر السابق، مج ٣، ص ١٠٦١- ١٠٦٢.

وكان كبار رجال الدولة من أمثال زياد بن أبي سفيان والحجاج وغيرهم يهتمون كاهتمام الخلفاء في تربية أبنائهم، ويتضح ذلك من قول الوليد بن عبد الملك: من رأى مثل ولدي عبد العزيز على دمشق، والعباس على حمص، وبشر على قنسرين، وعمر على الأردن. فقال له عباد بن زياد: كان عبيد الله بن زياد على العراق، وأخوه عثمان خليفته على أحد المصرين، وعباد على سجستان، وعبد الرحمن على خراسان. فسكت[١]. أي أن أبناء زياد قد وصلوا لمرتبة من الكفاءة تؤهلهم لكي يكونوا قادة للولايات الإسلامية مع ما فيها من أعباء ومسؤوليات.

ومن وصايا الحجاج بن يوسف لمؤدب ولده: علم ولدي السباحة قبل الكتابة، فإنهم يصيبون من يكتب عنهم ولا يصيبون من يسبح عنهم[٢]. واختار زياد بن أبي سفيان أبو الأسود الدؤلي لتعليم أولاده[٣] إلى جانب أبى العرباض السلمى[٤]. ومن المعلمين ثم من البلغاء المتأدبين عبد الله بن المقفع وكان يتولى لآل الأهتم وكان مقدما في بلاغة اللسان والقلم والترجمة واختراع المعاني وابتداع السير[٥].

وفي الجانب البدني نجد لبعض خلفاء بني أمية اهتماما بالفروسية كمعاوية بن أبي سفيان ﷺ[٦] بل والسماح لابنه يزيد في المصارعة كمصارعة ابن ركانة والذي كان آيَةَ زمانه في المصارعة ولم يكن معاوية ليأذن لابنه يزيد في مصارعته لولا معرفته بقدرة وشدة ابنه على تلك المواجهة[٧].

---

(١) البلاذري: المصدر السابق، ج٨، ص ٣٢٥٩ .

(٢) علي، جواد: المرجع السابق ج١٥، ص ٢٩٩.

(٣) ابن خلكان، المصدر السابق، ج٢، ص ٥٣٦.

(٤) ابن حبيب: المصدر السابق ، ص ٣٤٦ .

(٥) الضامن، حاتم صالح : فصول مختارة من كتب الجاحظ، المورد مجلة تراثية فصلية، وزارة الثقافة والفنون، العراق مج ٧، ع ٤، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م، ص ١٥٥ .

(٦) صالحية : المرجع السابق، مج ١، ع ٣، ص ٣٧ .

(٧) ابن أبي الدنيا: المصدر السابق مج ٣، ص ١٠١٤.

ولم يغفل خلفاء بني أمية في توجيهاتهم لمؤدبي أبنائهم الحرص على الصحة البدنية، فكانوا يوصونهم بتجنيب بنيهم السمن وأن لا يطعموا طعاما فوق طعام[١]. وجاء في وصية عبد الملك بن مروان لمؤدب ولده: أن يزن المؤدب عقل الولد وقلبه وجسمه[٢].

وعمد الخلفاء على إلحاق أبنائهم في الحملات العسكرية إلى بلاد الروم كما يتضح من فعل معاوية بن أبي سفيان مع ابنه يزيد[٣]وإرساله إلى القسطنطينية، لكسب الخبرة العملية في الجهاد في سبيل الله تعالى، وكذلك اقتدى الوليد بن عبد الملك بمعاوية بن أبي سفيان ﷺ في إرسال بنيه، كالعباس ومروان وعبد العزيز وعمر وبشر [٤].

ومن أجل تحفيز الخلفاء أبناءهم على طلب العلم كانوا يشاركونهم في حلقات العلم فكان على سبيل المثال يزيد بن عبد الملك كان يحضر حلقات التدريس في الجامع الأموي طلبا للعلم وكذلك مروان بن محمد بن مروان بن الحكم آخر خلفاء[٥] بني أمية[٦]. ومما يروى قول مكحول لطلبته: دعوه يتعلم التواضع[٧]. وذلك عند إقبال يزيد بن عبد الملك إلى مجلسه.

وكان سليمان بن عبد الملك يحضر حلقة طاووس[٨]. ويحرص على اصطحاب العلماء معه من أمثال الزهري إلى المدينة ولقيا العلماء كأبي حازم وغيره[٩]. وقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله: يغشاني علماء المدينة ويبلغني علم سعيد بن المسيب[١٠]. دليل على شيوع مجالس العلم

---

(١) المصدر السابق نفسه، مج ٣، ص ١٠٦٠.

(٢) العمايرة: المرجع السابق، ص ١١١ .

(٣) الخضري بك، محمد: الدولة الأموية، دار الأرقم بيروت، د.ت، ص٢٧٦ .

(٤) خفاجي، عبد المنعم : معارك فاصلة في التاريخ الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط٢، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ٤٩- ٥٠ .

(٥) انظر الملحق (٥)، الخلفاء الأمويون من لدن معاوية وحتى مروان.

(٦) صالحية: المرجع السابق، مج ١، ع ٣،، ص ٤٥ .

(٧) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٥، ص ١٥٠ .

(٨)المروذي، أحمد بن محمد ت (٢٧٥هـ/ ٨٨٨م) : أخبار الشيوخ وأخلاقهم، دار البشائر، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص ٦٦ .

(٩) المصدر السابق نفسه، ص ٨٣ .

(١٠) المصدر السابق نفسه، ص ٤٨ .

واهتمام الخلفاء بها وبتربية أبنائهم التربية الصحيحة. حتى قيل في يزيد بن عبد الملك أنه كان يقرأ القرآن في سجدة واحدة[١]. ويفهم من هذه الرواية حرصه على قراءة القرآن الكريم ومدارسته.

ومن أكثر ما اهتم به الخلفاء مسألة اللحن في اللغة والتأديب على استقامة اللسان، فهذا يزيد بن معاوية يقول: إياكم أن تجعلوا الفصل وصلا فإنه أشد وأعيب من اللحن[٢]. وقد كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله أشد الناس في اللحن على ولده وخاصته ورعيته، وربما أدب عليه[٣].

لقد حرص خلفاء بني أمية على غرس القيم الإسلامية الثمينة من صدق وأمانة في أبنائهم فكانت وصاياهم تتكرر لمؤدبي أبناءهم بهذا الشأن فقد أمر عبد الملك بن مروان مؤدب ولده أن يعلم بنيه الصدق كما يعلمهم القرآن[٤]. ومن الأقوال المأثورة في الحلم قول معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: لا يبلغ الرجل مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك إلا بقوة الحلم، وقوله: يا بني أمية قارعوا قريشا بالحلم فوالله إن كنت لألقى الرجل من الجاهلية يوسعني شتما وأوسعه حلما فأرجع وهو لي صديق، أستنجده فينجدني وأثيره فيثور معي وما دفع الحلم عن شريف ولا زاده إلا كرما[٥].

ومن نتائج توجيهات عبد الملك لمؤدبي أولاده، وحرصه على متابعة تربيتهم وتعليمهم؛ أنهم كانوا من خطباء العرب، فانظر لخطبة سليمان بن عبد الملك فور توليه الخلافة وما اشتملت عليه من درر البيان وعظيم الحكمة فقد قال: الحمد لله الذي ما شاء صنع، وما شاء رفع، وما شاء وضع، وما شاء أعطى، ومن شاء منع، إن الدنيا دار غرور، ومنزل باطل، وزينة تتقلب، تضحك باكيا وتبكي ضاحكا، وتخيف آمنا، وتؤمن خائفا، تفقر مثريها، وتثري فقيرها، ميالة لاعبة بأهلها. يا عباد الله اتخذوا كتاب الله إماما وارضوا به حكما، واجعلوه لكم قائدا، فإنه ناسخ لما كان

---

(١) ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد (٢٨١هـ / ٨٩٤م) : الإخوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٢٢٩.

(٢) العسكري، الحسن بن عبد الله ت (٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م) : الصناعتين الكتابة والشعر، مطبعة محمود بك، الأستانة العلية، ط١، ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م، ص ٣٥١ . المكتبة العصرية، بيروت ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٤٤٠ .

(٣) الحموي، ياقوت بن عبد الله ت (٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم الأدباء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج١، ص ٢٨.

(٤) ابن أبي الدنيا: المصدر السابق، مج ١، ص ٣٠٨.

(٥) المصدر السابق نفسه، مج ١، ص٤٣٨- ٤٤١.

قبله، ولن ينسخه كتاب بعده، اعلموا عباد الله أن هذا القرآن يجلو كيد الشيطان وضغائنه، كما يجلو ضوء الصبح إذا تنفس إدبار الليل إذا عسعس[١].

ومن حكم خالد بن يزيد بن معاوية: ابن آدم لا يلهك أهل، إنما أنت فيهم ضيف عند أهل لا تزايلهم، ولا يلهينك مساكن، إنما أنت فيها عمرى عن مساكن أنت مخلد فيها أبدا، ابن آدم إنك إنما تسكن يوم القيامة فيما بنيت اليوم، وتنزل يومئذ على ما نقلت في حياتك من متاعك[٢].

وانظر سؤال خالد بن يزيد للحجاج عن أمس، واليوم، وغد . فكتب إليه: أمس أجل، واليوم عمل، وغدا أمل[٣]. وهذا دليل على متابعة بعضهم بعضا في مسائل العلم وتفقدهم مسائل الأدب. ومن أقوال يزيد بن الوليد: يا بني أمية إياكم والغناء فإنه ينقص الحياة ويزيد في الشهوة ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخمر، ويفعل ما يفعل السكر[٤].

لقد حرص خلفاء بني أمية على متابعة التعليم في دولتهم وكانوا يتفقدون الكتاتيب بأنفسهم فكان معاوية يخرج إلى الكتَّاب ويقول للمعلم: يا معلم أحسن أدب أبناء المهاجرين[٥]. وإن كانت هذه الرقابة للعامة فكيف بها إن كانت للخاصة من أهل بيته فمن باب أولى اهتمامه بشكل أكبر بأبنائه وخاصة رجاله. وهناك تنبيهات من قبل الخلفاء للمؤدبين كقول عبد الملك لسليمان بن سعد والذي يؤدب الوليد وسليمان: يا سليمان لا تضرب وجوه بني. وقد نبه الوليد بن عبد الملك بعض مؤدبي ولده في أَمثَلِ السُبُلِ في تأديب الجواري مع الحذر، وأن عليه عند الضرب أن يضرب الأكف والأقدام[٦].

---

(١) المصدر السابق نفسه، مج ١، ص ١٠٢١.

(٢) المصدر السابق نفسه، مج ١، ص ١١٢٤.

(٣) المصدر السابق نفسه، مج ١، ص ١١٠٩.

(٤) المصدر السابق نفسه، مج ١، ص ١١٧٢.

(٥) المصدر السابق نفسه، مج ٣، ص ١٠٥٠.

(٦) المصدر السابق نفسه، مج ٣، ص ١٠٦٧.

وكان عبد الملك بن مروان يتناشد الأشعار ويتدارس الحكم مع ولده وأهل بيته فقالوا مرة: لننشدك أجمل حكم وأشعر ما يروى فأنشدوا لزهير والنابغة وامرئ القيس وطرفة ولبيد فقال عبد الملك أشعر منهم الذي يقول[١]:

وذِي رحِمٍ قَلَّمْتُ أَظْفارَ ضِغْنِهِ   بِحِلْمِيَ عَنْهُ، وهُوَ لَيْسَ له حِلْمُ
يحاولُ رغْمي لا يحاولُ غيرَهُ   وكالموتِ عنديَ أنْ يحلَّ به الرَّغْمُ

فيسرد الخليفة الأبيات حتى يأتي على آخرها، تهذيبا لأبنائه وتعليما لهم لما تحويه من حكم وآداب وفي آخرها:

وأَطْفَأْتُ نارَ الحرْبِ بيني وبَينهُ   فأصبحَ بعدَ الحربِ وَهو لنا سِلْمُ

وكان معاوية بن أبي سفيان ﷺ يتفقد أبناء ولاته، فقد روى ابن عساكر أن معاوية كتب إلى زياد: أن أوفد إلي ابنك، فلما قدم عليه لم يسأله معاوية عن شئ إلا نفد منه، حتى سأله عن الشعر فلم يعرف منه شيئا، فقال له: ما منعك من تعلم الشعر ؟ فقال: يا أمير المؤمنين إني كرهت أن أجمع في صدري مع كلام الرحمن كلام الشيطان، فقال معاوية: فوالله ما منعني من الفرار يوم صفين[٢] إلا قول ابن الإطنابة حيث يقول:

أَبَتْ لي عِفَّتي وأَبَى بَلائي   وأَخْذي الحَمْدَ بالثمنِ الربيحِ
وإِعْطائي على الإعْدامِ مالي   وإِقْدامي على البَطَلِ المشيحِ
وقولي كلَّما جَشأتْ وجاشتْ   مكانكِ تعذري أوْ تَسْتريحي
لأدفعَ عنْ مآثرَ صالحاتٍ   وأحمي بعدَ عنْ أَنفٍ صحيحِ

ثم كتب إلى أبيه: أن روه من الشعر، فرواه فما كان يسقط عليه منه شئ[٣].

---

(١) المصدر السابق نفسه، مج ١، ص ٤٤٤.

(٢) موضع بقرب الرقة على شاطىء الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس وكانت فيها وقعة صفين بين علي ومعاوية، انظر الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص ٤١٤.

(٣) ابن عساكر: المصدر السابق، ج ٣٧، ص ٤٣٧.

وكان الخلفاء والولاة لا يأنفون السؤال والتفقه فنجد قول أبو الزعيزعة كاتب مروان يحدث: أن مروان أرسل إلى أبي هريرة فجعل يسأله، وأجلس أبو الزعيزعة وراء الستر ليكتب عنه، حتى إذا كان رأس الحول أرسل إلى أبي هريرة ﷺ فسأله وأمر كاتبه أن ينظر فيما قال فما غير حرفا عن حرف[1].

وعمر بن عبد العزيز رحمه الله، يكتب إلى طاوس ليتعلم من علمه فيجيبه طاوس: إن الله تعالى أنزل كتابا وأحل فيه حلالا وحرم فيه حراما، وجعل بعضه محكما وبعضه متشابها فأحل حلاله وحرم حرامه واعمل بمحكمه، وآمن بمتشابهه والسلام[2].

وكان الخلفاء والأمراء يتخذون لأولادهم المعلمين في القصور، ويجلس الأولاد إليهم يتلقون قدرا من الثقافة والمعرفة، وكانت قصورهم مجالس للأدب والعلم وعقدوا بها الندوات، حيث دارت المناقشات والمساجلات والمناظرات[3]. وكذلك إقامة مجالس السمر في قصر الخليفة يعتبر لونا من ألوان التعليم غير المباشر، حيث يدعى إليها أعلام الفكر والأدب، ويستمع الخليفة خلالها إلى أخبار العرب وأيامها، والعجم وملوكها وسياستها لرعيتها وغير ذلك من أخبار الأمم السالفة. كما كان يستمع فيها إلى الشعر والأدب وإلى مناقشات في اللغة ومعلومات في العلوم المختلفة وإلى الأحاديث النبوية[4].

وكان البلاط حينا تحت تأثير المحدثين والفقهاء كما حدث في خلافة عمر بن عبدالعزيز، وحينا تحت تأثير الشعراء والرواة كما حدث في خلافة يزيد بن عبد الملك وابنه الوليد. وأما عبد الملك بن مروان وأبناءه الوليد وسليمان وهشام فقد عملوا على التوفيق بين العنصرين والسير في الطريق الذي اختطه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه[5].

---

(١) ابن أبي الدنيا: المصدر السابق مج ١، ص ٩٢٥.

(٢) المصدر السابق نفسه، مج ١، ص ٨٦٢.

(٣) العمايرة: المرجع السابق، ص ١٤٧ .

(٤) أبيض، ملكة : التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، ص ٩٢ .

(٥) المرجع السابق نفسه، ص١٠٧– ١٠٨ .

واهتم هشام بن عبد الملك بتعليم الحديث ويذكر في هذا المجال أنه كلف محمد ابن شهاب الزهري تعليم الحديث لأبنائه في رصافة الشام[١]، حيث كان يقضي معظم أيامه. وهناك كان المحدث الكبير يروي الأحاديث ، وكان كُتَّابُ الخليفة يسجلونها، كما كان عدد من الأمراء والمقربين يستمعون إليها ويحفظونها، وهكذا انقلب قصر هشام إلى مدرسة حقيقية للحديث تجاوز أثرها الرصافة والشام إلى بقية أقطار العالم والإسلامي[٢]. وكان عمرو بن ميمون بن مهران ت (١٤٥هـ/٧٦٢م) مؤدبا وكان يعلم القرآن والنحو بحصن مسلمة[٣] .

إن اهتمام الخلفاء بتربية أبنائهم التربية الخاصة وتعليمهم الفنون المنوعة وإشراكهم في سياسة الدولة، والمشاركة الفعلية في الجوانب الأخرى كالجهاد في سبيل الله تعالى، جعلهم أكفاء لتحمل المسؤولية والنهوض بأعباء الدولة حال توليهم الحكم.

(١) رصافة الشام، منها رصافة هشام بن عبد الملك في غربي الرقة بينهما أربعة فراسخ على طرف البرية وكان يسكنها في الصيف. انظر الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص ٤٧ .

(٢) أبيض، ملكة : التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، ص ١٤٣ .

(٣) المرجع السابق نفسه، ص ٢٦٣ .

المبحث الثاني: المعلمون لأبناء الخلفاء وكبار رجال الدولة

أطلق على معلمي أبناء الخلفاء وكبار رجال الدولة بالمؤدبين، وكلمة مؤدب أتت من الفعل أَدَب، والأَدَبُ الذي يَتَأَدَّبُ به الأَديبُ من الناس سُمِّيَ أَدَباً لأَنه يَأْدِبُ الناسَ إِلى المَحامِد، أي يدعوهم إليها، وأَصل الأَدْبِ الدُّعاءُ ومنه قيل للصَّنِيع يُدْعَى إليه الناسُ مَدْعاةٌ ومَأْدُبَةٌ. وأَدُبَ بالضم فهو أَدِيبٌ من قوم أُدَباءَ، وأَدَّبه فَتَأَدَّب عَلَّمه، وتأتي أيضا بمعنى ذلل[1]. فالمؤدب إذا هو من ذلل نفسه أولا فانقادت له، ودعا النفس للمحامد فاستجابت له، وعلم نفسه وغيره العلم المحمود، فسمي بذك مؤدبا.

إن معلمي أبناء الخلفاء وكبار رجال الدولة كانوا على قدر كبير من العلم والأدب، فقد حباهم الله ﷻ بقدرة عجيبة على الحفظ تبعا لضروريات ذلك العصر، فكان منهم الراوية لأخبار الماضين وأشعارهم وأيامهم، ومنهم الجامع لعلوم عصره من الدين والفقه واللغة والتاريخ والأنساب وغيرها مما شاع في ذلك العصر، وقد اشتهر عن الشعبي قوله: ما كتبت سوداء في بيضاء إلى يومي هذا، ولا حدثني رجل بحديث قط إلا حفظته[2].

وإن هؤلاء العلماء الأجلاء ترقى بهم الحال حتى ارتقوا إلى مرتبة مؤدبي الخلفاء والسير على المنوال المرسوم لهم من قبل الخليفة، فكان التمسك بالدين والمذهب الصحيح دون غلو وإفراط هو الشغل الشاغل للخلفاء، فكانوا يتخيرون من العلماء من صفى ولاؤه واستؤمنت غلواءه، وكان ناصحا لله ولرسوله ولولاة الأمر.

ويتضح من اختيار العلماء، أنهم من العرب والموالي، وكل يستفاد من علمه بغض النظر عن شكله ولونه، وانظر إلى كلمة ابن الجوزي في شأن الشكل واللون: واعلم أن العلم يرفع الأراذل، فقد كان خلقٌ كثير من العلماء لا نسب لهم يُذكر، ولا صورةً تُستَحسَن، وكان عطاءُ بن أبي رباح أسودَ اللون ومستوحَشَ الخِلقة، وجاء إليه سليمان بن عبد الملك وهو خليفة ومعه ولداه، فجعلوا يسألونه عن المناسك، فحدّثهم وهو معرضٌ عنهم بوجهه، فقال سليمان الخليفة لولديه:

---

(١) ابن منظور: المصدر السابق، ج١، ص ٢٠٦ .

(٢) ابن عساكر، المصدر السابق، ج ٨، ص ١٣٦.

قوما ولا تَنَيا ولا تكاسلا في طلب العلم، فما أنسى ذلنا بين يدَي هذا العبد الأسود[1]. فالعلم رفع من شأن عطاء بين الناس حتى جلس إليه الخليفة يسأله ويستفتيه.

ولعل من أبرز المعلمين الذين قاموا بتربية وتعليم أبناء الخلفاء:

إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر وهو القائل: كنت أعلم يزيد بن عبد الملك بن مروان ومروان بن عبد الملك ومعاوية بن عبد الملك بن مروان[2]. ويضاف أيضا إلى من أدبهم وعلمهم سعيدا ومسلمة بني عبد الملك والعباس بن الوليد[3]. ولعظيم قدره وعلمه عند بني أمية ولوه إفريقية[4].

وأشار ابن عساكر إلى رواية إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر عن عدد من الصحابة والتابعين – وكذلك روى عن عبد الملك بن مروان وأنه أدرك معاوية بن أبي سفيان[5]. وقد وصفه الأوزاعي بقوله أنه مأمون الحديث[6]. وكان اسماعيل في بداية أمره معلما، وأم الدرداء هي من أشارت على عبد الملك باتخاذه مؤدبا لأبنائه. ومن قول عبد الملك بن مروان له: يا إسماعيل علم ولدي فإني معطيك أو مثيبك. قال إسماعيل: يا أمير المؤمنين وكيف ذلك؟ وحدثتني أم الدرداء عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: من أخذ على تعليم القرآن قوسا قلده الله قوسا من نار يوم القيامة. قال عبد الملك: يا إسماعيل إني لست أعطيك أو أثيبك على القرآن، إنما أعطيك أو أثيبك على النحو.

وبلغ إسماعيل من الزهد مبلغا عظيما حتى قورن بزهاد هذه الأمة وقورن بعمر بن عبد العزيز. ومما يذكره إسماعيل بن عبيد الله قول عمر بن عبد العزيز له فيما يوصيه: يا إسماعيل إياك والمزاح. ومن اهتمام إسماعيل بن عبيد الله بحديث النبي ﷺ قوله: ينبغي لنا أن نحفظ حديث رسول الله ﷺ كما يحفظ القرآن لأن الله يقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾. ومن قوله

---

(١) ابن الجوزي: لفتة الكبد إلى نصيحة الولد، مكتبة الإمام البخاري، مصر، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ٥٩ . وانظر تاريخ مدينة دمشق، ج ٤٠، ص ٣٧٥.

(٢) ابن أبي الدنيا: المصدر السابق مج ٣، ص ١٠٦١.

(٣) ابن عساكر، المصدر السابق، ج ٨، ص ٤٣٤.

(٤)ابن سعد: المصدر السابق، ج٥، ص ٣٤١.

(٥) ابن عساكر: المصدر السابق، ج ٨، ص ٤٢٩.

(٦) ابن أبي حاتم: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٨٣ .

لبنيه: يا بني أكرموا من أكرمكم وإن كان عبدا حبشيا، ولقد توفي رحمه الله قبل دخول عبد الله بن علي دمشق بثلاثة أشهر سنة (١٣٢هـ/ ٧٥٠م)[١].

ومن المعلمين سليمان بن سعد الخشني مولى بني أمية كاتب عبد الملك بن مروان والوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز، من أهل الأردن وكان يصحب عبد الملك بن مروان وذكر أنه أول من نقل الديوان من الرومية إلى العربية[٢]، وقد ولى عبد الملكُ سليمانَ بن سعد الدواوين كلها وحولها بالعربية[٣]. فقد اضطلع بمهة صبغ الدولة بالصبغة العربية في جميع قطاعات الدولة.

ولما كُلِّف سليمانُ بن سعد بتربية وتأديب أبناء الخليفة عبد الملك، بين له عبد الملك أفضل السبل إلى ذلك ومنه قوله له أثناء تربية الوليد وسليمان: يا سليمان لا تضرب وجوه بني[٤]. حفظا وصونا لهم من التقبيح والتجريح. وربما حفاظا على قدر المؤدب فيما يستقبل من أموره. ويتضح ذلك من قول مؤدب يزيد بن عبد الملك له: لم لحنت؟ فقال: الجواد يعثر. فقال المؤدب: إي والله ويضرب حتى يستقيم. فقال يزيد: وربما يرمح سائسه فيكسر أنفه[٥].

ومن المؤدبين إبراهيم بن أبي عبلة والذي كان يؤدب ولد الوليد بن عبد الملك وقد نبهه الوليد بن عبد الملك في تأديب الجواري مع الحذر، وأن عليه عند الضرب أن يضرب الأكف والأقدام[٦]. وإبراهيم بن أبي عبلة ممن رأى الصحابي عبد الله بن حرام والذي صلى مع رسول الله ﷺ القبلتين[٧].

ومنهم صالح بن كيسان الحافظ أحد علماء المدينة المنورة وكان عبد العزيز بن مروان أوصى صالح بابنه عمر يتعاهده، ثم أصبح مؤدب أولاد عمر بن عبد العزيز. وكان صالح بن

---

(١) ابن عساكر: المصدر السابق، ج ٨، ص٤٣٤- ٤٤١.

(٢) المصدر السابق نفسه، ج ٢٢، ص ٣١٧.

(٣) المصدر السابق نفسه، ج ٢٢، ص ٣٢١.

(٤) ابن أبي الدنيا: المصدر السابق مج ٣، ص ١٠٦٧.

(٥) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد ت (٥٠٢هـ/ ١١٠٨م) : محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، مطبعة الهلال، مصر، ط١، ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م، ص ٢٤.

(٦) ابن أبي الدنيا: المصدر السابق، مج ٣، ص ١٠٦٧.

(٧) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، المصدر السابق، ج ١، ص ٥٩٧.

كيسان رفيق الزهري في طلب العلم[١]. رأى ابن عمر وحدث عن سالم بن عبد الله وسليمان بن يسار وعدد من التابعين الأجلاء واستقدمه أيضا الوليد بن عبد الملك ليعلم ابنه عبد العزيز[٢].

ولقد تعاهد صالح بن كيسان عمر بن عبد العزيز فتأخر مرة عن الصلاة فسأله عن السبب فقال عمر: كانت مرجلتي تسكن شعري، فقال: بلغ منك حبك تسكين شعرك أن تؤثره على الصلاة فكتب إلى عبد العزيز يذكر ذلك فبعث إليه عبد العزيز رسولا فلم يكلمه حتى حلق شعره[٣].

ولعلمه وأمانته كلفه الوليد بن عبد الملك بتأديب ابنه عبد العزيز وكان صالح بن كيسان جامعا للحديث والفقه والمروءة. وأخبر صالح بن كيسان عن نفسه وطلبه العلم بقوله: كنت أطلب العلم أنا والزهري. فقال لي: تعال حتى نكتب السير فكتبنا كلما جاء عن النبي ﷺ. ثم قال الزهري: تعال حتى نكتب كل ما جاء عن الصحابة. قال صالح: فكتب ولم أكتب. فأنجح وضيعت. ويقصد بالسير السنن، وأما تركه ما ورد عن الصحابة فهو يرى أنه ليس بسنة، فحرصه على أن يجمع كل ما ورد عن الرسول ﷺ رفع من مكانته حتى تلقى الزهري عنه العلم أيضا[٤]، وأصبح مأمونا من ولاة الأمر.

عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وكان أحد فقهاء وعلماء المدينة المنورة في زمانه، وهو تابعي ثقة جامع للعلم وكان معلم عمر بن عبد العزيز[٥]. وقد روى عبيد الله بن عبد الله عن أبي هريرة وابن عباس وعائشة وأبي طلحة وسهل بن حنيف وزيد بن خالد وأبي سعيد الخدري وغيرهم[٦]. ولمعرفة عمر بن عبد العزيز بما عند عبيد الله من علم ورأي، كان يقول أيام خلافته: لو كان عبيد الله حيًا ما صدرتُ إلا عن رأيه ولوددت أن لي بيوم واحد من عبيد الله كذا وكذا[٧].

---

(١) الذهبي: تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ج ١، ص ١١٢ .

(٢) ابن عساكر: المصدر السابق، ج ٢٣، ص ٣٦٢.

(٣) ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبد العزيز، دار ابن خلدون، الاسكندرية، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص١١.

(٤) ابن عساكر: المصدر السابق، ج ٢٣، ص٣٦٣- ٣٧٢.

(٥) العجلي: المصدر السابق، ص ٣١٧، ر ١٠٥٩ .

(٦)ابن سعد: المصدر السابق، ج٥، ص ٢٥٠.

(٧) ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبد العزيز، ص١١.

وقال الزهري: كنت أحسب أني قد تعلمت من العلم وأصبت منه، فلما جالست عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة فكأنما كنت في شعب من الشعاب[١].

ومكحول عالم أهل الشام وعنه أنه قال: عتقت بمصر، فلم أدع بها علما إلا احتويت عليه فيما أرى، ثم أتيت العراق، فلم أدع بها علما إلا احتويت عليه فيما أرى، ثم أتيت المدينة، فلم أدع بها علما إلا احتويت عليه، ثم أتيت الشام فغربلتها، وعن الزهري قال: العلماء أربعة: سعيد بن المسيب بالمدينة، والشعبي بالكوفة، والحسن بالبصرة، ومكحول بالشام[٢].

ومن العلماء الأجلاء طاووس بن كيسان، الفقيه القدوة عالم اليمن، سمع من زيد بن ثابت، وعائشة، وأبي هريرة، وزيد بن أرقم، وابن عباس، ولازم ابن عباس مدة، وهو معدود في كبراء أصحابه[٣]. وقد جلس سليمان بن عبد الملك في حلقة طاووس[٤].

وعندما حج سليمان بن عبد الملك طلب فقيها يسأله عن المناسك فأتي بطاووس وكان مما قاله لأمير المؤمنين: يا أمير المؤمنين، إن صخرة كانت على شفير جب في جهنم، هوت فيها سبعين خريفا، حتى استقرت قرارها، أتدري لمن أعدها الله ؟ قال: لا، ويلك لمن أعدها ؟ قال: لمن أشركه الله في حكمه فجار. فلم تمنعه هبة الخليفة من أن يصدقه في نصحه له. وجاء ابن لسليمان بن عبد الملك، فجلس إلى جنب طاووس، فلم يلتفت إليه، فقيل له: جلس إليك ابن أمير المؤمنين فلم تلتفت إليه ! قال: أردت أن يعلم أن لله عبادا يزهدون فيما في يديه[٥].

ولقد تأثر الحجاج بن يوسف الثقفي من التابعي الجليل سعيد بن المسيب، قيل لسعيد بن المسيب: ما شأن الحجاج لا يبعث إليك، ولا يحركك، ولا يؤذيك ؟ قال: والله ما أدري، إلا أنه دخل ذات يوم مع أبيه المسجد، فصلى صلاة لايتم ركوعها ولا سجودها، فأخذت كفا من حصى فحصبته بها. فزعم أن الحجاج قال: مازلت بعد أحسن الصلاة[٦].

---

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٨، ص ٢٣٦ .

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج ٥، ص ١٥٥– ١٥٨.

(٣) المصدر السابق، ج ٥، ص٣٨– ٣٩ .

(٤) المروذي: المصدر السابق، ص ٦٦ .

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٥، ص ٤٢ .

(٦) المصدر السابق نفسه، ج ٤، ص ٢٢٦ .

ومن المؤدبين دغفل بن حنظلة الشيباني الذي اختاره معاوية ﷺ لتأديب ابنه يزيد لتأكده من براعته في معرفة أنساب العرب، وبخاصة قريش، وتفوقه في علم النجوم حتى وصفت العرب حنظلة بأنه علامة وضرب به المثل في النسب فقيل: أنسب من دغفل[١].

ولما دعا معاوية بن أبي سفيان دغفلا سأله عن العربية وعن أنساب الناس وعن النجوم . فإذا رجل عالم فقال: يا دغفل من أين حفظت هذا قال: حفظته بقلب عقول ولسان سؤول وإن آفة العلم النسيان . فقال معاوية: انطلق إلى يزيد فعلمه أنساب الناس والنجوم والعربية[٢].

وكان عبد الرحمن بن عسيلة أبو عبد الله الصنابحي ممن هاجر من اليمن إلى النبي ﷺ ولم يلقه لوفاته بليال، فدخل المدينة وقد استخلف أبو بكر فأقام بها مدة ثم انتقل إلى الشام،[٣] وكان من العلماء الذين قربهم عبد الملك بن مروان نظرا لمكانته في الحديث الشريف.

واقترن اسم الضحاك بن مزاحم وعامر بن شراحيل الشعبي بالوليد كمؤدبين له، وكان الأول مفسرا وذكره ابن حبيب تحت عنوان أشراف المعلمين وفقهاؤهم[٤]، وكان يؤدب الاطفال، ويقال: كان في مدرسته ثلاثة آلاف صبي[٥].

أما الشعبي فقد كان معروفا في الحفظ بالإضافة إلى إجادته القراءة القرآنية والتفسير والحساب[٦]. وجّهه عبد الملك بن مروان إلى ملك الروم، فلما رجع قال عبد الملك: تدري يا شعبيّ ما كتب به ملك الروم قلت: وما كتب قال كتب: العجب لأهل دينك كيف لم يستخلفوا رسولك قلت: يا أمير المؤمنين، لأنّه رآني ولم ير أمير المؤمنين. وروى الحادثة الأصمعيّ، وفيها: يا شعبيّ إنّما أراد أن يغريني بقتلك، فبلغ ذلك ملك الروم، فقال: والله ما أردت إلاّ ذلك[٧].

---

(١) صالحية : المرجع السابق مج ١، ع ٣، ص ٣٩ .
(٢) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٩٤.
(٣) ابن حبان: الثقات، ج ٥، ص ٧٤ .
(٤) صالحية: المرجع السابق، مج ١، ع ٣، ص ٤٠ .
(٥) الزركلي : المرجع السابق، ج ٣، ص ٢١٥ .
(٦) صالحية : المرجع السابق، مج ١، ع ٣، ص ٤١ .
(٧) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٧، ص ١٢٧ .

ويُعَدُّ محمد بن مسلم بن عبد الله، ابن شهاب الزهري، من بنى زهرة بن كلاب، من قريش، أول من دون الحديث، وأحد أكابر الحفاظ والفقهاء[1]. وهو أكثر المؤدبين صلة بالبلاط الأموي فقد ارتبط اسمه بتأديب الخلفاء الوليد، وسليمان، ويزيد، وعمر بن عبد العزيز، وهشام. ولابن شهاب الزهري شهرة واسعة ويستبعد ألا تكون أخباره قد وصلت إلى مسامع عبد الملك بن مروان فقد كان رائد علم المغازي وأخبار قريش والأنصار، وألف في المغازي وأسنان الخلفاء والناسخ والمنسوخ في القرآن وتنزيل القرآن ومشاهد الأنبياء وهو مقرئ مشهور وأحد كتاب الحديث بل ويعتبره البعض إماما في الحديث والرواية وكذا الفرائض[2].

وقد قرظه الليث بن سعد بقوله: ما رأيت عالما قط أجمع من ابن شهاب ولا أجمع علما منه، ولو سمعت ابن شهاب بحديث في الترغيب لقلت لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن الأنبياء وأهل الكتاب قلت لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن الأعراب والأنساب قلت لا يحسن إلا هذا، فإن حدث عن القرآن والسنة كأن حديثه بدعاء جامع[3]. وقد أدى هشام بن عبد الملك عن الزهري سبعة آلاف دينار وكان يؤدب ولده ويجالسه.

ومما يرويه الواقدي عن الزهري أنه نشأ ولا مال له، وكان منقطع من الديوان، وكان الزهري يتعلم نسب قومه وجالس سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعبيد الله، وأبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث حتى فقه، ورحل إلى الشام ودخل مسجد دمشق فأمم حلقة فجلس فيها، فسأله القوم عن نسبه فقال: رجل من قريش، قالوا: هل لك علم بالحكم في أمهات الأولاد فأخبرتهم بقول عمر، فقال لي القوم: هذا مجلس قبيصة بن ذؤيب وهو جائيك، وقد سأله عبد الملك وسألناه فلم يجد عندنا في ذلك علما[4]. فلما أتاه قبيصة وسأله ووجد عنده علما يؤثر أدخله على عبد الملك وكان هذا أول اتصال بالزهري مع عبد الملك ومن ثم مع أبنائه وبني أمية.

---

(١) الزركلي : المرجع السابق، ج ٧، ص ٩٧ .
(٢) صالحية : المرجع السابق مج ١، ع ٣، ص ٤٢ .
(٣) ابن عساكر: المصدر السابق، ج ٥٥، ص ٣٤١.
(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٨، ص٢٣٠– ٢٣١ .

وكان الزهري يخدم عبيد الله بن عبد الله حتى أنه كان يستقي له الماء المالح ويسأل عبيد الله جاريته من بالباب؟ فتقول: غلامك الأعمش[1]. وهذا من حرصه على التعلم، أما حرصه على التعليم قبل أن يتصل بأبناء الخلفاء فهو نزوله على الأعراب يعلمهم أمور دينهم[2].

وليعلم مقدار العلم الذي بثه لآل مروان فقد أخرجت الدفاتر على الدواب من كثرتها بعد مقتل الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فعن معمر أنه قال: كنا نرى أنا قد أكثرنا عن الزهري حتى قتل الوليد، فإذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزائنه، يعني من علم الزهري[3].

وطلب هشام بن عبد الملك من الزهري قبل أن يختاره مؤدبا لأبنائه أن يملي شيئا من الحديث على بعض ولده، فأملى أربعمائة حديث ثم عاوده هشام بعد شهر أو أكثر وأبلغه أن الكتاب الذي أملى عليه الحديث قد ضاع، فدعا بكاتب آخر فأملاها عليه، ولما قابلها هشام بالكتاب الأول قال: ما غادرها حرفا واحدا. وتدلنا تلك الحادثة على حرصه في اختيار المؤدبين، فرغم أنه تأدب على يديه إلا أنه خشي من تقدم العمر بالزهري وتأثره بذلك، إلا أنه بعد التأكد كلفه بالعمل مرة أخرى.

وارتبط اسم الوليد بن يزيد بحماد الراوية وكان الأول معروفا بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها[4] فحماد الراوية هو أبو القاسم بن أبي ليلى. وقيل اسم أبيه سابور بن مبارك الديلمي الكوفي. كان إخبارياً علامة خبيراً بأيام العرب وأنسابها ووقائعها ولغاتها وشعرها. وكانت بنو أمية تقدمه وتؤثره وتحب مجالسته. قيل: إن الوليد بن يزيد قال له: كم مقدار ما تحفظ من الشعر فقال: كثير، ولكني أنشدك على كل حرف مائة قصيدة طويلة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام. قال: سأمنحك، فأنشده حتى ضجر الوليد فوكل به من يستوفي عليه فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة، فأمر له بمائة ألف. وكان حماد قد انقطع إلى يزيد بن عبد الملك في خلافته، وكان هشام يجفوه لذلك، وقد وصله مرة واستشهده أبيات من الشعر[5].

---

(١) الباجي، سليمان بن خلف ت (٤٧٤هـ/ ١٠٨١م): التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، دار اللواء، الرياض، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ج ٢، ص ٨٨٨ .

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٨، ص ٢٣٤ .

(٣) المصدر السابق نفسه، ج ٨، ص ٢٣٥ .

(٤) صالحية: المرجع السابق، مج ١، ع ٣، ص ٤٣- ٤٤ .

(٥) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٩، ص ٣٨٢ .

وكان عبد الواحد بن قيس السلمي الدمشقي قد روى عن أبي أمامة الباهلي وعروة بن الزبير ونافع. وكان عالم أهل الشام بالنحو وكان معلم أولاد الخليفة يزيد بن عبد الملك. وقال ليزيد بن عبد الملك: إني لست آخذ منكم شيئاً على التعليم للقرآن، إنما آخذ منكم على أدبي[١].

وتأثر مروان بن محمد بعبد الحميد الكاتب وإن لم يتأدب على يديه[٢]. وعبد الحميد الكاتب بن يحيى بن سعد أبو يحيى الكاتب الشهير أحد من يضرب به المثل في الكتابة والبلاغة. وأستاذه في الصنعة سالم مولى هشام بن عبد الملك. وأصله أنباري ثم سكن الرقة وكتب الإنشاء لمروان. وكان في الأول مؤدباً فتنقل في البلدان، وعنه أخذ المترسلون ومنه يستمدون حتى قيل: فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد ومجموع رسائله نحو من مائة كراس.

ومن جملة تلاميذه يعقوب بن داود وزير المهدي. روي عن مهزم بن خالد قال: نظر إلي عبد الحميد الكاتب وأنا أكتب خطاً رديئاً فقال: إن أردت أن يجود خطك فأطل جلفتك وأسمنها وحرف قطتك وأيمنها[٣].

ومن المربيات عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة الأنصارية وكانت هي وأخواتها في حجر عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها[٤]، وكان عمر بن العزيز يسألها ويقول عنها: ما بقي أعلم بحديث عائشة منها[٥]. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ أو سنة ماضية أو حديث عمرة بنت عبد الرحمن فاكتبه فإني قد خفت دروس العلم وذهاب أهله[٦].

ويتضح مما سبق قدر كل من المؤدبين وما لهم من مكانة دينية وعلمية، أهَّلَتْهُم من أن يكونوا على قدر المسؤولية في تربية أبناء الخلفاء، ويكونوا عونا لآبائهم وحمل أعباء تربية خلفاء

---

(١) المصدر السابق نفسه، ج ٨، ص ١٦٩ .

(٢) صالحية : المرجع السابق، مج ١، ع ٣، ص ٤٥ .

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٨، ص ٤٧٠ .

(٤)ابن سعد: المصدر السابق، ج ٨، ص ٤٨٠.

(٥) ابن الجوزي: سيرة عمر بن عبد العزيز، ص١١.

(٦) ابن سعد : المصدر السابق، ج ٨، ص ٤٨٠.

المستقبل من الناحية الدينية والأدبية والعلمية، وبشتى أنواع العلوم المتيسرة في ذلك العصر، وليعلم أن جل المربين والمعلمين هم من تلاميذ الصحابة الكرام، المقتبسين من مشكاة النبوة العلم والعمل، فتراهم يزهدون بحطام الدنيا، ويبتغون بعلمهم وجه الله تعالى، ويتخلقون بالسابقين الأولين من المؤمنين الصالحين.

المبحث الثالث: مناهج التعليم

يلاحظ مما تقدم أن كثيرا من المعلمين كانوا من كبار الصحابة والتابعين ومن تربى على أعينهم واستفاد من سيرتهم، فعلموا أبناء المسلمين وترقى بحال بعضهم إلى أن يربوا ويأدبوا أبناء الخلفاء وفق المنهج الذي رسم لهم السابقون فكان القرآن الكريم وعلومه أول العلوم التي اهتم بها المعلمون حفظا وتعليما لأبناء المسلمين، ثم تلاه علم السنة الشريفة وما أثر عن النبي ﷺ في أحكام الدين والمعاملات وتربية النفس، والموازنة بين الدنيا والآخرة، ويليهما في منهج التعليم كل ما يتعلق بعلم الأدب واللغة العربية إذ أنه يخدم العلم الشريف المتعلق بالقرآن الكريم والسنة الشريفة. وكان لعلم الأنساب نصيب من مناهج التعليم، فهو الرائد لصلة الأرحام ولمعرفة الناس ولإجازتهم كما كان النبي ﷺ يجيزهم. ومن العلوم أيام العرب وسيرتهم ومآثرهم وما كان من مغازي النبي ﷺ وسيرة أصحابه الكرام ودورهم في الجهاد في سبيل الله تعالى ونشر راية الإسلام خارج الجزيرة العربية.

ويلاحظ أن المناهج وردت في بعض من رسائل عبد الحميد الكاتب والتي ينصح فيها الكُتَّابَ بأهم العلوم الواجب تعلمها والإحاطة بها والمعينة على عملهم في الكتابة وفيها: فتنافسوا يا معشر الكتاب في صنوف الأداب، وتفقهوا في الدين. وابدؤوا بعلم كتاب الله ﷻ والفرائض، ثم العربية فإنها ثقاف ألسنتكم، ثم أجيدوا الخط فإنه حلية كتبكم، وارووا الأشعار واعرفوا غريبها ومعانيها، وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها، فإن ذلك معين لكم على ما تسمو إليه هممكم، ولا تضيعوا النظر في الحساب فإنه قوام كتاب الخراج[1] .

وقد حرص ولاة الأمر في الدولة الأموية على محاربة البدع والخرافات والأفكار الهدامة المخالفة للأصول ووسطية واعتدال الإسلام، فقد كان خلفاء بني أمية يلاحقون غلاة الخوارج منذ عهد معاوية ﷺ، كما أن عمر بن العزيز ﵀ حاورهم وفضح حججهم، واتبع قبل ذلك زياد بن أبي سفيان والحجاج من بعده الشدة مع هؤلاء الغلاة، كما أن عمر بن عبد العزيز ﵀ تصدى للقدرية وعلى رأسها غيلان حيث فند جميع حججه ورده للحق وحذره من مغبة العصيان والمخالفة وقد قتله الخليفة هشام بن عبد الملك لما عاد غيلان لما نهي عنه[2].

(١) عباس، إحسان : عبد الحميد بن يحيى الكاتب، دار الشروق، عمان، الأردن، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٢٨٣ .

(٢) اللالكائي، هبة الله بن الحسن ت (٤١٨هـ/ ١٠٢٧م): شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، مج٢، ج٤، ص ٧١٣، ٧١٥.

ولم يسلم الخلفاء من تنقص المغرضين ووصمهم بما لا يستحقونه، فقد قيل: لما ولي يزيد بن الوليد، دعا الناس إلى القدر، وحملهم عليه، وقرب غيلان القدري أو أصحاب غيلان. وكان غيلان قد صلبه هشام بن عبد الملك قبل هذا الوقت بمدة[١]. وكذلك اتهم آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد بن عبد الملك بن مروان بالجعد بن درهم بينما المطلع على رسائل عبد الحميد الكاتب وإلى توصيات الخليفة يجد بأنه بريء مما نسب إليه[٢].

ولعل المتأمل لتاريخ التربية والتعليم في العصر الأموي يلحظ بأن مناهج التعليم قامت على تدريس عدة موضوعات من أبرزها:

أ- القرآن وعلومه

لقد اهتم الصحابة في جمع وتدوين القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين، وكان الرسم العثماني خال من النقط أو رسم أشكال الحركات، حرصا منهم على استيعاب لغات العرب و الأحرف السبعة ومراعاة للهجات القبائل العربية المتنوعة، فتم نسخ القرآن عدة نسخ وإرسالها إلى المدن الكبرى وجمع الناس عليها.

لقد تواصل اهتمام الأمة حكاما ومحكومين بالقرآن الكريم وعلومه فقد تميز العصر الأموي بتنقيط المصاحف[٣] وظهور أئمة القراءات السبعة المشتهرة بين الناس، وممن اهتم بالقرآن الكريم الحجاج بن يوسف الثقفي بأمر من الخليفة عبد الملك بن مروان خوفا من أن يعتري القرآن أي لبس أو تحريف من قبل الأعاجم، وفي أيامه نقطت المصاحف[٤]. ويحيى بن يعمر أول من نقط المصاحف – على قول ابن كثير – وكان من فضلاء الناس وعلمائهم[٥].

---

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ٥، ص ٣٧٦ .

(٢) عباس: المرجع السابق، ص ٢١٥ .

(٣) انظر الملحق (٧)، بدايات تنقيط المصحف.

(٤) ابن كثير، عمر بن اسماعيل ت(٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م): البداية والنهاية، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، مج٥ ج٩ ص ١٢٤.

(٥) المصدر السابق نفسه، مج٥ ج٩ ص ٧٨.

وفي كتاب التصحيف أن الناس غبروا يقرؤون في مصحف عثمان بن عفان ﷺ نيفا وأربعين سنة إلى أيام عبد الملك بن مروان، ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق ففزع الحجاج بن يوسف الثقفي إلى كتابه وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات، فيقال إن نصر بن عاصم قام بذلك فوضع النقط أفرادا وأزواجا وخالف بين أماكنها فغبر الناس بذلك زمانا لا يكتبون إلا منقوطا[١].

وفي كتابه المصاحف أن أول من نقط المصاحف يحيى بن يعمر[٢]. وكان الحسن لا يرى بأسا أن ينقط المصحف بالنحو[٣]. بينما يرى صاحب كتاب الإتقان في علوم القرآن أن مسألة نقط المصاحف وتشكيلها تنسب إلى عدة شخصيات أولها أبو الأسود الدؤلي بأمر من عبد الملك بن مروان وثانيها الحسن البصري وثالثها يحيى بن يعمر أو نصر بن عاصم الليثي[٤].

إذا فالإهتمام بالقرآن الكريم لم يقتصر على الصحابة الكرام بل تعدى ذلك إلى عهد الأمويين وبالأخص في عهد عبد الملك بن مروان، وفي بعض الروايات أن سبب تنقيطها هو الحجاج بن يوسف خوفا على القرآن الكريم من تحريفه بسبب تغير لغة الناس ودخول اللحن فى كلام بعضهم.

وأما بشأن القراءات فلقد برز في عهد الأمويين أئمة أعلام في قراءة وإقراء القرآن الكريم في مختلف البقاع المعمورة فكان منهم نافع المدني ت (١٦٩هـ/ ٧٨٥م) الذي قرأ القرآن على سبعين من التابعين، وعبد الله بن كثير بن المكي المولود بمكة سنة ٤٥هـ وأبو عمرو بن العلاء البصري وابن عامر الشامي ت (١١٨هـ/ ٧٣٦م)، وعاصم بن بهدلة الكوفي ت (١٢٧هـ/

---

(١) ابن خلكان: المصدر السابق، ج٢، ص٣٢.

(٢) الحنبلي، عبد الله بن سليمان بن الأشعث ت(٣١٦ هـ / ٩٢٨م): كتاب المصاحف، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة الشؤون الإسلامية بدولة قطر، ط١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ج١، ص٤٧٧.

(٣) المصدر السابق نفسه، ج١، ص٤٨١.

(٤) السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر ت(٩١١هـ/ ١٥٠٥م): الإتقان في علوم القرآن، مكتبة المعارف، الرياض، ط٢، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م،ج٢، ص٤٨٢.

٧٤٤م)، وحمزة بن حبيب الكوفي المشهور بالزيات ت (١٥٤هـ/ ٧٧٠م)، وعلي بن حمزة الكوفي الكسائي وانتهت إليه القراءة في الكوفة بعد حمزة الزيات وتوفي الكسائي سنة (١٨٩هـ/ ٨٠٤)[١].

ومن علوم القرآن علم التفسير وهو علم المراد من كلام الله تعالى ومعرفة أسباب النزول والحكمة من آيات الله البينات، ولقد اشتهر من الصحابة الكرام الحبر البحر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وكان التفسير بالمأثور هو السائد في العصر الأول، ثم ظهر التفسير بالرأي في الفترات المتأخرة عن عصر التابعين، وذلك تبعا لتباعد العهد بين الرسول والصحابة الكرام واحتياج المسلمين الجدد من غير العرب إلى تفسير ما لم يرد عن الرسول أو الصحابة، ولفهم ما غرب عنهم.

ففي مكة نشأت مدرسة ابن عباس واشتهر من تلاميذه بمكة: سعيد بن جبير، ومجاهد، وعكرمة مولى ابن عباس، وطاوس بن كيسان اليماني، وعطاء بن أبي رباح.

وفي المدينة اشتهر أُبَيُّ بن كعب بالتفسير أكثر من غيره، واشتهر من تلاميذه من التابعين الذين أخذوا عنه مباشرة أو بالواسطة: زيد بن أسلم، وأبو العالية، ومحمد بن كعب القرظي. وفي العراق نشأت مدرسة ابن مسعود التي يعتبرها العلماء نواة مدرسة أهل الرأي: وعُرف بالتفسير من أهل العراق كثير من التابعين. اشتهر منهم علقمة بن قيس، ومسروق، والأسود بن يزيد، ومرة الهمذاني، وعامر الشعبي، والحسن البصري، وقتادة بن دعامة السدوسي. هؤلاء هم مشاهير المفسرين من التابعين في الأمصار الإسلامية الذين أخذ عنهم أتباع التابعين من بعدهم. وخلَّفوا لنا تراثًا علميًّا خالدًا[٢].

(١) القرطبي، مكي بن أبي طالب ت(٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م) : التبصرة في القراءات السبع، الدار السلفية، بومباي، الهند، ط٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ١١٧- ١٢٤ . وانظر كتاب مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، مكتبة المعارف، الرياض، ط٣، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ١٨٢- ١٨٤ .

(٢) القطان، مناع : مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف، الرياض، ط٣، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ٣٤٩- ٣٥٠.

ب- الحديث

علم الحديث هو علم يختص بكل ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير وقد مر بنا أن بعض الصحابة كتب الأحاديث في الصحف في عصر الرسالة وطالت بهم الحياة حتى العهد الأموي ومن هذه الصحف:

١- نسخة سمرة بن جندب ت (٦٠ هـ/ ٦٧٨م).

٢- كتب أبي هريرة ت (٥٩هـ/ ٦٧٩م).

٣- صحيفة أبي موسى الأشعري ت (٥٠ هـ/ ٦٧٠م) .

٤- صحيفة جابر بن عبد الله الأنصاري ت(٧٨ هـ/ ٦٩٧م) .

٥- الصحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو بن العاص ت (٦٥ هـ/ ٦٨٤م).[١]

ولكن بعد اشتداد الفتن وظهور الفرقة بين صفوف المسلمين، ظهرت بوادر وضع الحديث والكذب على رسول الله ﷺ بغية الترويج للمذاهب الفاسدة أو تأويلها بما يتفق مع الأهواء في استحلال المحرمات، لذلك كان لا بد من التنقيب عن الرواة وسبر الأحاديث والتأكد من صحتها، وبما أن العهد الراشدي لم يشجع التشجيع الرسمي في تدوين الحديث إلا أن العهد الأموي شهد إقبالا منقطع النظير في تدوين ما أثر عن النبي ﷺ خشية دروس العلم وذهابه.

أما التدوين الرسمي للحديث من قبل الولاة فقد بدأ من قبل أمير مصر عبد العزيز بن مروان بن الحكم حينما طلب من كثير بن مرة الحضرمي الذي أدرك سبعين بدريا من الصحابة في حمص أن يكتب إليه بما سمع من أصحاب الرسول ﷺ[٢]. وكذلك دور ابنه عمر بن عبد العزيز حينما أصبح خليفة، فقد خشي من ذهاب العلم بموت حملته، لذى سارع بالكتابة لولاته بجمع الحديث ومن ثم مدارسته ونشره للناس لكي يتفقهوا في دينهم.

وفي باب كيف يقبض العلم ذكر البخاري رحمه الله تعليقاً، كتابةَ عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى أبي بكر بن حزم وفيه: انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه فإني خفت دروس

(١) العمري: المرجع السابق، ص ٣١١.

(٢) الخطيب، محمد عجاج : السنة قبل التدوين، أم القرى، القاهرة، ط٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص (و) .

العلم وذهاب العلماء ولا تقبل إلا حديث النبي ﷺ، ولتفشوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا[١]. وإن مما أمره بكتابته حديث عمرة بنت عبد الرحمن، والقاسم بن محمد. ويأمر بأمر أهل العلم أن ينشروا العلم في مساجدهم لأن السنة كانت قد أميتت.

وكان العلماء يحضون على كتابة العلم فمنهم عطاء بن أبي رباح والذي قال عنه أبي حكيم الهمداني: كنت عند عطاء ونحن غلمان فقال: يا غلمان، تعالوا اكتبوا، فمن كان منكم لا يحسن كتبنا له، ومن لم يكن معه قرطاس أعطيناه من عندنا.[٢]

ج – الفقه

يعرف ابن قدامة الفقه بأنه: العلم بأحكام الأفعال الشرعية كالحل والحرمة والصحة والفساد ونحوها.[٣] ويعرفه ابن خلدون بأنه: معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين، بالوجوب والحظر والندب والكراهة والإباحة، وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه. وكان السلف يستخرجونها من تلك الأدلة على اختلاف فيها بينهم.

وتباين الصحابة في الفهم والأخذ عن النبي ﷺ ويؤيد هذا الرأي ابن خلدون بقوله: ثم إن الصحابة لم يكونوا كلهم أهل فتيا، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم، وإنما كان ذلك، مختصاً بالحاملين للقرآن العارفين بناسخه ومنسوخه ومتشابهه ومحكمه وسائر دلالاته بما تلقوه من النبي ﷺ أو ممن سمعه منهم من عليتهم، وكانوا يسمون لذلك القراء، أي الذين يقرأون الكتاب[٤].

ويقول علي بن عبد الله المديني: انتهى علم أصحاب رسول الله ﷺ من الأحكام إلى ثلاثة ممن أخذ عنهم وروي عنهم العلم: عبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وعبد الله ابن عباس[٥].

---

(١) البخاري: المصدر السابق، كتاب العلم، كيف يقبض العلم، ج١، ص ٣٩، وقد وصله ابن حجر في كتابه تغليق التعليق على صحيح البخاري، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، مج٢، ج١، ص ٨٨ .

(٢) الخطيب، محمد عجاج :المرجع السابق، ص ٣٢٧- ٣٣٠ .

(٣) ابن قدامة، عبد الله بن أحمد ت(٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م): روضة الناظر وجنة المناظر، دار الزاحم، د.ت، ص ٣ .

(٤) ابن خلدون، المصدر السابق، ص ٤١٢- ٤١٣.

(٥) الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ج٢، ص ٢٨٩.

وانقسم الفقه إلى طريقتين: طريقة أهل الرأي والقياس، وهم أهل العراق، وطريقة أهل الحديث، وهم أهل الحجاز. وكان الحديث قليلاً في أهل العراق، فاستكثروا من القياس ومهروا فيه، فلذلك قيل أهل الرأي. ومقدم جماعتهم الذي استقر المذهب فيه وفي أصحابه أبو حنيفة ت (١٥٠ هـ/ ٧٦٧م)، وإمام أهل الحجاز مالك بن أنس ت (١٧٩هـ/ ٧٩٥م) والشافعي ت (٢٠٤هـ/ ٨٢٠م)، من بعده[١].

إن عموم ما جاء به الإسلام وكل ما فيه من تعاليم إنما يقصد به حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال، وبدهي أن هذا يناسب الفطر ويساير العقول، ويجاري التطور ويصلح لكل زمان ومكان. والقواعد العامة التي وضعها الاسلام، ليسير على ضوئها المسلمون هي: النهي عن البحث فيما لم يقع من الحوادث حتى يقع، وتجنب كثرة السؤال وعضل المسائل، والبعد عن الاختلاف والتفرق في الدين، ورد المسائل المتنازع فيها إلى الكتاب والسنة.[٢]

لذلك نجد أن كثيرا من الفقهاء نددوا بالخارجين على الحكم الأموي حفظا لأرواح المسلمين من أن تسفك دونما طائل، بدءا من الصحابة الكرام أو حتى من التابعين فعن حماد بن سلمة عن أبي حمزة قال: قلت لابن عباس: إني بايعت ابن الزبير فأعطاني وحملني على فرس، أفأقاتل معه؟ قال: لا تقاتل معه، ورد عليه ما أعطاك واشتر بغلاً أو بغلين، وغلاماً واغزُ المشركين، فإن قتلت على ذلك كنت شهيداً إن شاء الله تعالى، قال: فرددت على ابن الزبير ما أخذت منه[٣].

ومن الفقهاء محمد بن علي بن أبي طالب، فلم يرض بالخروج على الحكم الأموي وعارض فكرة الخلع للخليفة يزيد.[٤] والحسن البصري الزاهد العابد الفقيه، كان يعلم الناس ويحضهم على التزام الجماعة والابتعاد عن الفتن، فكان يثبط الناس عن فتنة ابن الأشعث، وكان يخطب في الناس وينهاهم أشد النهي ويأمرهم بالتزام الجماعة[٥]. ولا يعني ذلك أن الفقهاء كانوا

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص ٤١٣.

(٢) سابق، السيد : فقه السنة، الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، مج١، ص ١٠– ١٢ .

(٣) عطوان، حسين: الفقهاء والخلافة في العصرالأموي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ١٥ .

(٤) المرجع السابق نفسه، ص ١٧ .

(٥) المرجع السابق نفسه، ص ٢٨ .

ممالئين للخلفاء في خطأهم بل كانوا يناصحونهم، ويناصحون الناس من أن يهلكوا أنفسهم وأهليهم، لا يخافون في الله لومة لائم.

ولقد شغل الفقهاء مناصب هامة في الدولة من الوالي فما دونه، سواءا في الدواوين أو الشرطة أو غيرها إلى جانب ما كانوا يُعَلِّمونَه، فمن الفقهاء في العصر الأموي وممن ولي من قبل الخلفاء المغيرة بن شعبة الثقفي، والضحاك بن قيس الفهري الدمشقي، والنعمان بن بشير الأنصاري، والحكم بن عمرو الغفاري وهم من فقهاء الصحابة، ومن التابعين عبادة بن نسي الفقيه والي عبد الملك بن مروان وعمر بن العزيز على الأردن، وإسماعيل بن أبي المهاجر والذي أسلم على يديه الكثير من البربر، وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم والي سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز على المدينة[1].

وممن مر علينا من علماء العصر الأموي مكحول وابن شهاب الزهري والأوزاعي وغيرهم الكثير كانوا نبراسا ومنارا للتعليم في العصر الأموي، وكانت مجالس الفقه في المساجد ومنازل العلماء عامرة بالاستزادة من الخير مصداقا لقول النبي ﷺ: (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)[2].

د- اللغة العربية

إن علم اللغة العربية مهم لفهم نصوص القرآن والسنة، وههنا قول لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ت (٢٣هـ/ ٦٤٤م): تعلموا العربية فإنها تزيد في المروءة. وقوله: عليكم بالتفقه في الدين والتفقه في العربية وحسن العربية. وقوله: أعربوا القرآن فإنه عربي. وكان عبد الله بن عمر يضرب بنيه إذا لحنوا. ولا شك أن عصر السيرة والراشدين يمثل بداية جديدة لازدهار اللغة العربية التي اعتز بها أصحابها وتعلمها المسلمون الجدد في المناطق المفتوحة وهذا ليس غريباً فهي لغة الدين والدولة الجديدة.[3]

---

(١) عطوان: المرجع السابق نفسه، ص ٤٣ .

(٢) ابن حنبل: المصدر السابق، ج ٢٨، ص ١٢٧، ر ١٦٩٣٠.

(٣) العمري: المرجع السابق، ص ٣١٣- ٣١٤.

ويرى ابن خلدون أن علم اللسان العربي أركانه أربعة: وهي اللغة والنحو والبيان والأدب. ومعرفتها ضرورية لأهل الشريعة، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة، وهو ضروري لمعرفة العلوم المتعلقة بعلم الشريعة[١].

وخشي أهل العلم منهم أن تفسد تلك الملكة رأساً ويطول العهد بها، فينغلق القرآن والحديث على المفهوم، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة، شبه الكليات والقواعد، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشباه بالأشباه.

وأول من كتب فيها أبو الأسود الدؤلي من بني كنانة، ويقال بإشارة علي ، لأنه رأى تغير الملكة، فأشار عليه بحفظها، ففزع إلى ضبطها بالقوانين الحاضرة المستقرأة، ثم كتب فيها الناس من بعده إلى أن انتهت إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي، وأخذها عنه سيبويه، فكمل تفاريعها واستكثر من أدلتها وشواهدها، ووضع فيها كتابه المشهور، الذي صار إماماً لكل ما كتب فيها من بعده. ثم وضع أبو علي الفارسي وأبو القاسم الزجاج كتباً مختصرة للمتعلمين، يحذون فيها حذو الإمام في كتابه[٢]. وألف الخليل بن أحمد الفراهيدي ت (١٧٠ هـ/ ٧٨٦م) كتاب العين، فحصر فيه مركبات حروف المعجم كلها، من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي، وهو غاية ما ينتهي إليه التركيب في اللسان العربي.[٣]

قال معاوية يوما لجلسائه: أيّ الناس أفصح؟ فقال رجل من السِّماط: يا أميرَ المؤمنين، قوم قد ارتفعوا عن رُتَّة العراق، وتياسَرُوا عن كَشْكشة بكر، وتيامَنُوا عن: شَنْشَنة تَغْلب، ليس فيهم غَمْغمة قُضاعة، ولا طمطمانيّة حِمْير. قال: مَن هم؟ قال: قومُك يا أميرَ المؤمنين قُريش؛ قال: صدقت.[٤]

---

(١) ابن خلدون، المصدر السابق، ص ٥٠٠.

(٢) ابن خلدون: المصدر السابق، ص ٥٠٢.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ٥٠٢– ٥٠٣ .

(٤) ابن عبد ربه، أحمد بن محمد ت(٣٢٧هـ/ ٩٣٨م): العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م، ج٢، ص ٣٠٥. قال أبو العباس محمد بن يزيد النَحويّ. الغَمْغمة: أن تسمع الصوت ولا يَبِين لك تقطيعُ الحروف. وأما الرَتة: فإنها تكون غريزية. والطمْطمة: أن يكون الكلام مُشْبِهاً لكلام العجم. وأما كشْكشة تميم: فإن بني عمرو بن تميم إذا ذَكرتْ كاف المؤنّث فوقفتْ عليها أبدلت منها شينا، لقُرب الشين من الكاف في المخرج، وأما كسكسة بكر. فقوم منهم يُبدلون من الكاف سينا كما فعل التميميون في الشين. العقد الفريد، ج٢، ص ٣٠٦– ٣٠٧.

واهتم القوم بالنحو مخافة اللحن، مر الشعبي بقوم من الموالي يتذاكرون النحو، فقال لهم: لئن أصلحتموه إنكم لأول من أفسده. وقال عبد الملك بن مروان: اللحن في الكلام أقبح من التفتيق في الثوب والجدري في الوجه. وقيل له: لقد عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين، قال: شيبنى ارتقاء المنابر وتوقع اللحن. وقال عبد الملك بن مروان: الإعراب جمال للوضيع، واللحن هجنة على الشريف.وقال: تعلموا النحو كما تتعلمون السنن والفرائض.

وقال الحجاج لابن يعمر: أتسمعني ألحن؟ قال: لا، إلا أنه ربما سبقك لسانك ببعضه في آن وآن؛ قال: فإذا كان ذلك فعرفني[١]. وقال معاوية بن أبي سفيان لصحار العبدي: ما البلاغة؟ قال: أن تجيب فلا تبطئ، وتصيب فلا تخطئ. ثم قال: أقلني يا أمير المؤمنين؛ قال: قد أقلتك. قال: لا تبطئ ولا تخطئ[٢].

ولا يُمنع من نادرة في اللغة بين علمائها أو متعلميها ولو على سبيل المزاح. قال أبو الأسود الدؤلي لأبي علقمة: ما حال ابنك؟ قال: أخذته الحمى فطبخته طبخا، ورضخته رضخا، وفتخته فتخا فتركته فرخا؛ قال: فما فعلت زوجته التي كانت تشاره وتهاره وتماره وتزاره؟ قال: طلقها. فتزوجت بعده فحظيت وبظيت؟ فقال له: قد عرفنا حظيت فما بظيت ؟ قال: حرف من الغريب لم يبلغك[٣].

وانتشرت مجالس العلماء وبالأخص في شؤون الأدب وعلم اللغة ومنها ما يذكره الزجاجي بأنه: جاء عيسى بن عمر إلى أبي عمرو بن العلاء ونحن عنده فقال: يا أبا عمرو، ما شيءٌ بلغني أنك تجيزه؟ قال: وما هو؟ قال: بلغني أنك تجيز: (ليس الطيب إلا المسكُ) بالرفع. قال: فقال له أبو عمرو: نِمْتَ يا أبا عمر وأدلج الناس، ليس في الأرض حجازي إلا وهو ينصب، ولا في الأرض تميمي إلا وهو يرفع. ثم قال أبو عمرو: تعال أنت يا يحيى، وتعال أنت يا خلف – لخلفٍ الأحمر– اذهبا إلى أبي المهدي فلقناه الرفع فإنه لا يرفع، واذهبا إلى المنتجع التميمي ولقناه النصب فإنه لا ينصب[٤]. ووجدا عند ذهابهما صواب قوله.

---

(١) المصدر السابق نفسه، ج٢، ص٣٠٧– ٣٠٨.

(٢) المصدر السابق نفسه، ج٢، ١٢٢ .

(٣) ابن عبد ربه: المصدر السابق، ج٢، ٣١٧ .

(٤) الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق ت(٣٤٠هـ/ ٩٥١م): مجالس العلماء، وزارة الإعلام بالكويت، الكويت، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١ .

وجاء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو بن العلاء فقال: يا أبا عمرو، أيخلف الله وعده؟ قال: لا. قال: أفرأيت من وعده الله على عمل عقاباً أيخلف وعده فيه؟ فقال أبو عمرو: من العجمة أتيت أبا عثمان، إن الوعد غير الوعيد، إن العرب لا تعد عاراً ولا خلفاً، والله جل وعز إذا وعد وفى، وإذا أوعد ثم لم يفعل كان ذلك كرماً وتفضلاً، وإنما الخلف أن تعد خيراً ثم لا تفعله. قال: فأوجدني هذا في كلام العرب. قال: نعم، أما سمعت قول الأول:

ولا يرهب ابنُ العم ما عشتُ صَولتي ولا أَخْتَتي [1] من صَولةِ المتهدِّد
وإني وإنْ أَوْعَدْتُه أو وَعَدْتُـه لمُخْلِفُ إيعادي ومُنْجِزُ مَوْعِدي

وَتُكُلِّمَ في هذه الآية: ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَم ﴾[2] فقيل: كيف خرج القول من الفريقين بلفظٍ واحد، وهو وعدٌ ووعيد؟ فقال: لأن العرب تقول وعدته خيراً ووعدته شراً، فإذا أسقطوا ذكر الخير والشر قيل في الخير: وعدت، وفي الشر: أوعدت.[3]

ومن مجالس الأدب، مجالس الشعر عند الخلفاء، ومنها ما حدث به مروان بن أبي حفصة، قال: دخلت أنا وعدد من الشعراء على الوليد، فكل من أنشد التفت – الرجل – إلى الخليفة فقال: سرق ذا من كذا وذا من كذا، حتى يأتي على شعره، فقلت لبعض من أقول: من هذا؟ قال: حماد الراوية. فلما وقفت على أمير المؤمنين قلت: يا أمير المؤمنين، ما لهذا والكلام، وهو لحانة! قال: فتهانف[4] الشيخ وقال: يا ابن أخي، إني أجالس السوق فلساني على لسانهم، وأنا أعلم الناس بالشعر، فهل تروي من أشعار العرب شيئاً. فذهب عليَّ الشعر إلا شعر ابن مقبل. فقال: أنشدني. فلما أنشدته:

---

(١) خَتَأَ الرجُلَ يَخْتَؤُه خَتْأً كَفَّه عن الأَمر واخْتَتأَ منه فَرِقَ وقال الأَصمعي: اخْتَتَأَ ذَلَّ، وانظر ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص ٦٣.

(٢) الأعراف : الآية ٤٤ .

(٣) الزجاجي : المصدر السابق، ص ٧٨ .

(٤) الإهْنافُ ضَحِكٌ فيه فُتُور كَضَحِك المستهزئ، وقيل تَهانَفَ به تَضاحَكَ وتعَجَّب، وانظر ابن منظور: لسان العرب، ج٩، ص ٣٥٠ .

سَلِ الدارَ من جَنْبَي حِبِرٍّ فواهبٍ   إلى ما رأى هضب القليب المضيَّحُ

فذهبت أمر، فقال لي: مكانك، أين تذهب، ما يقول؟ قال: فلم أدر؟ قال: فقال لي: يقال رأى الموضع الموضع، إذا قابله. أنشد فلا بأس عليك[1].

هـ - علم الأنساب

يعد علم الأنساب من العلوم العريقة في تراثنا العربي الإسلامي، فكان من العلوم المحترمة في العصر الجاهلي وقد زاد الاهتمام بهذا العلم بعد الإسلام لضرورات دينية واجتماعية وعسكرية وإدارية، وللأنساب أهميتها في تطبيق أحكام الأحوال الشخصية من زواج وميراث، وفي معرفة أنساب المحدثين لتمييز رواة الحديث، وفي توزيع العطاء، ويمكن أن نعتبر ديوان الجند في خلافة عمر ﷺ أول تدوين شامل للأنساب.

وقد كلف الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ثلاثة من نسابي قريش وهم جبير بن مطعم وعقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل ﷺ عمل جدول بالأنساب. وكان عقيل بن أبي طالب عالماً بأنساب قريش ومآثرها ومثالبها وكان الناس يأخذون ذلك عنه بمسجد المدينة، وكذلك اشتهر حكيم بن حزام الأسدي بعلمه بأنساب قريش وأخبارها[2].

وبالرغم من حرص الإسلام على نبذ التفاخر بالأنساب وتفضيل الناس بحسب أصولها، إلا أنها جعلت للعصبية دورا لتوزيع الألوية في الحروب الإسلامية ودعوة للتنافس الشريف في الخير، فهذا الرسول ﷺ في فتح مكة يصفُّ الكتائب حسب القبائل.

ولأهمية علم النسب لدى العرب تجد قول النعمان بن المنذر ومفاخرته أمام كسرى أنوشروان بقوله: وأما أنسابها وأحسابها، فليست أمة من الأمم إلا وقد جهلت آباءها وأصولها وكثيراً من أُوَلِها، حتى إن أحدهم ليسأل عمن وراء أبيه دنياً، فلا ينسبه ولا يعرفه، وليس أحد من

---

(١) الزجاجي : المصدر السابق، ص ٢٧ .

(٢) العمري: المرجع السابق، ص ٣١٥-٣١٦.

العرب إلا يسمي آباءه أباً فأباً، حاطوا بذلك أحسابهم، وحفظوا به أنسابهم، فلا يدخل رجل في غير قومه، ولا ينتسب إلى غير نسبه، ولا يدعى إلى غير أبيه.[١]

ويمكن إجمال أهمية هذا العلم في عدد من الجوانب التي يمكن تصنيفها على النحو الآتي:

أولا: الجانب العقدي: وذلك فرضية معرفة المسلم لنبيه ﷺ وبأنه عربي قرشي هاشمي ، ويلحق بهذا معرفة كبار الصحابة وبقية العشرة المبشرين بالجنة، وزعماء الأنصار الذين حبهم فرض على كل مسلم، لما قدموه من تضحيات جسام وبذل في سبيل الله وقيامهم بواجب الدعوة إلى الله ونصرة رسوله ﷺ ومؤازرته حتى أظهر الله تعالى دينه.

ثانيا: الجانب التشريعي والفقهي: ضرورة معرفة الإنسان لنسبه ونسب أقربائه ليجتنب ما حرم الله تعالى ويصل أرحامه، ويؤدي ما عليه من نفقة أو صلة أو حكم، وضرورة معرفة صلات القربى بين الناس لتقسيم المواريث فيمن يستحقها.

ثالثا: الجانب السياسي الإسلامي: اختيار خليفة المسلمين من قريش لحديث الأئمة من قريش.

رابعا: الجانب الاجتماعي: اعتبار النسب في كفاءة الزوج للزوجة في النكاح. اختيار الزوجة من البيوت الكريمة، حرصا على نجابة الذرية.

خامسا: الجانب العلمي: ضرورة إلمام دارسي السيرة النبوية بنسب قريش خاصة وقبائل العرب عامة، لإدراك العوامل القبلية ذات التأثير في سير الوقائع، ومعرفة العلاقات التي تربط بين شخصيات الأحداث، في زمن كانت العصبية القبلية فيه مستحكمة وتحكم كثيرا من العلاقات السياسية والاجتماعية. كذلك معرفة الأسر الحاكمة وتفرعاتها وانتقال الحكم فيها من فرع إلى فرع، وعلاقات المصاهرات بين الأسر الحاكمة مما يلقي الضوء على كثير من القضايا التاريخية.

ولقد اشتهر من غير قريش دغفل بن حنظلة السدوسي من بني بكر بن وائل بسعة علمه في أنساب العرب فأمره معاوية بن أبي سفيان بتعليم ابنه يزيد. واتسع هذا العلم وارتبط بعلم التاريخ ارتباطا وثيقا وصار علماء الأنساب ذوي باع طويل في معرفة التاريخ والأخبار، وغالبا ما يكون النسابة مؤرخا إخباريا.

---

(١) ابن عبد ربه : المصدر السابق، ج١، ص ٢٧٧.

واهتم الخليفة الأموي الوليد بن يزيد بن عبد الملك بجمع ديوان العرب وأخبارهم وأنسابهم ولغاتهم، وكانت له عناية خاصة بتراث العرب ومآثرهم، وظهر عدد من النسابة والأخباريين المشاهير والذين كتبوا في موضوعات متعددة في علم الأنساب ومن أبرزهم:

أبو اليقظان سحيم بن حفص ت (١٧٠هـ/ ٧٨٧م) كان أخباريا ونسابة عالما بالمآثر والمثالب، ثقة فيما يرويه، ألف كتاب النسب الكبير وكتاب نسب خندف وأخبارها.

محمد بن السائب بن بشر الكلبي ت (١٤٦هـ/ ٧٦٣م) من علماء الكوفة بالتفسير والأخبار وأيام الناس، ويتقدم الناس بالعلم بالأنساب. ومنهم ابنه هشام والذي ضاعت أكثر مصنفاته إثر النكبات التي حلت بالديار الإسلامية[١].

يلاحظ أن المناهج التعليمية بين العامة والخاصة متماثلة، وإن كان تعليم الخاصة يضاف إليه الجانب العملي الإداري لإدارات الدولة المهمة كالولايات والإشراف العام، أو القيادة العسكرية، وذلك لتأهيلهم في المستقبل لكسب الخبرة الضرورية للحكم.

---

(١) المطروشي، علي بن محمد : المواهب اللطيفة في الأنساب الشريفة، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ١٢- ١٥ .

المبحث الرابع: وصايا الخلفاء التربوية

لم يأل خلفاء بني أمية جهدا من أن يعطوا النصح لبنيهم في مسائل الحياة والتعليم والتربية، ويوصونهم بما يصلح لدينهم ودنياهم، وحرصوا كل الحرص في أن يكون بنوهم مسلحين بالدين في كل الأحوال، وأن لا يؤثر عنهم إلا ما يحمد عقباه، وأن يترفعوا عن الصفات المشينة؛ فكانت تلك الوصايا التربوية الناصحة من لدن الخليفة الأول معاوية بن أبي سفيانﷺ وحتى مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية.

وكلما تقادم العهد كلما ازدادت الوصايا تبعا لمتغيرات الأحداث واشتداد الفتن، حتى أنك تجد أطول الوصايا للخليفة مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين لولي عهده عبد الله[١]، وهي بحق تعتبر دستورا للتربية والتعليم وقانونا يحكم مسيرة الحكم في الإدارة والحياة العسكرية في المستقبل.

ويتضح من عرض بعض من الوصايا أن الخلفاء كانوا يستنون بمن كان قبلهم من خلفاء بني أمية، حتى أُثِر عن عبد الملك بن مروان أنه أمر مؤدب ولده أن يُرَوِّي ولده وصية معاوية بن أبي سفيان ﷺ لبني أمية، وسنستعرض بعضا من هذه الوصايا التي ما بخل بها الخلفاء عن بنيهم ولا حتى عن الرعية.

فمما يؤثر من وصايا معاوية بن أبي سفيان قوله لعبد الرحمن بن الحكم: أراك تعجب بالشعر فإن فعلت فإياك والتشبيب بالنساء، فإنك تعرَّبه الشريفة وترمي به العفيفة، وتقر على نفسك بالفضيحة، وإياك والهجاء فإنك تحنق به كريما وتستثر به لئيما، وإياك والمدح فإنه كسب الوقاح وطعمة السؤال، ولكن أفخر بمفاخر قومك وقل من الأمثال ما تزين به نفسك وشعرك وتودد به إلى غيرك[٢].

---

(١) عبد الله بن مروان بن محمد الاموي، شهد وقائع الكارثة وزوال دولتهم في أيام أبيه سنة ١٣١ هـ/ ٧٤٩م، وفر إلى بلاد النوبة. ثم ظُفِرَ به في فلسطين – وقيل في جدة – فأخذ إلى المهدي العباسي في بغداد، فحبسه في المطبق سنة ١٦١ هـ/ ٧٧٨م، ومات في أيام الرشيد نحو ١٧٠هـ/ ٧٨٧م، انظر الزركلي، خير الدين: الأعلام، ج٤، ص ١٣٧.

(٢) ابن عساكر: المصدر السابق، ج ٣٤، ص ٣١٥.

وقال معاوية بن أبي سفيان ﷺ: يا أشدق قم عند قروم العرب وجحاجحها[1]، فسل لسانك وجل في ميادين البلاغة، وليكن التفقد لمقاطع الكلام منك على بال، فإني شهدت رسول الله ﷺ أملى على علي بن أبي طالب كتابا، وكان يتفقد مقاطع الكلام كتفقد المصرم صريمته. وكان يزيد بن معاوية يقول إياكم أن تجعلوا الفصل وصلا فإنه أشد وأعيب من اللحن[2].

وعن أسعد بن عبيد الله المخزومي أنه قال: أمرني عبد الملك بن مروان: أن أعلم بنيه الصدق كما أعلمهم القرآن[3]. ويماثل الأمر السابق الأمر التالي لمؤدب آخر وهو إسماعيل بن عبيد الله فإنه قال: قال لي عبد الملك بن مروان: لا تطعم ولدي السَّمْنَ ولا تطعمهم طعاما حتى تخرجهم على البراز، وعلمهم الصدق كما تعلمهم القرآن، وجنبهم الكذب وإن كان فيه القتل.

وقال عبد الملك بن مروان لمؤدب ولده أيضا: جنبهم السَّفَلَة فإنهم أسود الناس رِعَةً وأقلهم أدبا، وجنبهم الحشم فإنهم لهم مفسدة، واحف شعورهم تغلظ رقابهم، وأطعمهم اللحم يقووا، وعلمهم الشعر يمجدوا وينجدوا، ومرهم أن يستاكوا عرضا ويمصوا الماء مصا، ولا يعبوا عبا، وإذا احتجت أن تتناولهم بأدب فليكن ذلك في سر لا يعلم به أحد من الغاشية فيهونوا عليهم. وأشار للشعبي عند تأديب بنيه بقوله: وجالس لهم الناس يناطقوهم الكلام[4].

ودعا عبد الملك بمؤدب من مؤدبي ولده فقال: إني قد اخترتك لتأديب ولدي وجعلتك عيني عليهم وأميني، فاجتهد في تأديبهم ونصيحتي فيما استنصحتك فيه من أمرهم، علمهم كتاب الله ﷻ حتى يحفظوه وقفهم على ما بين الله فيه من حلال وحرام حتى يعقلوه، وخذهم من الأخلاق بأحسنها، ومن الآداب بأجمعها، وروهم من الشعر أعفه، ومن الحديث أصدقه، وجنبهم محادثة النساء، ومجالسة الأظناء، ومخالطة السفهاء، وخوفهم بي، وأدبهم دوني، ولا تخرجهم من علم إلى علم حتى يفهموه، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم، وأنا أسأل الله توفيقك وتسديدك.

---

(١) في كتاب الصناعتين ص ٣٥٠، جحاجها والتصحيح من لسان العرب. الجَحْجَحُ السيد السَّمْحُ وقيل الكريم، انظر ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص ٤٢٠.

(٢)العسكري، الحسن بن عبد الله ت(٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م): الصناعتين الكتابة والشعر، مطبعة محمود بك، الأستانة العلية، ط١، ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م، ص ٣٥٠- ٣٥١ .

(٣) ابن أبي الدنيا: المصدر السابق مج ١، ص ٣٠٨.

(٤) ابن عساكر: المصدر السابق، ج ٣٧، ص ١٤٧- ١٤٨.

ودعا عبد الملك مؤدبا آخر وقال له: رَوِّ ولدي ما في هذا القرطاس، وإذا فيه وصية معاوية بن أبي سفيان ﵁ لبني أمية فكان مما فيها أنه يأمرهم بتقوى الله ﷻ وينهاهم عن الفرقة ويحضهم على التآزر، ويخوفهم مغبة الاختلاف واجتماع المخالفين عليهم، فعند حدوث الاختلاف تكون زوال الدولة.

ويروي الزهري عن مدى حرص عبد الملك على تعلم بنيه كتاب الله وسنة الرسول ﷺ فقد رأى عند بعض ولده حديث المغازي، فأمر به فأحرق، وقال: عليك بكتاب الله فاقرأه، والسنة فاعرفها واعمل بها[١]. ولم يأمر بالإحراق إلا لتركه الفاضل بالمفضول فنبهه أن يحرص على الأهم فالأهم.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى مؤدب ولده: من عبد الله عمر أمير المؤمنين، إلى سهل مولاه أما بعد: فإني اخترتك على علم مني بك لتأديب ولدي وصرفهم إليك عن غيرك من موالي وذوي الخاصة لي، فخذهم بالجفاء فهو أمعن لإقدامهم، وترك الصبحة، فإن عاقبتها تكسب الغفلة، وقلة الضحك؛ فإن كثرته تميت القلب، وليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي، التي بدؤها من الشيطان، وعاقبتها سخط الرحمن، فإنه بلغني عن الثقات من حملة العلم أن حضور المعازف واستماع الأغاني واللهج بهما ينبت النفاق في القلب كما ينبت العشب الماء، ولعمري لتوقي ذلك بترك حضور تلك المواطن أيسر على ذي الذهن من الثبوت على النفاق في قلبه، وهو حين يفارقها لا يعتمد مما سمعت أذناه شيء ينتفع به، وليفتتح كل غلام منهم بجزئه من القرآن، يتثبت في قراءته، فإذا فرغ منه تناول قوسه وكنانته، وخرج إلى الغرض حافيا فرمى سبعة أرشاق، ثم انصرف إلى القائلة، فإن ابن مسعود كان يقول: يا بني قيلوا؛ فإن الشيطان لا يقيل، والسلام[٢]. ومن وصاياه: قيدوا النعم بالشكر، وقيدوا العلم بالكتاب[٣].

---

(١) البلاذري: المصدر السابق، ج٧، ص ٢٠٧- ٢٠٨ .

(٢) ابن أبي الدنيا: المصدر السابق مج ١، ص ١١٧١.

(٣) المبرد، محمد بن يزيد ت(٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) : الكامل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ج١، ص ٣٩٤ .

وللمؤدبين نصيب من وصاياه فيروى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه قال لمؤدبه: كيف كانت طاعتي إياك وأنت تؤدبني؟ فقال أحسن طاعة. قال: فأطعني الآن كما كنت أطيعك إذ ذاك، خذ من شاربك حتى تبدو شفتاك، ومن ثوبك حت تبدو عقباك[1].

ومن درر وصايا خلفاء بني أمية لمؤدبي أولادهم وصية هشام بن عبد الملك لمؤدب ولده، سليمان بن سليم بن كيسان مولى كلب ونوردها ههنا كاملة لنستشف خلالها السبيل الأمثل الذي ارتسمه الخليفة لأبنائه ولمؤدب ولده، فعن سليمان الكلبي أنه قال: بعث إلي هشام بن عبد الملك وهو بالرصافة فأتيته فلما دخلت عليه أومأ إلي أن اجلس فجلست، فأضرب عني حتى سكن جانبي، ثم قال: إنه قد بلغني عنك فضل، وإذا بلغني عن رجل من رعيتي مثل الذي بلغني عنك سارعت إليه بكل ما يجب، واستعنت به على مهم أموري، وإن محمد بن أمير المؤمنين بالمكان الذي بلغك، وهو جلدة ما بين عيني، وأنا أرجو أن يبلغ الله به أفضل ما بلغ من أهل بيته، وقد ولاك أمير المؤمنين تأديبه وتعليمه والنظر فيما يصلح الله به أمره، فعليك بتقوى الله وأداء الأمانة فيه، لخصال لو لم تكن إلا واحدة لكنت حقيقا إلا بصنعها، فكيف إذا اجتمعت، أما أولها فأنت مؤتمن عليه فحق عليك اداء الأمانة فيه، وأما الثانية فأنا إمام ترجوني وتخافني، وأما الثالثة فكلما ارتقى الغلام في الأمور درجة ارتقيت معه ففي هذا ما يرغبك فيما أوصيك به.

إن أول ما آمرك به أن تأخذه بكتاب الله ويقرئه في كل يوم عشرا، يحفظ القران حفظ رجل يريد الكسب به، وروه من الشعر أحسنه وتخلل به في أحياء العرب فخذ من صالح شعرهم من هجاء ومدح فإنه ليس من قوم إلا وقد هجوا ومدحوا، وروه جماهير أحياء العرب ثم تخلل به في مغازي النبي ﷺ وحفظ من كان معه وحسن بلائهم، وبصره طرفا من الحلال والحرام والخطب وما يحتاج إليه في قدره وموضعه، ثم أجلسه للناس في كل يوم وأدخل عليه أشراف قريش والعرب وعلية الناس وأطيبوا لهم الطعام وعجلوا بالغداء فمن أحب بعد الغداء أقام ومن أحب أن ينصرف فإن للناس حوائج، وأدخل عليه أهل الفقه والدين فانهم إذا خرجوا من عنده فرآهم الناس ظنوا أنه مثلهم وإن لم يكن مثلهم، ولا تدخل عليه أهل الفسق والدعارة وشراب الخمر فإنهم إذا خرجوا من عنده ظن أنه مثلهم وإن لم يكن مثلهم، وإذا سمعت منه الكلمة الحسنة فنبه القوم لها فلعلهم لم يفطنوا لما جاء به وفطنت له لاهتمامك بأمره، لأنهم إذا خرجوا أذاعوا ذلك عنه، وإذا سمعت منه الكلمة العوراء فاصمت عنها فلعل القوم لم ينتبهوا لها، فإذا خرجوا من عنده فانقله منها إلى غيرها وخبره بفسادها، ثم انظر إليه في بدنه فمره فليستن عرضا وليحلق شعره

---

(١) المصدر السابق نفسه، ج١، ص ٤٦٩ .

تغلظ قَصَرته وعلمه شعر حاتم يسخ ويمجد ولا يجعلن ثيابه طوالا فانها لباس النوكى، ولا سيما أبناء الملوك.

ولا تحملنه على سرج صغير فيبدو منه أليتاه وإن ذلك فعل الفساق، ولا تجلسه مع حشمه فإنهم له مفسدة، وإياك والسوقة فإنهم أسوأ شئ آدابا، وخذ خدمه باللين وطلاقة الوجه على بابه والبشاشة بالناس والتألف لهم، وإذا أعطيتم فأعطوا حملة القران وحملة العلم وأهل الفضل فإنكم تؤجرون على تقريبهم ويحمدكم الناس على عطيتهم إلا أن يكون في سبب تجده أو وسيلة تكون لأحدهم تقضي ذمامه، وأبسطوا أيديكم بالفضل ووجوهكم بالبشر فإنكم ملوك والناس سوقة وإنهم يطئون أعقابكم بنازع الفضل ولين الجناح، ولا يخرجن إلا معتما، ولا يركبن محذوفا ولا مهلوبا ولا تعقدن له ذنب دابة إلا في لثق ولا يسيرن ملتفتا ولا طامحا، وإياك أن تكتم عيبه فيؤدي إلى ذلك غيرك فأنزل لك عما يسرك إلى ما يضرك، فإن قصر عن شئ فيما أمرته به في أدبه، أو تقاعس عنه، لكزة في نفسه وقدره، فأدخل عليه بعض أهله حتى يجره برجله إلى مجلس أدبه، خذه بهذا كله وزده من عندك ما أستطعت فإني تبينت عقله اليوم وبعد اليوم فإن رأيته ازداد خيرا إلى ما كان عليه رئي أثر أمير المؤمنين عليك، وإن كانت الأخرى فلا تلم إلا نفسك، وقد أجريت لك في كل شهر ألف دينار [١].

يتبين من وصايا هشام بن عبد الملك حرصه على أن يكون المؤدب جديرا بحمل الأمانة وما سيلقى عليه من أعباء تربية ابن الخليفة، كما أجرى له ما يستعين به من أجر، إذ بلغ الألف دينار وهو مبلغ مرتفع مقارنة مع ذلك العصر، في الوقت الذي كانت فيه الأرزاق حدود الثلاثمائة درهم [٢].

ومن وصايا يزيد بن الوليد: يا بني أمية إياكم والغناء فإنه ينقص الحياة ويزيد في الشهوة ويهدم المروءة، فإنه لينوب عن الخمر، يفعل ما يفعل السكر، فإن كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء، فإن الغناء داعية الزنا [٣].

---

(١) ابن عساكر، المصدر السابق، ج ٢٢، ص ٣٣٠ – ٣٣٢.

(٢) الجهشياري: المصدر السابق، ص ٨٩ .

(٣) ابن أبي الدنيا: المصدر السابق مج ١، ص ١١٧١.

وقد كانت وصية آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد خلاصة تجربته لولده وولي عهده عبد الله فهي عبارة عن دستور متكامل للتربية[1]، إذ حَوَتْ الوصيةُ الجانب الأخلاقي والسياسي والحربي وفيها من الحكمة وأصول التربية الشيء العظيم . فقد ركز على أهمية التقوى وشكر الله ﷻ، وضرورة قراءة القرآن الكريم، وشكر المنعم في كل يوم جديد بلغه إياه، وأن عليه مجاهدة الأهواء، وبين له السبيل الأمثل في مجاهدتها. كما شرح له مواصفات البطانة والحاشية التي يجالسها، وأنفع الطرق في معاملة القوم مع الحذر مما يسمع. وفي الوصية تحذير من الفكاهة والضحك خصوصا لمن كان حدثا، ومن الكبر والتيه وعواقبها. كما نبهه على أهل الوشاية والسعاية وأن يفوض ذلك لصاحب الشرطة. والتصرف نحو الوفود والرسل وضرورة إنزال الناس منازلهم مع معرفة سبب القدوم من الحجبة والكتاب لِيُعِدَّ للسؤال جوابا فيسهل عليه ملاقاة الوفود بحضور عقل وسكون نفس . وأن ينفي عنه العجب والغضب، وضرورة التحرز بالقوة النفسية والحيلولة دون الغيبة والسعاية والنميمة من البطانة التي معه. وأن يدع أمام الناس التنخم والتثاؤب وفرقعة الأصابع وما لا يستحسن.

ومما جاء في هذه الوصية التي كتبها عبد الحميد بن يحيى عن مروان بن محمد، أما بعد[2]: " وقد تقدم أمير المؤمنين إليك آخذا بالحجة عليك مؤديا حق الله الواجب عليه في وقضاء حقك وما ينظر به الوالد المعني الشفيق لولده. وأمير المؤمنين يرجو أن ينزهك الله عن كل قبيح يهش له طمع وأن يعصمك من كل مكروه حاق بأحد وأن يحصنك من كل آفة استولت على امرىء في دين أو خلق ...، فإنه لا يعين على الخير ولا يوفق له إلا هو.

وحضه على قراءة القرآن بقوله: وأن تقرأ فيه من كتاب الله ﷻ جزءا تردد رأيك في أدبه وتزين لفظك بقراءته وتحضره عقلك.

ثم تعهد نفسك بمجاهدة هواك فإنه مغلاق الحسنات ومفتاح السيئات...وأن تملك أمورك بالقصد وتداري جندك بالإحسان وتصون سرك بالكتمان وتداوي حقدك بالإنصاف وتذلل نفسك بالعدل وتحصن عيوبك بتقويم أودك وتمنع عقلك من دخول الآفات عليه بالعجب المردي.

ثم لتكن بطانتك وجلساؤك في خلواتك ودخلاؤك في سرك أهل الفقه والورع من خاصة أهل بيتك وعامة قوادك ممن قد حنكته السن بتصاريف الأمور. ثم وإياك وأن يفاض عندك بشيء

---

(١) انظر الملحق (٩)، وصية مروان لولي عهده.

(٢) عباس: المرجع السابق، ص ٢١٥ . وانظر القلقشندي، أحمد بن علي ت(٨٢١هـ/ ١٤١٨م): صبح الأعشى، دار الكتب السلطانية، القاهرة، ط١، ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م، ج ١٠، ص ١٩٥ .

من الفكاهات والحكايات والمزاح والمضاحك التي يستخف بها أهل البطالة ويتسرع نحوها ذوو الجهالة.

واعلم أن أقواما يسرعون إليك بالسعاية ويأتونك على من قبل النصيحة ويستميلونك بإظهار الشفقة ويستدعونك بالإغراء والشبهة ويوطئونك عشوة الحيرة ليجعلوك لهم ذريعة إلى استئكال العامة بموضعهم منك.

إياك وأن يظهر منك تبرم بطول مجلسك وتضجر ممن حضرك وعليك بالتثبت عند سورة الغضب وحمية الأنف وملال الصبر في الأمر تستعجل به والعمل تأمر بإنفاذه فإن ذلك سخف شائن وخفة مردية وجهالة بادية وعليك بثبوت المنطق ووقار المجلس وسكون الريح والرفض لحشو الكلام والترك لفضوله. ونبهه إلى ترك: كثرة التنخم والتبصق والتنخع والتثاؤب والجشاء والتمطي وتحريك القدم وتنقيض الأصابع وتحريكها والعبث بالوجه وباللحية أو الشارب أو المخصرة أو ذؤابة السيف والإيماض بالنظر أو الإشارة بالطرف...

ثم ختم الجانب الأخلاقي من وصيته بقوله: هذه جوامع خصال قد لخصها لك أمير المؤمنين مفسرا وجمع لك شواذها مؤلفا وأهداها إليك مرشدا ...والله يسأل لك أمير المؤمنين حسن الإرشاد وتتابع المزيد وبلوغ الأمل وأن يجعل عاقبة ذلك بك إلى غبطة يسوغك إياها وعافية يحلك أكنافها ونعمة يلهمك شكرها، فإنه الموفق للخير والمعين على الإرشاد منه تمام الصالحات وهو مؤتي الحسنات عنده مفاتيح الخير وبيده الملك وهو على كل شيء قدير[١]. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وكتب سنة تسع وعشرين ومائة[٢].

ومن أقوال ولي عهد آخر خلفاء بني أمية عبد الله بن مروان بن محمد بن الحكم: ليس من يوم تقدم إلا وهو عارية لليوم الذي بعده، فاليوم الجديد يقبض عاريته فإن كان حسنا أدى إليه حسنا، وإن كان قبيحا أدى إليه قبيحا، فإن استطعت أن تكون عواري أيامك حسنا فافعل[٣].

(١) عباس: المرجع السابق، ص ٢٣٤ . وانظر القلقشندي: صبح الأعشى ، ج ١٠، ص ٢٠٨ .

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ٢١٥- ٢٦٥ بتصرف. وانظر القلقشندي: صبح الأعشى ،ج ١٠، ص ١٩٥- ٢٣٣ بتصرف .

(٣) ابن عساكر: المصدر السابق، ج ٣٣، ص ٣٦.

الفصل الرابع: الوسائل المعينة على التعلم

المبحث الأول: أدوات الكتابة.

المبحث الثاني: الكتب والمكتبات.

المبحث الثالث: الرحلة في طلب العلم.

المبحث الأول: أدوات الكتابة

يلاحظ أن المسلمين استخدموا كل الوسائل المتاحة لتدوين علومهم بل واستطاعوا إحداث نقلة نوعية في أدوات الكتابة ومحاولة الرقي بها، فقد كانت البيئة لها دور وأثر في طبيعة الأدوات المستخدمة فكانت الألواح الطينية منتشرة بكثرة في بلاد العراق، أما الكتابة الصخرية فقد انتشرت في البيئات الصخرية المنتشرة من جبال وكهوف، وكانت العرب تكتب في اللخاف وهي الحجارة البيض الرقيقة، كما وكتبوا في أكتاف الإبل والعسب أي عسب النخل، والكرانيف والتي يقصد بها أصل السعفة.

كما أن العديد من أدوات الكتابة المستخدمة في بدايات الإسلام كانت مستخدمة في العصر الأموي، فكانوا يكتبون على الأقتاب وهو الإكاف الصغير على قدر سنام البعير، فيروي سعيد بن جبير: كنت أسمع من ابن عمر وابن عباس الحديث بالليل فأكتبه في واسطة رحلي، حتى أصبح فأنسخه.

وكان العرب يكتبون في العظام وخاصة الأضلاع والكتف، وقد بقيت الكتابة على العظام في العصر الأموي يكتب بها عند الضرورة وممن استخدمه الشاعر عمر بن أبي ربيعة فبينما هو جالس مع ابن أبي عتيق بفناء الكعبة إذ مرت بهما امرأة من آل أبي سفيان فدعا عمر بكتف فكتب إليها شعرا.[١]

كما وأن الأوراق بأنواعها كانت متداولة في العصر الجاهلي والإسلامي ولابن السيد البطليوسي في أسامي الرق والورق اصطلاح، يقول فيه: فإن كان الذي يكتب فيه من جلود، فهو رق وقرطاس –بكسر القاف وبضمها – فإن كان من رق فهو كاغد – بالدال غير المعجمة وقد حكي بالذال المعجمة – وقد يستعمل القرطاس لكل بطاقة يكتب فيها، ويقال لما يكتب فيه: الصحيفة والمُهْرَق، فإن كان كتابا كتب فيه بعد محو فهو طرس.[٢] ونأتي بالتفصيل لبعض الأدوات المستخدمة في الكتابة:

---

(١) الجبوري، يحيى وهيب: الخط والكتابة في الحضارة العربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٢٥١.

(٢) السامرائي، قاسم : علم الاكتناه العربي الإسلامي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ٢٢٥ .

المهارق

والمُهْرَقُ الصحيفة البيضاء يكتب فيها، والكلمة فارسية معربة والجمع المَهارق قال حسان:

كَمْ للمَنازِل من شَهْرٍ وأَحوالِ   لآل أَسْماءَ مِثْل المُهْرَقِ البالِي

قال ابن بري: كما تَقادَمَ عَهْدُ المُهْرَقِ البالي. وقال الحرث بن حلِّزة: آياتها كَمَهارِقِ الحَبَشِ. والمَهارق في قول ذي الرمة: بيَعْمَلة بين الدُّجَى والمَهَارِقِ.

وقيل: المُهْرَق ثوب حرير أَبيض يُسْقَى الصمغَ ويُصْقَلُ ثم يكتب فيه وهو بالفارسية مُهر كَرْد وقيل مَهْره، لأن الخَرَزة التي يُصقل بها يقال لها بالفارسية كذلك، والمُهْرَقُ الصحراء الملساء والمَهارق الصَّحاري وأحدها مُهْرَق وهو معرب. قال الأزهري: وإنما قيل للصحراء مُهْرق تشبيها بالصحيفة، قال الأعشى:

رَبّي كريم لا يكدِّرُ نِعْمَةً   فإذا تُنُوشِد في المَهارِق أَنْشَدا

أراد بالمَهارق الصحائف[1]. وكان الجاحظ يقول: ولا يقال للكتب مَهارقُ حتَّى تكونَ كتبَ دينٍ أو كتبَ عهودٍ ومِيثاقٍ وأمان[2].

وإن من أهم الأدوات التي كان لها دور في الحياة العلمية والثقافية والحضارية، ودونت بها العلوم وألفت بهل الكتب هي: الرق، والبردي، والورق.

---

(١) ابن منظور: المصدر السابق، ج ١٠، ص ٣٦٥.

(٢) الجبوري: المرجع السابق، ص ٢٥٣.

الرق

كانت المادة الأساسية التي يكتب بها العرب، وقد كتبت بها المصاحف والمؤلفات في العصور الأموية والعباسية قبل أن يشيع استعمال البردي والورق من بعده. وترد في كتب التراث ثلاث مسميات: الرق والأديم والقضيم وكلها أنواع من الجلود. فالرق: ما يرقق من الجلد ليكتب فيه، والأديم: هو الجلد الأحمر او المدبوغ، والقضيم: الجلد الأبيض الذي يكتب فيه. وقد جاءت هذه الأسماء الثلاثة في الشعر الجاهلي. فأما الرق فقد جاء في شعر حاتم الطائي في قوله:

أَتَعْرِفُ أَطْلالاً ونُؤياً مُهَدَّما   كخطك، في رق، كتاباً منمنما

وفي شعر الأخنس بن شهاب التغلبي[1]:

لابنةِ حَطَّانَ بن عوفٍ منازلُ   كما رَقَّشَ العُنْوانَ في الرِّقِ كاتبُ

وقد ذكر الرق في القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿ وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴾[2]

وأما الأديم فقد جاء في شعر المرقش الأكبر في قوله:

الدارُ قَفْرٌ والرُّسُومُ كما   رَقَّشَ في ظَهْرِ الأَدِيم قَلَمْ

وكانوا في صدر الإسلام يكتبون كما يكتب الجاهليون على الأديم، وفي خبر تحريم المدينة ما رواه رافع بن خديج: فإن المدينة حرم حرمها رسول الله ﷺ وهو مكتوب عندنا في أديم خولاني. والأديم الخولاني نسبة إلى قبيلة خولان في اليمن.

وأما القضيم فقد جاء في الشعر الجاهلي أيضا، من ذلك قول امرئ القيس[3]:

---

(١) الجبوري: المرجع السابق، ص ٢٥٥.

(٢) الطور: ١- ٣ .

(٣) الجبوري: المرجع السابق، ص ٢٥٦.

فَعادى عِداءً بَينَ ثَوْرٍ وَنَعجَةٍ   وَبينَ شَبوبٍ كَالقَضِيمَةِ قَرْهَبِ

وفي شعر النابغة الذبياني قوله:

كأنّ مجرّ الرامساتِ ذيولَها   عليه قضيمٌ نَمَّقَتْهُ الصوانعُ

وقد كتب القرآن الكريم على القضم كما كتب على العسب والكرانيف قال الزهري: قبض رسول الله ﷺ والقرآن في العسب والقضم والكرانيف. وحين اتسعت حاجات الدولة في العصر الأموي إلى الكتابة كانت الرقوق هي المادة الأساسية التي استخدمت لفترة طويلة حتى بدأ القرطاس – وهي الكلمة التي أطلقت على صحيفة البردي – يزاحم الرقوق ويتغلب عليها لخفته وسهولة الكتابة فيه. ونجد مصداق ذلك فيما يقرره ابن خلدون في مقدمته إذ يقول: وكانت السجلات أولاً لانتساخ العلوم، وكتب الرسائل السلطانية والإقطاعات، والصكوك في الرقوق المهيأة بالصناعة من الجلد، لكثرة الرفه وقلة التآليف صدر الملة كما نذكره، وقلة الرسائل السلطانية والصكوك مع ذلك، فاقتصروا على الكتاب في الرق تشريفا للمكتوبات وميلا بها إلى الصحة والإتقان.[1]

القرطاس (البردي)

ترد في كتابات القدامى وفي الشعر الجاهلي خاصة عدة ألفاظ تدل على المكتوب وما كتب عليه، ومن هذه الألفاظ: الصحيفة، الكتاب، الزبور، القرطاس.

الصحيفة

وتدل على المكتوب وما يكتب به، ولم تخصص بمادة معينة، فقد تكون جلدا أو قماشا أو نباتا أو حجرا أو عظما أو ورقا، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي، فقد جاءت في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾[2]، وقوله: ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾[1]، وأما ما جاء من ذكر الصحيفة في أقوال الرسول

---

(١) الجبوري: المرجع السابق، ص ٢٥٧.

(٢) البينة : الآية ٢ .

ﷺ والصحابة فكثير جدا، ويكفي أن نقرأ في الصحيفة التي وضعها الرسول ﷺ أول الهجرة وقد عرفت بصحيفة الرسول ﷺ أو الوثيقة. وقد تكررت كلمة الصحيفة فيها سبع مرات بلفظ الإفراد.

الزبور

وزَبَرْتُ الكتابَ وذَبَرْتُه قرأْته والزَّبْرُ الكتابة وزَبَرَ الكتابَ يَزْبُرُه ويَزبِرُه زَبْراً كتبه، وقال أَعرابي: إني لا أَعرف تَزْبِرَتِي. أَي كتابتي وخطي، وزَبَرْتُ الكتاب إذا أَتْقَنْتَ كتابته والزَّبْرُ الكتابُ والجمع زُبُورٌ، ومنه قرأَ بعضهم: وآتينا داود زُبُوراً، قال لبيد:

وجَلا السيولُ عن الطُّلُولِ كأَنها   زُبُرٌ تَخُدُّ مُتُونَها أَقْلامُها

وقد غلب الزَّبُورُ على صُحُفِ داود عليه وعلى نبينا (الصلاة والسلام)، والمِزْبَرُ بالكسر القلم وفي حديث أَبي بكر: أَنه دعا في مَرَضِه بدواة ومِزْبَرٍ فكتب اسم الخليفة بعده والمِزْبَرُ القلم[2].

الكِتَاب

أما كلمة الكتاب فهي أعم من الصحيفة وتدل على الشيء المكتوب، وقد وردت في القرآن الكريم إحدى وستين ومائتي مرة إفرادا وجمعا، وجاءت في كتب النبي[3] ﷺ وصحابته كثيرا.

البردي

عرف العرب البردي منذ العصر الجاهلي باسم (القرطاس)، وجاءت كلمة القرطاس في شعر طرفة ابن العبد في معلقته يصف ناقته ويصف خدها بالقرطاس الشامي:

---

(١) التكوير : الآية ١٠ .

(٢) ابن منظور: المصدر السابق، ج ٤، ص ٣١٥.

(٣) انظر الملحق (٨)، رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى .

وخَدٍ كَقِرْطاسِ الشآمي ومِشْفَرٍ   كَسَبْتِ اليَماني قَدُّهُ لمْ يَجْرُدِ

إن كلمة قرطاس وجمعها قراطيس قد أطلقت على الورق البردي وقد عرف المصريون القدماء البردي وصنعوا منه أوراق الكتابة يقول ابن النديم: وكتب أهل مصر في القرطاس المصري ويعمل من قصب البردى وهو كاغد أبيض يقال له القراطيس كما يقول ابن البيطار وكانت هذه القراطيس أحسن ما كتب فيه كما يقول السيوطي.

وكانت أوراق البردي تصنع على هيئة لفائف يبلغ طول الواحد منها ثلاثين ذراعا وأكثر من عرض شبر، ويقول ابن المدبر عن صنع هذه اللفائف: ولم أر شيئا في إلصاقها ألطف من أن ينقع الصمغ العربي في الماء ساعة حتى يذوب ثم يلصق به وكذلك ماء الكثير أو النشاستج، ثم تطويه طيا رقيقا وتجعله في منديل نظيف ويوضع تحت وسادة حتى يجف.

وكانت مصر تمد سائر الأقطار بأوراق البردي ومنها تنقل إلى بلاد الروم وإلى غيرها من الجهات، وكان قيام الدولة الأموية في الشام أتاح للقرطاس أن يأخذ طريقه إلى الديوان وتكتب فيه الكتب السلطانية، فقد كانت الشام قديمة العهد بالقرطاس لصلتها بالدولة البيزنطية ووقوعها على الطريق التجاري الذي يحمل القراطيس من مصر إلى بلاد الروم.

ووصف السيوطي البردي المصري بقوله: إن من خصائص مصر القراطيس، وهي الطوامير، وهي أحسن ما كتب فيه وهو حشيش أرض مصر ويعمل طوله ثلاثون ذراعا وأكثر في عرض شبر [١].

وقد عرف المسلمون القرطاس وجاء ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾[٢].

أما في العصر الأموي فقد كثر استعمال القرطاس، وأصبحت أكثر مكاتبات الأمويين على البردي والقباطي، وقد نقل محمد بن عمر المدائني أن الخلفاء منذ عهد معاوية لم تزل

---

(١) الجبوري: المرجع السابق، ص ٢٦٦- ٢٦٧.

(٢) الأنعام : الآية ٧ .

تستعمل امتيازا على غيرها، ونقل البلاذري عن أبي الحسن المدائني قوله: أن دواوين الشام إنما كانت في قراطيس من البردي.

وأصبحت هذه القراطيس في العصر الأموي تثبت في الدواوين وتحفظ على شكل أوراق ثم جعلت في دفاتر، يقول الثعالبي: وكان سبيل ما يكتب في الدواوين أن يكتب في صحف، فكان خالد أول من جعله في دفاتر. بل ورخص ثمنه وكثر تداوله وصار طلبة العلم وصبيان المكاتب يتعلمون ويكتبون بها.[١]

ومما يجدر ذكره سببا من أسباب التعريب تتعلق بالقراطيس، والتي دعت عبد الملك بن مروان إلى أن يعرب أجهزة الدولة ومرافقها الحيوية، فقد كان عبد الملك أول من كتب في صدور الطوامير ﴿ قل هو الله أحد ﴾ وذكر النبي ﷺ مع التاريخ، فكتب ملك الروم: إنكم قد أحدثتم في طواميركم شيئاً من ذكر نبيكم، فاتركوه، وإلا أتاكم في دنانيرنا من ذكره ما تكرهون، فعظم ذلك في صدر عبد الملك، فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية – وكان أديباً عالماً – فقال: يا أبا هشام، أجدني ببابٍ طُبِقْ، قال: أفرج الله روعك يا أمير المؤمنين، حرم دنانيرهم، واضرب للناس سككاً فيها ذكر الله تعالى، وذكر نبيه ﷺ، ولا تعفهم مما يكرهون، فضرب الدنانير سنة خمس وسبعين[٢].

الورق (الكاغد)

المعروف في التاريخ أن أهل الصين هم أول من عرف صناعة الورق، وكان التجار العرب يستوردون الورق الصيني، وكانت صلتهم ببلاد الشرق الأقصى قديمة. وعرف العرب الورق بلفظ الكاغَد، والكلمة فارسية من أصل صيني، وورد بلفظ الكاغد والكاغذ في المراجع العربية القديمة، وقد رأى العرب في الورق مادة خفيفة لينة سهلة الحمل والنقل لا تتطلب حيزا كبيرا، فأكثروا منه إكثارا عظيما، جعل من الكتب أضعافا مضاعفة، ففضلوه على الرق والبردي.

---

(١) الجبوري: المرجع السابق، ص٢٦٩- ٢٧٠.

(٢) العسكري، الحسن بن عبد الله ت(٢٩٥هـ/ ٩٠٨م): الأوائل، دار البشير، طنطا، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، ص ٢٥٤.

يقول القلقشندي في صفة الورق الجيد: وأحسن الورق ما كان ناصع البياض غرقا صقيلا متناسب الأطراف صبورا على مرور الزمان. وذكر ابن النديم: فأما الورق الخراساني فيعمل من الكتان، ويقال أنه حدث في أيام بني أمية.

وذكر محمد بن عمر المدائني في كتاب القلم والدواة: أن الخلفاء لم تزل تستعمل القراطيس امتيازا لها على غيرها من عهد معاوية بن أبي سفيان وذاك أنه يكتب للخلفاء في قرطاس من ثلثي طومار وإلى الأمراء من نصف طومار وإلى العمال والكتاب من ثلث وإلى التجار وأشباههم من ربع وإلى الحساب والمساح من سدس، فهذه مقادير لقطع الورق في القديم وهي الثلثان والنصف والثلث والربع والسدس، ومنها استخرجت المقادير الآتي ذكرها ثم المراد بالطومار الورقة الكاملة.

القلم

القلم قصبة تُقَطُّ وتبرى، وقد يتخذ القلم من السعف أو الغاب، وقد يستعمل ريش الطيور للكتابة، كل ذلك يغمس في المداد ويكتب به، وجمع القلم أقلام وقلام، ومنذ العصور القديمة قبل الإسلام وحتى عصر قريب كانت الكتابة بقلم القصب، وحتى مع استحداث أقلام الحبر وريشة المعدن وغيرها، والقصب يصلح للكتابة على كل أداة سواء ما كان منها خشنا غليظا كالحجارة والخشب والنحاس، أو كان ناعما لينا كالقرطاس والمهرق والأديم والورق، وكانوا يكتبون به على كل شيء حتى النعال وعلى الأكف ففي صدر الإسلام روى معمر: أن الزهري ربما كتب الحديث في ظهر نعله مخافة أن يفوته[١].

وقد ورد ذكر القلم في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[٢] وكذلك ما جاء في سورة القلم: ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾[٣] .

---

(١) الجبوري: المرجع السابق، ص٢٧٤– ٢٨٤.

(٢) العلق : الآية ١– ٥ .

(٣) القلم : الآية ١ .

أما في الشعر الجاهلي فقد جاء ذكر القلم كثيرا[1]، من ذلك قول الزبرقان بن بدر:

همْ يَهْلَكونَ ويبْقى بَعْدُ ما صَنَعوا   كأنَّ آثارَهمْ خُطَّتْ بأقلامِ

وقول عدي بن زيد:

ما تبين العين من آياتها   غير نؤي مثل خط القلم

وقد عرف ابن منظورالقلم بأنه الذي يكتب به وجمعه أقلام وقلام ومن ثم يقول: قال ابن بري وجمع أقلام أقاليم. وأنشد ابن الأعرابي:

كأنني حينَ آتيها لِتُخْبِرَني   وما تبينُ لي شيئًا بِتَكْليمِ
صحيفةٌ كُتِبَتْ سِرًا إلى رَجُلٍ   لمْ يدرِ ما خُطَّ فيها بِالأَقاليمِ

والمقلمة وعاء الأقلام. وقيل للسهم القلم لأنه يقلم أي يبرى. وكل ما قطعت منه شيئا بعد شيء فقد قلمته، من ذلك القلم الذي يكتب به وإنما سمي قلما لأنه قلم مرة بعد مرة. ومن هذا قيل: قلمت أظفاري. وقلمت الشيء بريته. ويقال للمقراض المقلام[2].

مقاسات الأقلام

كان الكتاب القدماء يقدرون قياس الأقلام أي قطتها بشعر البرذون، وأنهم لم يضعوا للقلم الجليل (الجلي) مقاسا لأنه أكبر أنواع الأقلام، إذ كانوا يكتبون به على أبواب المساجد والمعابد والجدران، وكان الكاتب به لا يكتب إلا واقفا، لذلك قالوا: القلم الطوماري عرضه ٢٤ شعرة من شعر البرذون، وقلم مختصر الطومار عرضه ١٨ شعرة وبين ٢٤ شعرة أي بين قلم الطومار وقلم الثلثين. ولأن جمال الخط يعتمد على القلم لذلك أطلقوا اسم القلم على الخط، فقالوا: قلم الثلث، وقلم النسخ، وقلم الديواني، وهكذا. والقلم في اصطلاح الدواوين: قسم من أقسام الديوان، يقال: قلم الكتاب، وقلم المحضرين، وقلم المستخدمين، وهكذا.

---

(١) الجبوري: المرجع السابق، ص ٢٨٥.

(٢) ابن منظور: المصدر السابق، ج ١٢، ص ٤٩٠.

بري الأقلام

يبرى القلم بريا وأنواعه متفاوته بين الدقة والغلظ، وقد ذكر ابن النديم أن الأمم تختلف في بري أقلامها، فبري العبراني في غاية التحريف، وبري السرياني محرفة إلى اليسار وربما كان إلى اليمين، وربما قلبوا القلم على ظهره، وربما شقوا قصبته وبروا ذلك النصف وسموه صلبا وكتبوا به، وبري الرومي محرف إلى اليمين شديد التحريف، لأنه يكتب به من اليسار إلى اليمين.

قال المقر العلائي: جودة البراية نصف الخط، ومعرفة قطته النصف الآخر، فإن لكل نوع من الخط قطة مخصوصة، قال اسحاق بن حماد: لا حذق لغير مميز لصنوف البراية، وقال ابن مقلة: ملاك الخط حسن البراية[١].

أنواع الأقلام

لقد بين علي بن الأزهر أنواع الأقلام وصفاتها في رسالة بعث بها إلى صديق له يستدعي منه أقلاما يقول فيها: فإنا على طول الممارسة لهذه الكتابة التي غلبت على الاسم ولزمت لزوم الوسم، فحلت محل الأنساب وجرت مجرى الألقاب، وجدنا الأقلام الصحرية أسرع في الكواغد وأمر في الجلود، كما أن البحرية منها أسلس في القراطيس وألين في المعاطف وأشد لتصريف الخط فيها، ونحن في بلد قليل القصب رديئه، وقد أحببت أن تتقدم في اختيار أقلام بحرية وتتأنق في اقتنائها قبلك، وتطلبها في مظانها ومنابتها من شطوط الأنهار وأرجاء الكروم، وأن تتيمم باختيارك منها الشديد المحص، الصلبة المقص، النقية الجلود القليلة الشحوم، المكتنزة اللحوم، الضيقة الأجواف، الرزينة المحمل، فإنها أبقى على الكتابة وأبعد من الجفاء وأن تقصد بانتقائك الرقاق القضبان، المقومات المتون، الملس المعاقد، الصافية القشور، الطويلة الأنابيب، البعيدة ما بين الكعوب، الكريمة الجواهر، المعتدلة القوام، المستحكمة يبسا، وهي قائمة على أصولها لم تعجل عن أبان ينعها ولم يؤخر إلى الأوقات المخوفة عليها من خصر الشتاء وعفن الأنداء، فإذا استجمعت عندك أمرت بقطعها ذراعا ذراعا قطعا رقيقا، ثم عبأت منها حزما فيما

---

(١) الجبوري: المرجع السابق، ص٢٨٦– ٢٨٧.

يصونها من الأوعية، ووجهتها مع من يؤدي الأمانة في حراستها وحفظها وإيصالها، وكتبت معه رقعة بعدتها وأصنافها من غير تأخير ولا توان، إن شاء الله تعالى[١].

قال المقر العلائي ابن فضل الله: رأيت بخط أبي علي بن مقلة رحمه الله: نعم ملاك الخط حسن البراية، ومن أحسنها سهل عليه الخط، ولا يقتصر على علم فن منها دون فن، فإنه يتعين على من تعاطى هذه الصناعة أن يحفظ كل من منها على مذهبه من زيادة في التحريف ومن النقصان منه ومن اختلاف طبقاته، ومن وعى قلبه كثرة أجناس قط الأقلام كان مقتدرا على الخط ولا يتعلم ذلك إلا عاقل، والقلم للكاتب كالسيف للشجاع.

وقال ابن مقلة في صفة لقلم ومقداره من الطول والتقعير: ويجب أن يكون في القلم الصلب أكثر تقعيرا وفي الرخو أقل وفي المعتدل بينهما، وصفته أن تبتديء بنزولك بالسكين على الاستواء ثم تميل القطع إلى ما يلي رأس القلم ويكون طول الفتحة مقدار عقدة الإبهام أو كمناقير الحمام.

ومن قول ابن مقلة في النحت: وهو نوعان نحت حواشيه ونحت بطنه أما نحت حواشيه فيجب أن يكون متساويا من جهتي السن معا ولا يحمل على إحدى الجهتين فيضعف سنه بل يجب أن يكون الشق متوسطا لجلفة القلم دق أو غلظ . قال: ويجب أن يكون جانباه مسيفين والتسييف أن يكون أعلاه ذاهبا نحو رأس القلم أكثر من أسفله فيحسن جري المداد من القلم. قال: وأما نحت بطنه فيختلف بحسب اختلاف الأقلام في صلابة الشحم ورخاوته، فأما الصلب الشحمة فينبغي أن ينحت وجهه فقط ثم يجعل مسطحا وعرضه كقدر عرض الخط الذي يؤثر الكاتب أن يكتبه وأما الرخو الشحمة فيجب أن تستأصل شحمته حتى تنتهي إلى الموضع الصلب من جرم القلم لأنك إن كتبت بشحمته تشظى القلم ولم يصفُ جريانه.

ومن قوله في شق القلم: لو كان القلم غير مشقوق ما استقرت به الأنامل ولا اتصل الخط للكاتب ولكثر الاستمداد وعدم المشق ولمال المداد إلى أحد جنبي القلم على قدر فتل الكاتب له.

ومن قوله في مقدار شق القلم: ويختلف ذلك بحسب اختلاف القلم في صلابته ورخاوته فأما المعتدل فيجب أن يكون شقه إلى مقدار نصف الفتحة أو ثلثيها والمعنى فيه أنه إذا زاد على

---

(١) ابن عبد ربه : المصدر السابق، ج٤، ص ٢٨١- ٢٨٢ .

ذلك انفتحت سنا القلم حال الكتابة وفسد الخط حينئذ وإذا كان كذلك أمن من ذلك وأما الصلب فينبغي أن يكون شقه إلى آخر الفتحة وربما زاد على ذلك بمقدار إفراطه في الصلابة.

وقال أيضا: واضجع السكين قليلا إذا عزمت على القط ولا تنصبها نصبا.

وقال: اعلم أن للقلم وجها وصدرا وعرضا فأما وجهه فحيث تضع السكين وأنت تريد قطه وهو مايلي لحمة القلم وأما صدره فهو ما يلي قشرته وأما عرضه فهو نزولك فيه على تحريفه. قال: وحرف القلم هو السن العليا وهي اليمنى.

وقال ابن مقلة في عدة أقلام الدواة: ينبغي أن تكون أقلامه على عدد ما يؤثره من الخطوط وكأنه يريد أن يكون في دواته قلم مبري للقلم الذي هو بصدد أن يحتاج إلى كتابته ليجده مهيأ فلا يتأخر لأجل برايته[١].

المداد والدواة

كل شيء امتلأ وارتفع فقد مد وأمددته أنا. ومد النهار إذا ارتفع. ومد الدواة وأمدها زاد في مائها ونقسها ومدها وأمدها جعل فيها مدادا. وكذلك مد القلم وأمده واستمد من الدواة أخذ منها مدادا. والمد الاستمداد منها. وقيل هو أن يستمد منها مدة واحدة. قال ابن الأنباري: سمي المداد مدادا لإمداده الكاتب[٢].

وكانت الكتابة على الرق ونحوه، فإذا انتهت حاجتهم من المكتوب محوا المداد بغسله، ثم يكتبون على الرق ثانية وثالثة، ويسمون هذه الصحيفة التي يكتبون فيها ثم يمحونها ثم يكتبون فيها (طرسا)[٣].

---

(١) الجبوري: المرجع السابق، ص ٢٨٨-٢٨٩.

(٢) ابن منظور: المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٩٦.

(٣) الجبوري: المرجع السابق، ص ٢٩٠.

صنع المداد

ومن أنواع المداد الحبر، وسأَل عبدالله بن سلام كعباً عن الحِبْرِ فقال هو الرجل الصالح وكل ما حَسُنَ من خَطٍّ أَو كلام أَو شعر أَو غير ذلك فقد حُبِرَ حَبْراً وحُبِّرَ [١].

وكان المداد يجلب من الصين، ويصنع كذلك في بلاد العرب، وهو نوعان: النوع الأول يصنع من العفص والزاج والصمغ، وهذا يناسب الرق، ويسمى الحبر المطبوخ، أو الحبر الرأس، ويكون لامعا براقا. ويصنع النوع الثاني من الدخان، وهو يناسب الورق، ولا يصلح للجلود والرق، لأنه: قليل اللبث فيها سريع الزوال عنها، وينقل القلقشندي قول صاحب الحلية: وإن شئت أخذت من دخان مقالي الحمص وشبهه وتلقي عليه ماء وتأخذ ما يعلو فوقه وتجمعه بماء الاس والعسل والكافور والصمغ العربي والملح وتمده وتقطعه شوابير والدخان الأول أجود. وكانوا يضيفون إليه الكافور لتطيب رائحته، والصبر ليمنع من وقوع الذباب عليه.

وقد وصف ابن مقلة الحبر الجيد وهو المتخذ من سخام النفط، وذكر كيفية صنعه، قال: وأجود المداد ما اتخذ من سخام النفط، وذلك أن يؤخذ منه ثلاثة أرطال فيجاد نخله وتصفيته، ثم يلقى في طنجير ويصب عليه من الماء ثلاثة أمثاله، ومن العسل رطل واحد ومن الملح خمسة عشر درهما ومن الصمغ المسحوق خمسة عشر درهما ومن العفص عشرة دراهم، ولا يزال يساط على نار لينة حتى يثخن جرمه ويصير في هيئة الطين، ثم يترك في إناء ويرفع إلى وقت الحاجة.

وقد كان اللون الأسود في المداد هو المفضل، وأن السواد يظهر على بياض القرطاس بأوضح وأنصع صورة، وإن صناعة المداد الأسود أيسر من صناعة الحبر الملون الذي يحتاج إلى مواد كيماوية لم تكن متوافرة أو ميسورة لديهم في الزمن الأول.[٢]

---

(١) ابن منظور: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٥٧.

(٢) الجبوري: المرجع السابق، ص٢٩١- ٢٩٢.

الدواة والمحبرة

الدواة: الآنية التي يجعل فيها الحبر، من خزف كان أو من قوارير [١]، فالدواة هي المحبرة وقد يفرق بينهما، فالقلقشندي يجعل الدواة أعم من المحبرة، وجعل المحبرة بمحتوياتها الثلاثة: الجونة والليقة والمداد، آلة من الآلات التي تشتمل عليها الدواة. فأما الجونة: فهي الظرف الذي فيه الليقة والحبر، وقد تنبه العرب إلى أن الشكل المربع يتكاثف المداد في زواياه فيفسد، ولذلك فقد أوصوا باتخاذ أشكال مستديرة.

والليقة: الصوفة في الدواة، وتسميها العرب الكرسف، تسمية لها باسم القطن الذي يتخذ منه في بعض الأحوال، وتكون الليقة من الصوف والحرير والقطن، والأولى أن تكون من الحرير الخشن، لأن انتفاشها في المحبرة وعدم تلبدها أعون على الكتابة.

ومن الآلات التي تشتمل عليها الدواة:

الملواق: الذي تلاق به الدواة، أي تحرك به الليقة. والمسقاة: التي يصب منها الماء في المحبرة. وقد عرفت الدواة منذ عرف العرب المداد واستعملوه منذ القديم. وكان الدوي في الجاهلية والإسلام تصنع من الخشب أو المعدن، كالنحاس والحديد، أو من الفخار، وقد تصنع من الزجاج.[٢]

وسخرت هذه الأدوات لتزيين جدران المساجد على مختلف أحجامها وأنماطها الكتابية ففي قبة الصخرة كتابة على الفسيفساء مؤرخة سنة ٧٢هـ، وهي بخط يابس جميل بدون نقط، كتبت بفسيفساء ذهبية على أرض زرقاء غامقة، والكتابة هي[٣]:

١- له ما في السموت وما في الأرض.

٢- ابتنى هذه القبة عبد الله الإمام المأمون أمير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين تقبل الله منه.

---

(١)ابن منظور: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٥٧.

(٢) الجبوري: المرجع السابق، ص٢٩٢- ٢٩٣.

(٣) المرجع السابق نفسه، ص ٨١.

إن كتابة قبة الصخرة كتبت أيام عبد الملك بن مروان الذي بنى قبة الصخرة، ولكن الذي محا فيما بعد اسم عبد الملك كتب اسم المأمون بدلا منه، ولم يغير تاريخ البناء. وكذلك عُبِثَ بكتابتين أُخْرَيَيْنِ في الصخرة على النحاس (الباب الشرقي والباب الشمالي) وهما من أيام عبد الملك بن مروان وبنفس التاريخ السابق، وقد أضيف اسم المأمون فيهما، وبُدِّلَ التاريخ فَجُعِل في الباب الشرقي سنة ٢١٦هـ؟. وهذه واحده مما قام به العباسيون في محو آثار الأمويين والتجني عليهم.[١]

وكذلك زينت صفائح في قبلة مسجد الجامع بدمشق مذهبة بلازورد: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ . إلى آخر الآية لا اله إلا الله وحده لا شريك له ولا نعبد إلا إياه ربنا الله وحده وديننا الإسلام ونبينا محمد ﷺ أمر ببناء هذا المسجد وهدم الكنيسة التي كانت فيه عبد الله الوليد أمير المؤمنين في ذي القعدة من سنة ست وثمانين في ثلاث صفايح منها وفي الرابعة فاتحة الكتاب إلى آخرها ثم النازعات إلى آخرها ثم عبس إلى آخرها ثم إذا الشمس كورت إلى آخرها. وقال الراوي لهذا الخبر: وقدمت بعد ذلك فرأيت هذا قد محي وكان هذا قبل المأمون[٢].

فأدوات الكتابة ووسائلها تنوعت وتطورت واهتم بها الخلفاء الأمويون وزينوا بها إنجازاتهم الحضارية والمعمارية وإن كانت يد العابثين طالتها إلا أن التاريخ لا زال يكشف لنا مدى تجني خصومهم عليهم وأن الأمويين لهم قدم السبق في النهوض بالأمة الإسلامية في شتى النواحي الحضارية بل ويسابقوا ويسبقوا الحضارات المعاصرة لهم.

---

(١)الجبوري: المرجع السابق، ص ٨٢.

(٢) النعيمي، عبد القادر بن محمد : المصدر السابق، ج٢، ٢٩٥ .اريخ المدارس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١،

المبحث الثاني: الكتب والمكتبات

اهتم المسلمون على مر العصور الإسلامية بالكتاب وأبدعوا أيما إبداع في العناية به والمحافظة عليه، بل وطوروا كل علم وفن يخدم الكتاب ويعتني به، بدءا من أوراقه وانتهاءا بتجليده وزخرفته، ولم يكن الصحابة الكرام بمنأى عن تأليف الكتب والاهتمام بها بل تشير جميع الدلائل والبراهين أنهم من رواد أهل التأليف.

وكانت الكتب متداولة في عهد الرسول ﷺ في مكة. وتبنّى المسلمون تراث الحضارات القديمة واستفادوا منه؛ كما تبنّوا تراث الجاهلية أدبياً وتاريخياً، واستفادوا أيضاً منهما. وترجموا كتباً كثيرة من اللغات القديمة[1].

يرى مؤلف كتاب تاريخ المكتبات الإسلامية أن الفضل في إنشاء المكاتب في الإسلام إنما يرجع إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقد ورد في ترجمة أبي بكر رضي الله عنه ممن كان يعاونه من الصحابة أن عمر رضي الله عنه كان قاضيه وعثمان رضي الله عنه كاتبه وسعد رضي الله عنه مولى مصاحفه[2]. وأشار إلى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جعل تابوتا لجمع صكوكه الرسمية ومعاهداته الأممية. ومنها كتابة ابن عباس رضي الله عنه للفتاوى التي كان يسأل عنها وتدوين زيد بن ثابت رضي الله عنه في الفرائض والمسند الذي لجابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه إلى غير ذلك مما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وأبي هريرة وأنس ومعاوية رضي الله عنهم وإلى غير ذلك مما جاء عن كبار التابعين كأبي الأسود الدؤلي والحسن البصري وزائدة بن قدامة[3] وغيرهم.

وقد انتشرت في كثير من بلدان الإسلام معامل الكاغد وأنشئت أولا في سمرقند وكانت تنتج نوعا نفيسا منه عرف بالكاغد السمرقندي ثم أنشئت له معامل في دمشق وطرابلس الشام وشاطبة في الأندلس، مما ساهم في كثرة الكتب تبعا لذلك، وازداد انتشارها[4].

وكان المهلب بن أبي صفرة أحد الولاة الأمويين المشهورين يقول لبنيه: يا بني إذا وقفتم في الأسواق فلا تقفوا إلا على من يبيع السلاح أو يبيع الكتب[1].

---

(١) ششن، رمضان : نظرة عامة على الكتاب والمكتبات والوراقين في التاريخ الإسلامي، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، ط١، عد ٣٢، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م، ص ٣١ .

(٢) الكتاني: تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب، المكتبة الحسنية، الرباط، ط٢، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص ٢٨ .

(٣) المرجع السابق نفسه، ص ٢٦ .

(٤) عواد، كوركيس: خزائن الكتب القديمة في العراق، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٢٠ .

ومن المعلوم أن ما كانوا يسمونه جزءا أو مجلدا أو مجلدة لا يتجاوز بضع كراريس من كراساتنا، والكراسة قد لا تكون أكثر من ثماني صحائف، بمعنى أن ألف مجلدة أو المجلد لا تبلغ في مصطلحنا أكثر من خمسين كتابا أو ستين أو سبعين كتابا، فكان المجلد في تلك العصور قليل الأوراق، لأن الورق أو الرق غليظ فإذا جعل كل مجلد مئتين أو ثلاثمئة أو أربعمئة أو خمسمئة ورقة يصعب تناوله وحمله ونقله[٢]. وكان الأقدمون في العصور الإسلامية لا يقتنون كتابا إلا بعد تفحصه وإمعان النظر فيه، خشية أن يكون فيه نقص أو تشويش[٣].

الورّاقون

الوراقة كانت حرفة ذات أهمية في التاريخ الإسلامي. والذي يشتغل بهذه الحرفة يسمى بأسماء شتى نحو الوراق والمورِّق والصحّاف والصحفي والكتبي ودلاّل الكتب، وظيفته انتساخ الكتب وتصحيحها وتجليدها والتجارة فيها[٤].

وممن اشتهر بالوراقة في العراق، أبو عبد الله الوراق الجهني الواسطي ت (١٥٩هـ/٧٧٥م) فقد كان يكتب المصاحف بواسط[٥].

فأما سوق المسكية بدمشق قرب الجامع الأموي، فبقيت سوقاً للوراقين إلى نهاية القرن الرابع عشر الهجري، وكانت هذه الأسواق مجمعاً للعلماء والطلاب يترددون إليها ويناقشون مسائل في العلوم المختلفة[٦].

والكتب تُكْتَب على أيدي الوراقين والمستنسخين. وكثير من الكاتبين والخطاطين والطلاب والعلماء يشتغلون تحت إشراف الوراقين بكتابة الكتب وتكثير نسخها. الوراق ينتخب الورق ويعطيه الكاتب لينسخ تحت إشرافه، لئلاّ يقع فيه تحريف، ثم يصححه ويجلده ويبيعه[٧].

---

(١)عواد، كوركيس: المرجع السابق، ص ٢٥ .

(٢) الطباع، إياد خالد: المخطوطات الدمشقية المخطوط العربي منذ النشأة حتى انتشاره في بلاد الشام، الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة، دمشق، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص ٣٦١ .

(٣)عواد، كوركيس: المرجع السابق، ص ٢٥ .

(٤) ششن: المرجع السابق، ص ٤٢ .

(٥)عواد، كوركيس: المرجع السابق، ص ١١ .

(٦) ششن: المرجع السابق، ص ٤٣ .

(٧) ششن: المرجع السابق، ص ٤٣ .

وهذا التصحيف والتحريف معيب في حق الناسخ، وذكر الأصمعيّ رجلاً بالتَّصحيف، فقال: كان يَسمع فيَعِي غيرَ ما يَسمع، ويَكْتب غير ما وَعى، ويَقْرأ في الكتاب غير ما هو فيه. وذكر آخر رجلاً بالتَّصحيف، فقال: كان إذا نَسخ الكِتاب مَرَّتين عاد سُرْيانياً[1]. فالدقة في النسخ مطلوبة لذاتها ومراعاة للمستفيد من عملية النسخ.

ولم يكد الكتاب يخرج من يد مؤلفه حتى تتعاوره الأيدي بالنسخ خصوصا إذا كان من مشاهير الثقات وينتقل المُؤَلَّفُ من قُطْرٍ إلى قُطْر[2]. ودليل ذلك قول أحدهم لصاحبه: إن الجاحظ أفحش فيك، لماذا لا تهجوه. فأجاب: هل في عقلي نقص؟ والله إن يكتب رسالة عليّ في الصباح، ستصل إلى الصين قبل دخول المساء[3].

وكان محبّو الكتب يقتنوها بطرق شتى، كالوراثة والشراء والنّسْخ والهدية والغنيمة في الحرب[4].

وقد أشار ابن النديم في كتابه الفهرست إلى العديد من الشخصيات البارزة في مضمار التأليف واهتمامهم بالكتب والسعي إلى التنويع في العلوم والمعارف العامة، فممن ذكرهم بأن له باعا في التأليف الخليل بن أحمد الفراهيدي ومن مؤلفاته كتاب النقط وكتاب العين والنغم والعروض والشواهد والنقط والشكل، وكتاب العدد لحمزة الزيات، والكتب المؤلفة في نزول القرآن، ككتاب الحسن بن أبي الحسن، وكتاب عكرمة عن ابن عباس[5].

وفي أخبار الرؤاسي محمد بن أبي سارة ذكر ابن النديم أنه أول من وضع من الكوفيين كتابا في النحو. وقال ثعلب: كان الرؤاسي أستاذ الكسائي والفراء. ومن أقوال الرؤاسي: بعث إلي الخليل بطلب كتابي فبعثت به إليه فقرأه ووضع كتابه. وللرؤاسي من الكتب كتاب الفيصل، وكتاب التصغير وكتاب معاني القرآن وكتاب الوقف والابتداء الكبير وكتاب الوقف والابتداء الصغير[6].

---

(١) ابن عبد ربه : المصدر السابق، ج٢، ص ٩٣ .

(٢) الطباع : المرجع السابق، ص ٣٦٠ .

(٣) ششن: المرجع السابق، ص ٤٧ .

(٤) المرجع السابق نفسه، ص ٤٣ .

(٥) النديم: المصدر السابق، ص٣٨- ٤٩ .

(٦) المصدر السابق نفسه، ص ٧١ .

وذكر ابن النديم أن عبيد بن شرية الجرهمي أدرك النبي ﷺ ووفد على معاوية فسأله: عن الأخبار المتقدمة وملوك العرب والعجم. وأمره معاوية أن يدون ما ذكره وينسب إليه وعاش عبيد بن شرية إلى أيام عبد الملك بن مروان. وله من الكتب كتاب الأمثال وكتاب الملوك وأخبار الماضين. وعلاقة بن كرشم الكلابي كان في أيام يزيد بن معاوية عارف بأيام العرب وأحاديثها، وهو أحد من أخذت عنه المآثر، وأدخله يزيد بن معاوية في سماره، وله من الكتب كتاب الأمثال.

ومن أخبار عوانة بن الحكم الكلبي أنه من علماء الكوفيين، راوية للأخبار عالما بالشعر والنسب، وكان فصيحا ضريرا، وتوفي في (١٤٧هـ/ ٧٦٤م)، وله من الكتب كتاب التاريخ وكتاب سيرة معاوية وبني أمية.[١]

والحسن بن أبي الحسن البصري له من الكتب كتاب التفسير للقرآن، وكتاب إلى عبد الملك بن مروان في الرد على القدرية[٢]. وممن جمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها حماد وجناد بأمر من الوليد بن يزيد بن عبد الملك[٣].

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص١٠٢– ١٠٣ .

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٢٠٢ .

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ١٠٣ .

تجليد الكتب

ومن مهام الوراقين أنهم قاموا بمهمة تجليد الكتب حسب طريقتهم الخاصة، وذلك بتغليف دفتي الكتاب الخشبيين بنسيج ثمين كالمخمل أو وبر الماعز أو الجوخ المذهب بالنسبة للكتب والمخطوطات القيمة، أما الكتب العادية فكانوا يجلدونها بجلود العجول أو الخراف أو الماعز ويطبعون عليها زخارف منقوشة على شكل أزهار الزنبق أو رسوم النسور والحيوانات والرموز الأخرى. أو كانت تجلد بالخشب والجلد أو صفائح معدنية، بالإضافة إلى الأقفال التي كانت توضع على حوافه أو أطرافه، ولذا كانت ثقيلة الحمل[١].

وقد بلغ من تجويدهم في هذه الصنعة أنهم أدخلوا عليها الزخرفة والتزويق والتذهيب بأساليب مختلفة[٢].

ووردت مؤلفات خاصة في تجليد الكتب في العهود اللاحقة ككتاب التيسير في صناعة التسفير ويطلق على تجليد الكتب صناعة التسفير عند أهل المغرب بينما يسميها أهل المشرق التجليد، وهي صناعة مهمة ازدهرت على عهد المدنية العربية ازدهارا كبيرا حتى تحولت من مجرد كسوة الكتاب بالجلد أو جعل سفر لحفظه إلى فن جميل يدخل في عداد الفنون العربية الجميلة، من زخرفة وتزويق وتلوين وتذهيب بحيث يكون متعة للنظر قبل الفكر، وقيد الحس والعقل معا[٣].

وروي عن ابن مسعود ﵁، أنه مر عليه مصحف زين بالذهب، فقال: إن أحسن ما زين به المصحف تلاوته بالحق[٤]. أي مظاهر التزوق والتزيين للكتب وبالأخص القرآن الكريم كان باديا وقت إمرة الصحابة في البصرة والكوفة.

وأخرج البيهقي عن الوليد بن مسلم قال: سألت مالكا عن تفضيض المصاحف؟ فأخرج إلينا مصحفا فقال: حدثني أبي عن جدي أنهم جمعوا القرآن في عهد عثمان ﵁ وأنهم فضضوا المصاحف على هذا أو نحوه[١].

---

(١) الجواهري، خيال محمد مهدي: من تاريخ المكتبات في البلدان العربية، وزارة الثقافة، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ٧٧ .

(٢)عواد، كوركيس: المرجع السابق، ص ٢١ .

(٣) الإشبيلي، بكر بن إبرهيم ت (٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م): كتاب التيسير في صناعة التسفير، تحقيق عبد الله كنون، مطبعة صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، أسبانيا، ١٣٧٨هـ – ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م- ١٩٦٠م، مج ٧- ٨، ص ١ .

(٤) السيوطي: المصدر السابق،ج٤، ص ١٥٩.

المكتبات

ولقد تعددت أنواع المكتبات إلى:

١. مكتبة الخلفاء
٢. المكتبات الخاصة
٣. المكتبات العامة ومكتبة المساجد
٤. المكتبات التابعة للمستشفيات

١ـ مكتبة الخلفاء

لقد كان معاوية بن أبي سفيان سباقا إلى رعاية العلوم فأنشأ مكتبة بيت الحكمة في قصر الخضراء بمدينة دمشق[٢]، واستمر المروانيون يعنون بهذا البيت حتى في أسفارهم وحروبهم[٣].

وكان للمكتبة خدم وأعوان يتعاونون على إحضارها له وقراءتها عليه[٤]. وقد روى المسعودي: أن معاوية كان ينام ثلث الليل، ثم يقوم فيقعد، فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك وأخبارها والحروب والمكائد، فيقرأ ذلك غلمان مرتبون، وقد وكلوا بحفظها وقراءتها[٥]. وكان لديه من ينسخ له الكتب المترجمة عن اليونانية واللاتينية، وكذلك الصينية على إثر استلامه لهدية من ملك الصين كانت كتابًا ترجم في عهده[٦]. بل واعتبر الكتاني رحمه الله تعالى هذه المكتبة أول دار للكتب في العالم العربي[٧].

---

(١) المصدر السابق نفسه،ج٤، ص ١٦٥.

(٢) الجواهري: المرجع السابق، ص ١٣٣.

(٣) شاهين، حمدي: الدولة الأموية المفترى عليها دراسة الشبهات ورد المفتريات، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ٤٥٩ .

(٤) الكتاني: تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب، ص ٣٠ .

(٥) شاهين: المرجع السابق، ص ٤٥٤ .

(٦) النملة: المرجع السابق، ص ٥٤٦ .

(٧) الكتاني: تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب، ص ٣٠ .

ويذكر ابن جُلْجُل وابن أبي أصيبعة أن ماسرجويه البصري طبيب مروان الأول ترجم كناشاً لأهرون من أساتذة مدرسة الاسكندرية. ثم وجده الخليفة عمر بن عبد العزيز. في خزائن كتب الأمويين وأمر بتكثير نسخته ليستعمله الأطباء في معالجاتهم[١] .

كذلك أنشأ خالد بن يزيد بن معاوية المكتبة العلمية الأولى والتي أقامها وألحقها بمركز النقل والتعريب الذي كان يشرف عليه ويقيم فيه التجارب العلمية. وقد احتوت هذه المكتبة على مجموعة من الكتب القيمة، وبخاصة كتب علم الفلك لأنه كان ولوعا بها. بإضافة الكتب التي أمر بترجمتها من اليونانية إلى العربية[٢]. من مثل كتب الطب والكيمياء والنجوم، وقد دعا عدداً من علماء مدرسة الإسكندرية إلى دمشق وأمرهم بترجمة الكتب بمقابل أجرة. وكبرت مكتبة خالد بن يزيد الذي يعده كثير من الباحثين أول من حملت له الكتب وجعلها في خزانة[٣]، كما أن له جهد في ترجمة بعض كتب الكيمياء بمعاونة مَريانس الراهب[٤]. ويذكر من كتب خالد بن يزيد كتاب الحرارات، وكتاب الصحيفة[٥].

وكانت الدفاتر المدونة عن علم الزهري كثيرة جدا في خزانة الوليد بن عبد الملك. بل إنه يروى أن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز كان له جهد في بحث العقائد الإسلامية فألف رسالة في الرد على القدرية[٦].

٢ـ المكتبات الخاصة

هذا النوع من الخزائن يتعذر حصره وذلك لأن بيت أي عالم أو باحث لا يخلو من خزانة كتب كبيرة كانت أو صغيرة والإحاطة بالخزائن الخاصة متعذر لأسباب مختلفة أهمها:

١- فقدان جملة كبيرة من المراجع القديمة الباحثة في التراجم والأخبار.

---

(١) ششن: المرجع السابق، ص ٣٤ .

(٢) الجواهري: المرجع السابق، ص ١٣٣.

(٣) الكتاني: تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب، ص ٣٠ .

(٤) ششن: المرجع السابق، ص ٣٤ .

(٥) النملة: المرجع السابق، ص ٥٤٧ .

(٦) شاهين: المرجع السابق، ص٤٥٤- ٤٥٢ .

٢- ضياع تلك الخزائن على مر الزمن بسبب: وصول الكتب إلى قوم لا يحفلون بها فتتبعثر وتبدد، وحوادث الحرق والغرق والتمزيق، وفعل الأرضة بالكتب وغيرها من الهوام، والفتن والاضطرابات المختلفة وما يتبعها من سلب ونهب[١].

ومن أبرز تلك الخزائن:

أ- خزانة ابن شهاب الزهري

وقد ورد في سيرة الزهري ت (١٢٤هـ/ ٧٤٢م) أنه كان إذا جلس في بيته وضع كتبه حوله مستغنيا بها عن كل أحد، فتقول له زوجته: والله لهذه الكتب أشد علي من ثلاث ضرائر[٢].

ب- خزانة مالك بن أنس

وللقاض عياض في ترجمة مالك أنه قال: كانت عندي صناديق من كتب ذهبت، لو بقيت لكانت أحب إلي من أهلي ومالي[٣]. وقال: أخذت من ابن شهاب تسعة قناديق[٤] في بطونها وظهورها، إن منها أشياء ما حدثت بها منذ أخذتها بالمدينة. وعن بعض أصحاب مالك قال: لما دفنا مالكا دخلنا منزله فأخرجنا كتبه فإذا هي سبع قناديق من حديث ابن شهاب، ظهورها وبطونها ملأى وعنده قناديق أو صناديق من حديث أهل المدينة[٥].

ج- خزانة أبي عمرو بن العلاء

وهو زبان بن العلاء بن عمار المازني البصري، إمام أهل البصرة في النحو واللغة وأحد القراء السبعة. مات بالكوفة سنة (١٥٤هـ/ ٧٧٠م). أما خزانة كتبه فقد روي عنه أنه: أعلم الناس بالقراءات والعربية وأيام العرب والشعر وكانت دفاتره تملء بيته إلى السقف.

---

(١)عواد، كوركيس: المرجع السابق، ص ١٨٩ .

(٢) الطباع: المرجع السابق، ص ٣٥٥ .

(٣) الكتاني: تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب، ص ٣٠ .

(٤) القندق والقُنْداق صحيفة الحساب، انظر ابن منظور: لسان العرب، مج١٠، ص ٣٢٤ .

(٥) الكتاني: تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب، ص ٣١ .

د- خزانة سفيان الثوري

ورد عنها بأنه أوصى إلى عمار بن سيف في كتبه، وقد صرح كثير من المؤرخين أن للثوري جملة كتب ألفها في التفسير والحديث والفقه والاختلاف والزهد[1].

هـ- خزانة أبو زرعة المصري

وفيما يرويه أبو حاتم الرازي بسنده قال: حضر عند أبي زرعة محمد بن مسلم والفضل بن العباس المعروف (بفضلك والصائغ) فجرى بينهم مذاكرة فذكر محمد بن مسلم حديثا فأنكر فضلك الصائغ، فقال: يا أبا عبد اللَّه ليس هكذا هو، فقال كيف هو ؟ فذكر رواية أخرى، فقال محمد بن مسلم لأبي زرعة: بل الصحيح ما قلتُ والخطأ ما قلتَ، قال فضل: فأبو زرعة الحاكم بيننا، فقال محمد بن مسلم لأبي زرعة: أيش تقول؟ فسكت أبو زرعة ولم يجب، فقال محمد بن مسلم: مالك سكت تكلم. فجعل أبو زرعة يتغافل، فألح عليه محمد بن مسلم، وقال: لا أعرف لسكوتك معنى إن كنت أنا المخطئ فأخبر، وإن كان هو المخطئ فأخبر، فقال: هاتوا أبا القاسم ابن أخي فدعي به، فقال: اذهب ادخل بيت الكتب فدع القمطر الأول والقمطر الثاني والقمطر الثالث وعد ستة عشر جزءا وائتني بالجزء السابع عشر فذهب فجاء بالدفتر فدفعه إليه، فأخذ أبو زرعة فتصفح الأوراق وأخرج الحديث فدفعه إلى محمد بن مسلم، فقرأه محمد بن مسلم فقال: نعم غلطنا[2].

ومنها مكتبات خاصة أخرى لم يصل لنا منها إلا الطرف اليسير فمنها ما يؤثر عن بعض المهتمين بالكتب والمكتبات وحرصه على اقتناء الكتب والمساومة مع من لا يعي إلا المظهر دون المحتوى، نجد قول بعضهم: أقمت مرة بقرطبة ولازمت سوق كتبها مدة أترقب فيها وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء، إلى أن وقع وهو بخط جيد وتسفير مليح، ففرحت به أشد الفرح، فجعلت أزيد في ثمنه، فيرجع إلي المنادي بالزيادة علي، إلى أن بلغ فوق حده، فقلت له: يا هذا أرني من يزيد في هذا الكتاب حتى بلغه إلى ما لا يساوي. قال: فأراني شخصا عليه لباس رياسة، فدنوت منه وقلت له: أعز الله سيدنا الفقيه، إن كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك، فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حده. قال: فقال لي: لست بفقيه ولا أدري ما فيه! ولكني أقمت خزانة كتب واحتفلت فيها لأتجمل بها بين أعيان البلد، وبقي فيها موضع يسع هذا الكتاب!! فلما رأيته حسن

---

(١)عواد، كوركيس: المرجع السابق، ص ١٩١ .

(٢) العكرش، عبد الرحمن بن حمد: من الخزانة إلى المكتبة مقاربة لتأصيل المصطلح، مجلة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ع٣٥، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ٤٩١ .

الخط جيد التجليد استحسنته ولم أبال بما أزيد فيه، والحمد لله على ما أنعم به من الرزق فهو كثير. قال الحضرمي: فأحرجني وحملني على أن قلت له: نعم لا يكون الرزق كثيرا إلا عند مثلك! يعطي الجوز من لا عنده أسنان، وأنا الذي أعلم ما في هذا الكتاب وأطلب الانتفاع به، يكون الرزق عندي قليلا وتحول قلة ما بيدي بيني وبينه[١].

٣- المكتبات العامة ومكتبة المساجد

ومن المكتبات العامة أو إن صح التعبير النوادي الثقافية ما قام به عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجمحي من اتخاذ بيت جعل فيه شطرنجات ونردات وقرقات[٢] ودفاتر فيها من كل علم، وجعل في الجدار أوتادا، فمن جاء علق ثيابه على وتد منها ثم جر دفترا فقرأه أو بعض ما يلعب به فلعب به مع بعضهم[٣].

والإشارة إلى اتخاذ بيت ووضع كتب فيه، إلى جانب بعض وسائل التسلية يوحي بأن القصد كان إفادة الناس عامة وإتاحة الفرصة لهم للاطلاع داخل البيت[٤].

أ- مكتبة المسجد الأقصى

لقد بنى المسلمون عبر تاريخ القدس الطويل حوالي أربعة وثلاثين مسجداً، كان ملحقاً بكل واحد منها خزانة كتب من أهمها على الإطلاق خزانة المسجد الأقصى التي كانت تشتمل على أمهات الكتب في الحديث، والتفسير، والفقه، والتاريخ، والحساب، والميقات، والمنطق، فضلاً عن علوم العربية، إلى جانب مؤلفات المدرسين الذين عملوا في المسجد الأقصى على مدى العصور.

لقد كان المسجد الأقصى من أهم المعاهد العلمية في الحضارة الإسلامية، وعماد الحركة الفكرية في بلاد الشام. فقد كان ملتقى للعلماء وطلبة العلم من مختلف أرجاء الدولة الإسلامية، مما جعل مكتبة الأقصى تحتل مكانة خاصة في العالم الإسلامي[١].

---

(١) التلمساني، أحمد بن المقري ت(١٠٤١هـ/ ١٦٣٢م) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ج١، ص ٤٦٣ .

(٢) القِرْقُ لعبة للصبيان يخطُّون في الأرض خطّاً ويأخذون حصيات فيَصُفُّونها. وانظر ابن منظور: لسان العرب، ج١٠، ص ٣٢١ .

(٣) التميمي، كاظم نعمة: صفحات مشرقة من الحضارة العربية في نصوص تراثية، دار الجاحظ، بغداد، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ٧٣ .

(٤) ساعاتي، يحيى محمود : الوقف وبنية المكتبة العربية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط٢، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص ٣١ .

ولعل من أوائل الإشارات الموجودة عن خزانة المسجد الأقصى تعود إلى القرن الثالث عندما أشار ابن الفقيه ت (٢٩٠ هـ/ ٩٠٢م) في كتابه البلدان أنه كان في المسجد الأقصى على عهده ستة عشر تابوتا من المصاحف المسبلة[٢].

وبالنسبة لتسبيل المصاحف ووقفها نجد أقدم الإشارات الخاصة بوقف المصاحف ما ذكر من أن عبد العزيز بن مروان غضب من إرسال الحجاج بن يوسف الثقفي بمصحف إلى مصر، فأمر بكتابة مصحف جعله في منزله، كان يؤخذ غداة كل يوم جمعة من المنزل إلى جامع عمرو بن العاص فيقرأ فيه ثم يرد إلى موضعه. فلما توفي عبد العزيز اشتراه ابنه أبو بكر بألف دينار، ثم اشترته أسماء بنت أبي بكر بعد وفاة والدها بسبعمائة دينار فأمكنت الناس منه وشهرته فنسب إليها وعرف بمصحف أسماء، وبعد وفاتها اقترح القاضي توبة بن نمر الحضرمي في عام (١١٨هـ/ ٧٣٦م) بأن يجعل المصحف في الجامع، ويمكن اعتبار ذلك العام بداية تاريخ وقفه في الجامع بشكل دائم.

وشكلت المصاحف نواة المكتبات الكبيرة التي تأسست في الجوامع والمساجد فيما بعد عندما ازدهرت الحركة العلمية وكثرة المؤلفات في معارف متنوعة في شتى الأمصار الإسلامية.

ب- الجامع الأموي في دمشق

وقد كان لوقوع هذا الجامع في مدينة دمشق التي تعتبر مركزا ثقافيا وعلميا مهما خلال فترات طويلة من تاريخ الإسلام، الأمر الذي أدى إلى أن تتكون فيه مكتبة كبيرة جاءت حصيلة أوقاف العلماء والحكام والأثرياء[٣].

وفي الجامع خزانة قبة صحن الجامع الأموي، وكانت مملوءة برقوق نفيسة وفتحت سنة (١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م) بأمر من السلطان عبد الحميد الثاني، فعثروا فيها على قطع من الرقوق كتبت فيها سور من القرآن الكريم بالخط الكوفي، ومنها قطع مهمة من مصاحف وربعات وقطع من الأشعار المقدسة بالآرامية الفلسطينية وكتابات دينية وأدبيات دينية، وقصص رهبانية ومزامير عربية مكتوبة بالحرف اليوناني، وأوراق بالقبطية والكرجية والأرمنية في موضوعات دينية وجذاذات عبرانية وسامرية فيها نسخ من التوراة وتقاويم أعياد السامريين ...[٤]، وغيرها مما أوقفه

---

(١) البلوي، سلامة محمد : مكتبات بيت المقدس من الفتح الأيوبي إلى الاغتصاب الصهيوني، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، ط١، عد ٣٢، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م، ص ٦٣ .

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ٦٣ .

(٣) ساعاتي: المرجع السابق، ص٦٤- ٧٠ .

(٤) الطباع : المرجع السابق، ص ٣٦٣ .

العلماء على مكتبة الجامع الأموي وتدل هذه المخطوطات على قدم الخزانة والتي تمتد إلى فترات العصر الأموي.

٤- مكتبات المستشفيات

كما اهتم الخلفاء والحكام بإنشاء مكتبات ألحقت بالمستشفيات كما فعل الخليفة الوليد بن عبد الملك عام (٨٨هـ/ ٧٠٦م)[١]، وزودوها بالكتب وبخاصة الكتب الطبية والعلمية لفائدة الطلاب وكانت هذه المكتبات أيضا أماكن للمناظرة والمناقشة وإعطاء الدروس العلمية، والتعرف على آخر ما وصل إليه العلم من تقدم[٢].

---

(١) السيد، أماني محمد : مكتبات المستشفيات، إيبيس للنشر، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص ٧ .

(٢) الجواهري : المرجع السابق، ص ١٣٨ .

الفهرسة والتصنيف

اهتم العرب بالمكتبات العامة والخاصة واهتموا بتنظيمها وفهرستها من قبل مشرفي المكتبات ومسؤوليها، وتشير الوثائق إلى أن كاليماخوس – المشرف على مكتبة الإسكندرية – عمل فهارس لها وصنف علومها تحت اسم المؤلف ومكان ميلاده واسم والده وأساتذته وتعليمه ولقبه وترجمة حياته[١].

وعلم التصنيف قديم بقدم المكتبات وذلك أن علم التصنيف عند كاليماخوس في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد كان معروفا وقد كانت مكتبة الاسكندرية مرتبة حسب الطريقة التالية[٢]:

١- الملاحم وغيرها من الشعر غير الدرامي ٢- الدراما

٣- القوانين ٤- الفلسفة ٥- التاريخ

٦- علوم الخطابة ٧- الطب ٨- العلوم الرياضية

٩-العلوم الطبيعية ١٠- متنوعات

موظفوا المكتبة

النساخون: يقوم هؤلاء بمهمة النسخ والتدوين ونسخ الكتب والمخطوطات الواردة للمكتبة.

المجلدون: يهتمون بجوانب الكتاب والعناية به، وهي تجليده وزخرفته وتذهيبه وتطريزه أو تزويقه.

المناولون: احضار الكتاب من مكانه للقارئ وإرجاعه، أو إرشاد القارئ إلى مكان الكتاب على الرف، وبطبيعة الحال يكون عملهم هوالحفاظ على الكتب في أماكنها ومسؤوليتهم في ترتيبها وعدم ضياعها[٣].

ماليتها: كان الاهتمام كبيرا بأمور المكتبات المالية وصرفياتها، إما تأتي من الخلفاء أنفسهم، أو من مالية الدولة، أو الشخصيات العامة[١].

---

(١) المرجع السابق نفسه، ص ٩٣ .

(٢) المرجع السابق نفسه، ص ٣٨ .

(٣)الجواهري : المرجع السابق، ص ١١٥ .

إعارة الكتب

عنون ابن جماعة في كتابه تذكرة السامع والمتكلم بابا خاصا في الكتب وإعارتها سماه: في الأدب مع الكتب التي هي آلة العلم وما يتعلق بتصحيحها وضبطها وحملها ووضعها وشرائها وعاريتها ونسخها وغير ذلك وفيه أحد عشر عنوانا[٢]. ومن العنوان يتضح أن الإعارة كانت موجودة ومتعارف عليها وليست وليدة عصر دون عصر.

وكان بعض أهل العلم إذا أتاه رجل يستفيد منه علما أو يستعير منه كتابا امتحنه فان وجده أهلا له أعاره وإلا منعه. وكان إذا أراد أن يعيره وعده ورده فان عاد إليه ولم يضجر أعاره. وقال غيره: لا تعر كتابا إلا بعد يقين بأن المستعير ذو علم ودين. وكان بعضهم إذا سأله إنسان أن يعيره كتابا قال أرني كتبك فان وجدها مصونة مكنونة أعاره، وان رآها مغبرة متغيرة منعه.

وكان بعض أهل العلم يكتب على ظهور كتبه التي يعيرها: يا رب من حفظ كتابي فاحفظه ومن أضاعه فلا تحفظه. وكتب آخر: ليس من أهل العلم من أضاع كتاب علم
وكتب آخر: الكتاب أمانة وهو حقيق بالصيانة. وكتب آخر: أكرم الله من إكرمك وردك كما تسلمك. وكتب آخر كتابي أعز شيء علي وإحسانك إليه إحسانك إلي[٣].

فالإعارة لها ضوابط وأحكام لحفظ حق المعير في كتبه ولسلامة المستعير من الملامة والحرج، في تضييع ما ليس له، فنظم المكتبات العامة والخاصة ومكتبات الجوامع كان قائما منذ العصر الأموي، وساهم مساهمة فعالة في دفع عجلة الحضارة بما قدمته من خدمات جليلة في التأليف والترجمة، وما قدمته من تسهيلات للعامة في مجال العلم والمعرفة.

ومن الجدير بالذكر أن الحضارة الإسلامية إيمانا منها بحقوق غير المسلمين بالعيش بحرية وممارسة ثقافتهم دون مضايقة، تركت مكتبات البلدان المفتوحة على حالها فكانت منارات

---

(١) المرجع السابق نفسه، ص ١١٦.

(٢) ابن جماعة، محمد بن إبراهيم ت (٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م) : تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، مكتبة ابن عباس، سمنود، مصر، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، ص ٢٤١ .

(٣) الخطيب البغدادي: تقييد العلم ،المصدر السابق نفسه، ص١٨٩- ١٩٢ .

للعلم والثقافة لأهلها لا بل استفاد منها المسلمون في التعرف على ثقافات الأمم القديمة ومن أشهر هذه المكتبات:

١ – مكتبة الإسكندرية وهي مؤسسة قديمة جدًا، أنشئت في القرن الثالث قبل الميلاد، أحرقت للمرة الأولى سنة ٤٧ قبل الميلاد . وأحرقت مرة أخرى في القرن الرابع بعد الميلاد وأحرقها المقوقس في القرن السادس الميلادي / الأول الهجري قريبًا من دخول المسلمين مصر، وزعها على حمامات الإسكندرية وقودًا لنيرانها[١].

٢ – مدرسة أنطاكية: نشأت في القرن الأول الميلادي. واهتمت بالنحو واشتهرت على عهد عمر بن عبد العزيز عندما نقلت إليها أجزاء من مكتبة الإسكندرية.

٣ – معهد بلخ[٢]: اهتم بتصدير الثقافة الفارسية والهندية إلى العرب.

٤ – مدرسة جنديسابور: أنشئت في القرن السادس الميلادي ٥٥٥م للطب والفلسفة، وكان جل علمائها من النصارى النساطرة واللغة سريانية . وبها آثار الهند وفارس واليونان امتدت واستفاد منها بنو العباس وخاصة أسرة آل بختيشوع[٣].

٥ – مدرسة حران[٤]: واشتهرت بالفلك والرياضيات والفلسفة . ومعظم أعضائها من الصابئة والوثنيين . انتقلت إليها العلوم عن طريق الإسكندرية ثم أنطاكية واهتمت بالترجمة إلى العربية.

---

(١) النملة : المرجع السابق، ص ٥٣٩

(٢) بلخ مدينة مشهورة بخراسان، من أجل مدنها وأذكرها وأكثرها خيرا وأوسعها غلة تحمل غلتها إلى جميع خراسان وإلى خوارزم، فافتتحها الأحنف بن قيس من قبل عبد الله بن عامر بن كريز في أيام عثمان بن عفان، انظر الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص ٤٨٠ .

(٣) النملة : المرجع السابق، ص ٥٤٠ .

(٤) مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور وهي قصبة ديار مضر بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان وهي على طريق الموصل والشام والروم، وكانت منازل الصابئة، انظر الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص ٢٣٥ .

٦ – مدرسة الحيرة: آرامية نسطورية . اشتهرت بالطب واللغة والفلسفة . وتعد حلقة من حلقات الاتصال بين الثقافة الهيلينية والثقافة الإسلامية . كما كانت مركزًا للترجمة عن الفارسية قبل الإسلام وبعده.

٧ – مدرسة قِنَّسْرين[١]: عش النسور تابعة لدير قِنَّسْرين . أنشئت في القرن السادس الميلادي على الفرات . درست اللاهوت والفلسفة والعلوم الرياضية . ونقلت آثار أرسطو عن اليونانية [٢].

(١) فتحت قنسرين على يد أبي عبيدة بن الجراح في سنة ١٧هـ/ ٦٣٨م، وقال أبو المنذر: سميت قنسرين لأن ميسرة بن مسروق العبسي مر عليها فلما نظر إليها قال: ما هذه فسميت له بالرومية فقال: والله لكأنها قن نسر فسميت قنسرين، وهي قريبة من حلب والبعض يدخل قنسرين في العواصم، انظر الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص ٤٠٣.

(٢) النملة : المرجع السابق، ص ٥٤١ .

المبحث الثالث: الرحلة في طلب العلم

الرحلة في طلب العلم دأب الصالحين، بل ومن الأنبياء من ارتحل طلبا للعلم كما قص علينا رب العزة والجلال في سورة الكهف عن نبأ موسى (عليه الصلاة والسلام) وفتاه عندما لقيهم الخضر، وتنبيه الخضر لموسى (عليه الصلاة والسلام) بأن عنده علم مما علمه الله تعالى لا يعلمه، وأن عليه الصبر حتى يؤول له ما سيلقاه، قال تعالى: ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾[١]

قال الحافظ ابن رجب: فلو استغنى أحد عن الرحلة في طلب العلم لاستغنى عنه موسى حيث كان أعطاه الله التوراة التي كتب له فيها عن كل شيء، ومع هذا فلما أخبره عن الخضر أن عنده علما يختص به سأل السبيل إلى لقائه ثم سار هو وفتاه إليه[٢].

وقال الشافعي: من قرأ القرآن عظمت قيمته، ومن تفقه نبل قدره، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن تعلم اللغة رق طبعه، ومن تعلم الحساب جزل رأيه، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه[٣].

وكان الشافعي ينشد:

إذا رأيتَ شبابَ الحيِّ قدْ نَشَئوا ... لا يحملونَ قلالَ الحبرِ والورقا

ولا تراهمْ لدى الأشياخِ في حلقٍ ... يعونَ من صالحِ الأخبارِ ما اتَّسَقا

فعد عنهمْ ودعهم إنهمْ همجٌ ... قدْ بدَّلوا بعلوِّ الهمَّةِ الحمقا

---

(١) الكهف : الآية ٦٦- ٧٠ .

(٢) العثمان، حمد بن إبراهيم: النبذ في آداب طلب العلم، مكتبة ابن القيم، الكويت، ط٤، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص ٣٠ .

(٣) المقدسي، محمد بن مفلح ت(٧٦٣هـ/ ١٣٦٢م): الآداب الشرعية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ج١، ص ٢٣١ .

وقال سفيان: سماع الحديث عز لمن أراد به الدنيا، ورشاد لمن أراد به الآخرة. وعن ابن المبارك قال: من طاب أصله حسن محضره، وبعض الناس يحتج لتركه بكبر السن، أو عدم الذكاء، أو القلة والفقر، أو غير ذلك، ومن ذلك وسواس الشيطان يثبطون بها. ومن نظر في حال السلف وجماعة من علماء الخلف وجدهم لا يلتفتون إلى هذه الأعذار، ولا يعرجون عليها، وقد قيل[١]:

ومنْ يجْتَهدْ في نيْلِ أمرٍ ويصْطَبِرْ   يَنَلْهُ وإلا بَعْضَهُ إنْ تَعَسَّرا
فما دُمْتَ حَيًا فاطلُبِ العِلْمَ والعُلى   ولا تَأْلُ جُهْدًا أنْ تَموتَ فَتُعْذَرا

وأنشد بعضهم[٢]:

أَخي لنْ تنالَ العلمَ إلاَّ بِستَّةٍ   سأنبيكَ عنْ مَكْنونِها بِبَيانِ
ذكاءٌ وحِرْصٌ واجْتِهادٌ وبُلْغةٌ   وإِرْشادُ أُسْتاذٍ وطولُ زَمانِ

ونجد كذلك سلمان الفارسي الذي ارتحل من دياره طلبا للهداية و الدين والعلم الصحيح ووفقه رب العزة والجلال إلى الدين الحق واتبع سبيل المهتدين وعاد لبلاده أميرا بعد أن خرج منها فقيرا[٣].

ولقد حض (عليه الصلاة والسلام) في كثير من الأحاديث على طلب العلم وبين الفضل الجزيل لمن سلك طريقا يلتمس فيه العلم، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (من سلك طريقا فيه يتلمس علما سهل الله له طريقا إلى الجنة)[٤].

كما وأوصى الصحابة الكرام باللطف واللين وإكرام من سيأتي من أقطار الأرض يلتمس التفقه في الدين، فعن أبي هارون العبدي قال: كنا نأتي أبا سعيد فيقول: مرحبا بوصية رسول الله ﷺ، إن رسول الله ﷺ قال: (إن الناس لكم تبع، وإن رجالا يأتونكم من أقطار الأرضين

(١) المقدسي: المصدر السابق، ج١، ص٢٣٤- ٢٣٥ .
(٢) المصدر السابق نفسه، ج١، ص ٢٣٦ .
(٣) ابن حنبل: المصدر السابق، ج٣٩، ص ١٤٠، ر ٢٣٧٣٧.
(٤) الحاكم : المصدر السابق، كتاب العلم، ج١، ص ١٨٩، ر ٣٠٣ .

يتفقهون في الدين فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا)[1]. وفي رواية أخرى بزيادة (وعلموهم مما علمكم الله)[2]، وفي غيرها (ثم قولوا: مرحبا مرحبا ادنوا)[3].

وفي حديث آخر من رواية أبي سعيد الخدري أنه كان إذا أتاه هؤلاء الأحداث قال: مرحبا بوصية رسول الله ﷺ، أمرنا رسول الله ﷺ أن نوسع لهم في المجلس، ونفقههم الحديث فإنكم خُلوفنا والمحدثون بعدنا، وكان مما يقول للحدث: إذا أنت لم تفهم الشيء استفهمنيه، فإنك أن تقوم وقد فهمته أحب إلي من أن تقوم ولم تفهمه[4]. وقال رسول الله ﷺ: (تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم)[5]. فالرسول ﷺ قد هيأ الصحابة على استقبال الوفود ممن يطلبون العلم وأمرهم بحسن استقبالهم ورعايتهم.

وقال (عليه الصلاة والسلام): (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)[6]. وقال (عليه الصلاة والسلام): (يوشك أن يضرب الناس أكبادا الإبل يطلبون العلم، فلا يجدون أحدا أعلم من عالم المدينة)[7].

وعلى تقلب الأحوال وتداول الأيام بالمسلمين إلا أنها جعلت من طلبة العلم أشد حرصا على التأسي بسنة الرسول ﷺ والحذر من مغبة الزيغ والضلال، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[8]

---

(١) الترمذي: المصدر السابق ، ص ٤٢٩، ر ٢٦٥٠.
(٢) البرهان فوري: المصدر السابق، ج١٠، ص ٣٠٦، ر ٢٩٥٣٤.
(٣) المصدر السابق، ج١٠، ص ٣٠٦، ر ٢٩٥٣٥.
(٤) المصدر السابق نفسه، ج١٠، ص ٣٠٦، ر ٢٩٥٣٣.
(٥) ابن حنبل: المصدر السابق، ج ٥، ص ١٠٤، ر ٢٩٤٥.
(٦) البرهان فوري: المصدر السابق، ج١٠، ص ١٧٦، ر ٢٨٩١٨.
(٧) المصدر السابق نفسه، ج١٢، ص ٨٤، ر ٣٤٠٩٩.
(٨) التوبة: الآية ١٢٢.

وقال عبد الله بن مسعود: إن الرجل لا يُولد عالماً، وإنما العِلم بالتعلم[1]. وعدَّ يحي بن معين الرجل الذي لا يرحل في طلب الحديث ممن لا يؤنس منهم رشدا[2].

وفي الارتحال أَخْذُ العلم بالمشافهة من ذوي الشأن، المشهود لهم بالفضل والصيت الحسن، فقد قال ابن عون: لا تأخذوا العلم إلا ممن شهد له بالطلب. ولا يؤخذ العلم من صُحُفي. وفي الأخذ من أفواه العلماء فوائد أعظم من الأخذ من مجرد الصُحُف منها[3]:

١- اختصار الوقت: فإن العالم يشافهك بعلمه وما أخذه عن شيوخه وما قرأه هو بنفسه، وهذا المقدار لو رمت طلبه بمجرد القراءة من الصحف لاستغرق من الوقت أضعاف ما تأخذه بالمشافهة.

٢- المشافهة أثبت في رسوخ العلم في ذهن المتعلم واستحضاره.

٣- المشافهة أبعد عن فاتات الأخطاء، فالخطأ لا يسلم منه أحد، لكن من لم يأخذ العلم إلا من الصحف لم يسلم من فلتات نادرة إلا من عصم الله.

٤- المشافهة للعلماء أقدر على المباحثة والمجادلة من الصحفي.

٥- خصوصية الفهم: فالقارئ من الصحف قد يعسر عليه فهم بعض ما في الصحف، وفي المشافهة يزول مثل هذا بسؤال المشافهة لمعلمه.

قال الشاطبي في فوائد الأخذ بالمشافهة: خاصية جعلها الله تعالى بين المعلم والمتعلم، يشهدها كل من زاول العلم والعلماء؛ فكم من مسألة يقرؤها المتعلم في كتاب، ويحفظها ويرددها على قلبه فلا يفهمها، فإذا ألقاها إليه المعلم فهمها بغتة، وحصل له العلم بها بالحضرة، وهذا الفهم يحصل إما بأمر عادي من قرائن أحوال، وإيضاح موضع إشكال لم يخطر للمتعلم ببال، وقد يحصل بأمر غير معتاد، ولكن بأمر يهبه الله للمتعلم عند مثوله بين يدي المعلم، ظاهر الفقر بادي الحاجة إلى ما يلقى إليه. وقال أيضا في فوائد مجالسة العلماء: إذ يُفتح للمتعلم بين أيديهم ما لا يفتح له دونهم، ويبقى ذلك النور لهم بمقدار ما بقوا في متابعة معلمهم، وتأدبهم معه، واقتدائهم به؛ فهذا الطريق نافع على كل تقدير[4].

---

(١) ابن عبد ربه : المصدر السابق، ج٢، ص ٨٠ .

(٢) الخطيب البغدادي: الرحلة في طلب الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ص ٨٩ .

(٣) العثمان: المرجع السابق، ص ١٨ .

(٤) العثمان: المرجع السابق، ص ١٩ .

٦- وفي المشافهة يتعلم المتعلم من سمت وأدب العلماء، ويبين له اضطلاع العلماء بالعلم، وأما من أخذ العلم بالصحف ولم يشافه العلماء ولم يجالس الأكفاء ترى فيه من الجرأة على العلماء وتتبع الشواذ ما ليس بمحمود[١].

كذلك التماس العلم عند الأكابر فيه خير كثير قال عبد الله بن مسعود: لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من أصحاب محمد ﷺ وأكابرهم، فإذا أتاهم العلم من قبل أصاغرهم فذلك حين هلكوا. لأن الشيخ قد زالت عنه متعة الشباب وحدته وعجلته وسفهه، واستصحب التجربة والخبرة، فلا يدخل عليه في علمه الشبهة، ولا يغلب عليه الهوى، ولا يميل به الطمع، ولا يستزله الشيطان استزلال الحدث، ومع السن الوقار والجلالة والهيبة[٢]. والحدث قد تختلط عليه الأمور فإن أفتى دونما علم هلك وأهلك.

ولنا في طلب العلم أسوة حسنة من الصحابة الكرام فهذا عبد الله بن عباس يحدث عن نفسه وطلبه العلم فيقول: لما قبض رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم اليوم كثير، فقال: واعجبًا لك يا ابن عباس! أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ من فيهم؟ قال: فتركت ذلك، فأقبلت أسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن الحديث، فإن كان ليبلغني عن الرجل فنأتيه وهو قائل، فأتوسد ردائي على بابه تسفي الريح علي من التراب، فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله ﷺ ما جاء بك؟ ألا أرسلت إليَّ فآتيك؟! فأقول: لا، أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن الحديث، فعاش ذلك الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألوني، فقال: هذا الفتى كان أعقل مني[٣]. وقال ابن عباس: ذَلَلتُ طالباً فعَزَزْتُ مطلوباً[٤].

وكذلك فعل عدد من الصحابة الكرام وارتحالهم إلى بقاع الأرض للسؤال أو التأكد من أحاديث رويت عن النبي ﷺ، فقد خرج أبو أيوب ﷺ إلى عقبة بن عامر ﷺ – وهو بمصر –

---

(١) المرجع السابق نفسه، ص ٢٠ .

(٢) العثمان: المرجع السابق، ص ٢٥ .

(٣) البوصيري، أحمد بن أبي بكر ت(٨٤٠هـ/ ١٤٣٧م): إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ج١، ص ٢١٢ .

(٤) ابن عبد ربه : المصدر السابق، ج٢، ص ٨٠ .

يسأله عن حديث سمعه من رسول الله ﷺ، لم يبق أحد سمعه من رسول الله ﷺ غيره وغير عقبة، فلما قدم أتى منزل مسلمة بن مخلد الأنصاري، وهو أمير مصر، فأخبر به فعجل إليه فعانقه ثم قال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فقال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ لم يبق أحد سمعه من رسول الله ﷺ غيري وغير عقبة، فابعث إلى من يدلني على منزله، قال: فبعث معه، من يدله على منزل عقبة، فأخبر عقبة به فعجل، فخرج إليه فعانقه، وقال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فقال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ، لم يبق أحد سمعه غيري وغيرك في ستر المؤمن، قال عقبة: نعم، سمعت رسول الله ﷺ، يقول: (من ستر مؤمنا في الدنيا على خزية، ستره الله يوم القيامة) فقال له أبو أيوب: صدقت، ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته، فركبها راجعا إلى المدينة، فما أدركته جائزة مسلمة بن مخلد إلا بعريش مصر [١].

وقول عبد الله بن مسعود ﷺ: والذي لا إله غيره، لقد قرأت من في رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة، ولو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تبلغني الإبل إليه لأتيته[٢].

ومنهم جابر بن عبد الله ﷺ إذ يقول: بلغني عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ حديث سمعه من رسول الله ﷺ لم أسمعه منه قال: فابتعت بعيرا فشددت عليه رحلي فسرت إليه شهرا حتى آتيت الشام فإذا هو عبد الله بن أنيس الأنصاري قال فأرسلت إليه: جابرا على الباب. قال: فرجع إلي الرسول فقال جابر بن عبد الله. فقلت: نعم. قال: فرجع الرسول إليه فخرج إلي فاعتنقني واعتنقته. قال: قلت حديث بلغني أنك سمعته من رسول الله ﷺ في المظالم لم أسمعه فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمعه[٣].

وعن جندب بن عبد الله البجلي ﷺ قال: أتيت المدينة ابتغاء العلم، وإذا الناس في مسجد رسول الله ﷺ حلق حلق يتحدثون، قال: فجعلت أمضي إلى الحلق حتى أتيت حلقة فيها رجل شاحب عليه ثوبين كأنما قدم من سفر، فسمعته يقول: هلك أصحاب العقد ورب الكعبة ولا آسى عليهم، قالها ثلاث مرات، قال: فجلست إليه فتحدث مما قضي له، ثم قام، فلما قام سألت عنه، قلت: من هذا ؟ قالوا: هذا أبي بن كعب سيد المسلمين، فتبعته حتى أتى منزله، فسلمت عليه، فرد علي السلام، ثم سألني ممن أنت ؟ قلت: من أهل العراق، قال: أكثر شيء سؤالا . قال: فلما قال ذلك غضبت فجثوت على ركبتي واستقبلت القبلة ورفعت يدي، فقلت: اللهم إنا نشكوهم إليك،

---

(١) البوصيري : المرجع السابق، ج١، ص ٢١٢ .

(٢) الخطيب البغدادي: الرحلة في طلب الحديث، ص ٩٤ .

(٣) المصدر السابق نفسه، ص ١١٠ .

إنا ننفق نفقاتنا، وننصب أبداننا، ونرحل مطايانا ابتغاء العلم، فإذا لقيناهم تجهمونا وقالوا لنا فبكى أبي، وجعل يترضاني[١].

أما من التابعين الذين ارتحلوا لطلب العلم فهم كثر، ونستعرض بعضا منهم وما لاقوه في سبيل تحصيل العلم. فهذا شعبة بن الحجاج بلغ به الحال من بذل المال في العلم أن باع طست أمه فقال: من طلب الحديث أفلس، بعت طست أمي بسبعة دنانير[٢].

وكان حبيب بن بسطام الوراق الأزدي البصري يتشوف إلى طلب العلم على المفضل الضبي، فغادر البصرة إلى الكوفة وهو يتخوف أن يصده المفضل لأنه بصري وأزدي[٣]. ولم يمنعه هذا التخوف من أن يرحل إليه ويستفيد من علمه. وقد قال ابن سلام في المفضل الضبي: وأعلم من ورد علينا من غير أهل البصرة المفضل بن محمد الضبي الكوفي – يعني العلم بالشعر –[٤]. وهو دليل على تنقل العلماء أيضا بين المناطق والأمصار لنشر العلم بين الناس.

وإن كان بعض الصحابة ارتحلوا من أجل حديث واحد فقد شابههم بعض التابعين فعن كثير بن قيس قال كنت جالسا مع أبي الدرداء في مسجد دمشق فأتاه رجل فقال: يا أبا الدرداء جئتك من المدينة مدينة الرسول ﷺ لحديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ قال: ولا جئت لحاجة قال: لا. قال: ولا لتجارة قال: لا. قال: ولا جئت إلا لهذا الحديث قال: لا[٥]. وبين له فضيلة طلب العلم وما جاء لأجله. ومنهم سعيد بن المسيب قال: إن كنت لأسير الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد[٦].

وقال عبيد الله بن عدي بن الخيار أحد بني نوفل بن عبد مناف بلغني حديث عن علي بن أبي طالب خفت إن مات ألا أجده عند غيره فرحلت حتى قدمت العراق فسألته عن الحديث فحدثني.

---

(١) البوصيري : المرجع السابق، ج١، ص ٢١٤ .

(٢) العثمان: المرجع السابق، ص ١٧٤ .

(٣) الضبي، المفضل بن محمد ت(١٦٨هـ/ ٧٨٥م): أمثال العرب، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١٠ .

(٤) الضبي: المصدر السابق، ص ١٠ .

(٥) الخطيب البغدادي: الرحلة في طلب الحديث، ص ٧٩ .

(٦) المصدر السابق نفسه، ص ١٢٨ .

وعن الشعبي قال لو أن رجلا سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن فحفظ كلمة تنفعه فيما يستقبله من عمره رأيت أن سفره لا يضيع. وهو تأكيد على ضرورة الرحلة في طلب العلم فيما فيه صلاح المرأ وتعلم ما ينفعه.

وعن ابن الديلمي – وكان بفلسطين – قال: بلغني حديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص فركبت إليه إلى الطائف أسأله عنه.

وعن سعيد بن جبير قال: اختلف أهل الكوفة في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾، فرحلت فيها إلى ابن عباس فسألته عنها. فقال: نزلت هذه الآية ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم في آخر ما نزل ما نسخها شيء.

وعن الحسن قال: رحلت إلى كعب بن عجرة من البصرة إلى الكوفة فقلت ما كان فداؤك حين أصابك الأذى قال شاة.وعن بسر بن عبيد الله الحضرمي قال إن كنت لأركب إلى مصر من الأمصار في الحديث الواحد لأسمعه. وعن هشيم قال: كنت أكون بأحد المصرين فيبلغني أن بالمصر الآخر حديثا فأرحل فيه حتى أسمعه وأرجع[١].

ومنهم من لم يكن يبتغي الرحيل لبلد إلا للقي الصحابة أو بعضا ممن له قدم السبق في العلم، فعن زر بن حبيش قال: وفدت في خلافة عثمان بن عفان وإنما حملني على الوفادة لقي أبي بن كعب وأصحاب رسول الله ﷺ. وعن أبي العالية قال: كنا نسمع بالرواية عن أصحاب رسول الله ﷺ بالمدينة بالبصرة فما نرضى حتى أتيناهم فسمعنا منهم .

وعن أبي العالية قال: كنت أرحل إلى الرجل مسيرة أيام لأسمع منه، فأول ما أفتقد منه صلاته فإن أجده يقيمها أقمت وسمعت منه، وإن أجده يضيعها رجعت ولم أسمع منه، وقلت هو لغير الصلاة أضيع. وهذا التَّخَيُّرُ في أخذ العلم من العالم من قبل أبي العالية، ورد كذلك عن أيوب السختياني ونُصْحِهِ لمعمر، قال معمر: قال لي أيوب: إن كنت راحلا إلى أحد فارحل إلى ابن طاوس وإلا فالزم تجارتك[٢].

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص١٣٠– ١٥٥ .

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ٩٢–٩٣ .

وعن أبي قلابة قال أقمت في المدينة ثلاثا ما لي بها حاجة إلا قدوم رجل بلغني عنه حديث فبلغني انه يقدم فأقمت حتى قدم فحدثني به[1].

ومن الرحلة للعلم ما هو تأكيد لمرويات الصحابة وتحديثهم للناس، فعن أبي عثمان النهدي قال بلغني عن أبي هريرة ﷺ حديث أنه قال: إن الله ليكتب لعبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة فحججت ذلك العام ولم أكن أريد الحج إلا للقائه في هذا الحديث فأتيت أبا هريرة فقلت: يا أبا هريرة بلغني عنك حديث فحججت العام ولم أكن أريد الحج إلا لألقاك. قال: فما هو؟ قلت: إن الله ليكتب لعبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة. فقال أبو هريرة: ليس هكذا قلت ولم يحفظ الذي حدثك. قال أبو عثمان: فظننت أن الحديث قد سقط. قال: إنما قلت: إن الله ليعطي عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألفي ألف حسنة ثم قال: أو ليس في كتاب الله تعالى ذلك قلت: كيف. قال لأن الله يقول: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾[2] والكثيرة عند الله أكثر من ألفي ألف وألفي ألف[3].

ومنهم من يطلب علو السند في تتبعه للحديث فعن زيد بن الحباب قال: ثنا سفيان الثوري عن أسامة بن زيد عن موسى بن علي اللخمي عن أبيه عن أبي قيس مولى عمرو عن عمرو أن النبي ﷺ قال: (فرق بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر). قال زيد بن الحباب: فلما ذهبت لأقوم من مجلس سفيان الثوري قال لي رجل: أنا خلفت أسامة حيا بالمدينة. فركبت راحلتي وأتيت المدينة. فلقيت أسامة فقلت: حديث حدثنيه سفيان الثوري عنك وساق السند والحديث فقال: نعم حدثني موسى بن علي وساق سنده. فلما ذهب زيد ليقوم من مجلس أسامة قال رجل: أنا خلفت موسى بن علي حيا بمصر. فركبت راحلتي وأتيت مصر فجلست ببابه فخرج إلي شيخ راكب على فرس. قال: ألك حاجة؟ قلت: نعم. حديث حدثنيه سفيان الثوري عن أسامة بن زيد عنك عن أبيك عن أبي قيس مولى عمرو عن عمرو أن النبي ﷺ قال: وذكر الحديث. فقال نعم حدثني أبي عن أبي قيس مولى عمرو عن عمرو أن النبي ﷺ قال: (فرق بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر)[4].

---

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١٤٤ .

(٢) البقرة: الآية ٢٤٥ .

(٣) الخطيب البغدادي: الرحلة في طلب الحديث، ص ١٣٣، وفي السند علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف انظر الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، المصدر السابق، ج٦، ص ١٨٦، ر ١٠٢١ .

(٤) الخطيب البغدادي: الرحلة في طلب الحديث، ص ١٥٧ .

وقيل للشعبي: من أين لك هذا العلم كله؟ قال: بنفي الاعتماد، والسير في البلاد، وصبر كصبر الجماد، وبكور كبكور الغراب. وعن أبي إسحاق السبيعي الأمام الحافظ أنه قال ما سمعت بأرض فيها علم إلا أتيتها[١].

كذلك كانت الرحلة من أجل التحري ونفي ما لم يثبت عن النبي ﷺ فعن نصر بن حماد، يقول: كنا قعودا على باب شعبة نتذاكر فقلت: حدثني إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الله بن عطاء عن عقبة بن عامر قال: كنا نتناوب رعية الإبل على عهد رسول الله ﷺ قال: فجئت ذات يوم النبي ﷺ وحوله أصحابه قال: فسمعته يقول: (من توضأ فأحسن الوضوء ثم صلى ركعتين واستغفر الله إلا غفر له) قال: بخ بخ قال: فجذبني رجل من خلفي، فالتفت فإذا عمر بن الخطاب فقال: الذي قال قبل أحسن قلت: وما قال؟ قال: من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قيل له: ادخل من أي أبواب الجنة شئت. قال: فخرج شعبة فلطمني ثم رجع فدخل، قال: فتنحيت من ناحية ثم خرج بعد فقال: ما له قعد يبكي؟ فقال له عبد الله بن إدريس: إنك قد أسأت إليه قال: انظر فإنه يحدث عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الله بن عطاء عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ. قال شعبة: أنا قلت لأبي إسحاق: من حدثك؟ قال: حدثني عبد الله بن عطاء عن عقبة بن عامر قلت: سمع عبد الله بن عطاء من عقبة بن عامر قال: فغضب، ومسعر بن كدام حاضر فقال: قد أغضبت الشيخ، فقلت: لتصححن هذا الحديث فقال مسعر: عبد الله بن عطاء بمكة قال شعبة: فرحلت إلى مكة فلقيت عبد الله بن عطاء فسألته فقال: سعد بن إبراهيم حدثني قال شعبة: ثم لقيت مالك بن أنس فقال: سعد بالمدينة لم يحج العام قال شعبة: فرحلت إلى المدينة فلقيت سعدا فسألته فقال: الحديث من عندكم، زياد بن مخراق حدثني قال شعبة: فلما ذكر زيادا قلت: أي شيء هو لهذا الحديث بينما هو كوفي إذ صار مكيا إذ صار مدنيا إذ صار بصريا؟ قال شعبة: فرحلت إلى البصرة فلقيت زياد بن مخراق، فسألته، فقال: ليس الحديث من شأنك قلت: حدثني قال: لا نريده قلت: حدثني به، فقال: حدثني شهر بن حوشب، عن أبي ريحانة، عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال شعبة: فلما ذكر شهرا قلت: دمي على هذا الحديث لو صح هذا عن رسول الله ﷺ كان أحب إلي من أهلي ومالي والناس أجمعين[٢].

ويتضح مما سبق أن طلبة العلم لم يقتصروا على علم بلدهم وعلمائهم بل تعدوه إلى علم الأمصار الأخرى، وتساوت عندهم البلاد في قربها وبعدها، ما دام ذلك في سبيل تحصيل منفعة

(١) المصدر السابق نفسه، ص١٩٦- ١٩٩ .

(٢) البيهقي، أحمد بن الحسين ت(٤٥٨هـ/ ١٠٩٢م) : القراءة خلف الإمام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م، ص ٢٠٧ .

علمية يكتب لهم فيها بالرشاد والهداية، وهذه الرحلات العديدة من قبل طلاب العلم ما كانت لتتم لولا دور الفئة الحاكمة والولاة في حفظ الأمن والطرق والقوافل ما بين الأمصار، بدليل قول عدي بن حاتم الطائي ﷺ ت (٦٨هـ/ ٦٨٧م): رأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله[١]. وقيام الخلفاء بالقضاء على الحركات التي تستبيح دماء المسلمين، وإعداد المرافق المعينة لاستقبال طلبة العلم، وتقديم المعونات اللازمة من قبل الولاة أو من عامة المسلمين.

---

(١) البخاري: المصدر السابق كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ج ٤، ص ٢١٢، ر ٣٥٩٥.

الخاتمة

من خلال بحث موضوع التعليم في العصر الأموي أمكننا التوصل إلى أن العرب في الجاهلية كان لهم نصيب من العلم في فروع المعرفة، كالقراءة والكتابة والطب، وأن العرب كانوا مطلعين على أوجه الحضارات المختلفة في البلاد المحيطة بهم، مما جعلهم يقتبسون من علومهم ومعارفهم. وإن الآثار المكتشفة والنقوش المترامية في أطراف شبه الجزيرة العربية لدليل على ذلك.

أما بالنسبة للتعليم في حضارتنا الإسلامية فقد ارتكز على تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فهما اللذان خطَّا الأهداف ووجها المسيرة التربوية، وتَبَيَّنَ أيضا اهتمام النبي ﷺ بالتعليم وأنهُ سَخَّر كافة الإمكانات المتاحة، وإرساله المعلمين للقبائل العربية، وجعل المساجد أهم المراكز التعليمية والتربوية في عصره، مع تعاهده (عليه الصلاة والسلام) لأصحابه ﷺ. فالمصطفى ﷺ هو المربي الأول الذي يحتذى به ويستنار بطريقته وهديه.

اهتم المصطفى ﷺ بتعليم المرأة حيث أبرزت الدراسة توجيهاته عليه الصلاة والسلام للأخذ بيد المرأة في مختلف المجالات وعلى رأسها التعليم، وأبرزت الدراسة إسهامات أمهات المؤمنين في التربية والتعليم ونشر المعرفة. فقد تأخر وفاة معظم أمهات المؤمنين حتى الفترة الأموية وكن طول فترة حياتهن يقتبس من علومهن وما شهدنه وعايشنه مع المصطفى (عليه الصلاة والسلام)، بل إن أم المؤمنين عائشة بنت الصديق كانت وبحق موسوعة علمية ليس في الحديث فقط بل تعدى ذلك إلى مختلف العلوم الأخرى.

وكن التابعيات قد أخذن بزمام المبادرة في تعليم أنفسهن أو حتى أبنائهن وقد مر بنا حديث حمزة الأعمى والشافعي وكذلك اهتمام الأمهات بتحذير الأبناء من مخالطة من يتهم بالاستخفاف بأرباب العلم، مع الإشارة إلى ما يشبه المدرسة الخاصة بالنساء لدى أم الدرداء وشبكة البصرية التي أنشأت أماكن لتلامذتها في دارها وإن كانت هذه المدرسة باجتهادات شخصية إلا أنها تعتبر نواة للمدارس التي أنشئت بدعم من الخلفاء في الفترات اللاحقة. وبالنسبة لتعليم البنات الصغار القرآن في حِلَقِ المسجد فقد كان ولا يزال لا بأس به، ما دام تحت إشراف معلمين على قدر عال من النزاهة والأمانة وليس ذلك مدعاة لما يسمى الاختلاط بدلالة تصرف أبي الدرداء ﷺ.

وكان للخلفاء الراشدين اليد الطولى في التعليم وخاصة في الحفاظ على كتاب الله ﷻ من الضياع. فجمع في عهد أبي بكر الصديق ﷺ ووحدت المصاحف في عهد عثمان بن عفان ﷺ. كما قام عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب ﷺ بالاهتمام باللغة العربية وظهرت العناية الحثيثة بها وبالشعر وعلم الأنساب والفقه. وظهر حرص الخلفاء الراشدين على تعليم كل الفئات والطوائف والشرائح الاجتماعية، وإن انتشار الكتاتيب فيه إشارة أيضا على ازدهار التعليم في العصر الراشدي، وهذه المرحلة تعتبر من مراحل التأسيس للتربية والتعليم.

أما في مرحلة الخلفاء الأمويين فقد كان لهم الدور البارز في دعم التعليم وتعيين العطاء والأرزاق للمعلمين، بل والإشراف المباشر على المتعلمين، والاهتمام بشكل أكبر في تربية أبنائهم التربية السليمة الخالية من الشوائب، وإشراكهم الفعلي في بعض جوانب الحكم أو حتى القيادة الفعلية للجيوش المجاهدة في سبيل الله تعالى. إذ كان الخلفاء يحرصون على تزويد أبنائهم بكل المعارف والمهارات التي تؤهلهم لتولي المناصب الرفيعة في الدولة.

أبرزت الدراسة مدى الجهد المبذول والرعاية الحثيثة من قبل الخلفاء الأمويين للحفاظ على الهوية العربية الإسلامية، وذلك بتعريب الدواوين في عهد عبد الملك بن مروان وكذلك الاهتمام المباشر بالمصدر الأساسي للتعليم ألا وهو القرآن الكريم، والعمل على تنقيط المصاحف والمحافظة على إعرابه، كما وعملوا على تدوين المصدر الثاني للتشريع وهي السنة النبوية المطهرة، حفاظا لها من وضع الوضاعين، وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز هو السباق من بين الخلفاء بالابتداء في هذا العمل بإعطاء الأوامر بتدوين السنة النبوية المشرفة.

كما وأوضحت الدراسة أن الخلفاء الأمويين لهم الفضل في إنشاء بيت الحكمة خلافا لما هو متعارف عليه من أن العباسيين هم من أنشأ هذه الدار، واهتموا برعايتها بل هم في الحقيقة ممن طوروها وعملوا على إثرائها بكل نفيس، فالخلفاء الأمويين اهتموا ببيت الحكمة وكمعاوية بن أبي سفيان وخالد بن يزيد والوليد بن عبد الملك والوليد بن يزيد بن عبد الملك، وعملوا أيضا على إنشاء البيمارستانات والاهتمام بإتحافها بالمراجع وبالمتخصصين في مجال الطب. إن وصايا الخلفاء الأمويين التربوية، تكشف التكوين الثقافي والديني والتربوي لخلفاء وحكام الدولة الإسلامية، إذ تظهر هذه الوصايا الثقافية الرفيعة التي كان يتمتع بها حكام الدولة الأموية. كما تكشف حرص هؤلاء الحكام على تربية أولادهم التربية التي تؤهلهم لتحمل المسؤولية، وتعتبر وصية مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية لولده وولي عهده من أثمن الوصايا التي خلفها لنا العصر الأموي في

حقل التربية والتعليم. فخلفاء بني أمية سلسلة مكملة لعهد الخلفاء الراشدين في الحفاظ على التعليم وعلى الأصالة التربوية من أن تشوبها شائبة.

إن أبرز المعلمين في العصر الأموي هم الصحابة الكرام كأبي هريرة وابن عباس وزيد بن ثابت وأنس بن مالك وغيرهم، ومن الصحابيات الكريمات يأتين في الطليعة أمهات المؤمنين، ومن الذين يلونهم قبيصة بن ذؤيب، والحسن البصري، ومحمد ابن شهاب الزهري، وربيعة الرأي، ومحمد بن سيرين، وأبو حنيفة النعمان، ومالك بن أنس، والخليل بن أحمد الفراهيدي وغيرهم الكثير.

كان معلموا أبناء الخلفاء وكبار رجالات الدولة يتميزون بقدر كبير من العلم والأدب، ويتضح من اختيار الخلفاء لهم أنهم من العرب والموالي، ومن أشهر المعلمين والمؤدبين الذين قاموا بتربية وتعليم أبناء الخلفاء: إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، صالح بن كيسان الحافظ أحد علماء المدينة المنورة، عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وكان أحد فقهاء وعلماء المدينة المنورة، ومكحول عالم أهل الشام، ومحمد ابن شهاب الزهري. وندر أن تجد عالما في العصر الأموي، إلا وقد جمع إلى علم القرآن علوما عدة لخدمة القرآن الكريم، وللتواصل مع الفئات المختلفة من القبائل العربية. فتكوينهم الثقافي وإسهاماتهم العلمية امتاز بالموسوعية.

تم التعرف على نماذج من تعليم الصبيان والتزام الطلبة مع معلميهم لسنوات طوال، وتنوعت طرق التعليم من حلقات التدريس، والقراءة، والمناظرة، والإملاء. أما أهم الموضوعات التي كان يدرسها الطلبة في مختلف المراحل في العصر الأموي كانت في الغالب لا تخرج عن علوم القرآن، وعلوم اللغة العربية، والحديث، والفقه، والتاريخ، وعلم الأنساب، بينما يضاف لتعليم الخاصة من مثل أبناء الخلفاء الجانب العملي في قيادة دفة الحكم والمباشرة الفعلية للمهمات الصعبة وتدريبهم عليها، فلا يكتفون بالعلوم المتعارف عليها بل يجتهدون في معرفة غريبها تمييزا لهم عن غيرهم.

إن أماكن التعليم المتعارف عليها في العصر الأموي كانت كالآتي: المساجد، والكُتَّاب، والمكتبات، والبيمارستان (مكتبات المستشفيات)، والقصور، والمجالس الأدبية التي كانت تعقد في الأماكن العامة كالطرقات والساحات يتنافس ويتناظر فيها العلماء، ومن أشهر هذه المجالس مربد البصرة. وبرزت مناطق مهمة في نشر العلم والحضارة واستقطاب طلبة العلم وفي طليعتها مكة المكرمة والمدينة المنورة والبصرة والكوفة ودمشق.

من الملاحظ أن أدوات الكتابة قد حصل لها تطور كبير، إذ استخدم المسلمون كل الوسائل المتاحة لتدوين علومهم، بل واستطاعوا إحداث نقلة نوعية في أدوات الكتابة ومحاولة الرقي بها، وكانت العرب تكتب في اللخاف وهي الحجارة البيض الرقيقة، كما وكتبوا في أكتاف الإبل والعسب أي عسب النخل، والكرانيف والتي يقصد بها أصل السعفة. كما وأن الأوراق بأنواعها كانت متداولة في العصر الجاهلي والإسلامي، ومنها المُهْرَقُ الصحيفة البيضاء، والرق والأديم والقضيم وكلها أنواع من الجلود. واستخدموا الأقلام بأنواعها، بل وعمل الأمويون على الإكتفاء من حيث صناعة الورق والمداد والاستقلال بهما عن الدول المجاورة، وتم عمل مصانع لها في الديار الإسلامية.

اهتم المسلمون على مر العصور الإسلامية بالكتاب، فقد أحاطوه بالعناية والرعاية المتمثلة بالتأنق في التجليد والنسخ والزخرفة، فانتشرت في كثير من بلدان الإسلام معامل الكاغد، ففي سمرقند كانت المعامل تنتج نوعا نفيسا عرف بالكاغد السمرقندي، ثم أنشئت له معامل في دمشق وطرابلس الشام وشاطبة في الأندلس، أما المكتبات فكان منها مكتبة الخلفاء والمكتبات الخاصة ومكتبة المساجد والمكتبات التابعة للمستشفيات، والتي كانت منارا للعلم والمعرفة.

أما الرحلة في طلب العلم، فقد شهد العصر الأموي إقبالا منقطع النظير على تحصيل العلم، ومحاولة لقيا الصحابة الكرام والتأسي بهم، فكم من طالب علم ارتحل من أجل حديث واحد مسير الشهر والشهرين، ومنهم من ارتحل للتثبت من مرويات الصحابة ومنهم من طلب علو السند، متنقلا بين الأمصار، وما كانت هذه الرحلات لتتم لولا دور الفئة الحاكمة في حفظ الأمن الطرق والقوافل، والقضاء على الحركات الخارجة على الحكومة، وإعداد المرافق المعينة لاستقبال طلبة العلم، وتقديم المعونات اللازمة لهم.

التوصيات

إن الدراسة خلصت إلى أن الرعيل الأول اهتموا بالأخلاق وبالعلم القائم والمستمد من تعاليم ديننا الحنيف، فالقرآن الكريم والسنة الشريفة والسيرة النبوية خير ما يحتذى به ويربى عليه النشء، فإن أردنا لأبنائنا الرفعة في مضمار العلم فعلى المعلمين أن يحرصوا على تعليم الأبناء والبنات تعاليم ديننا الحنيف، والاهتمام باللغة العربية وإقامة الندوات وتفعيل دور المسجد التعليمي وعقد الحلقات العلمية وبثها بين الناس بشتى السبل الممكنة، وتعريف الأبناء بتراث الأمة الإسلامية العظيم والمحافظة عليه والذود عنه.

كما ولا ننسى الدور الفعال والمؤثر لخلفاء بني أمية في دفع ركب التعليم فنعمل على تحسين صورة من شوهت صورته في الإعلام، أو عن طريق دراسات وأبحاث المغرضين، إذ أنها قائمة على الإثارة وطمس الكثير من الحقائق عن قصد أو بدونه، أو أنها تخدم فكرا أو مذهبا معينا، أو أنها مسايرة لركب الطاعنين في التاريخ الإسلامي. فلا بد من تسليط الضوء على الجانب المشرق للتاريخ الإسلامي، بل ودعوة غير المسلمين للتعرف على التاريخ الإسلامي الحق القائم على توحيد الله تعالى وعلى العدل والمساواة وحب الخير للإنسانية جمعاء.

وفي الختام لا أدعي أن الدراسة قد أحاطت بالموضوع من كل جوانبه إلا أن الإشارة إلى جانب التربية والتعليم هو من الأهمية بمكان وبالأخص إذا كان البحث في فترة طالما تحامل عليها أعداؤها ونبزوها بما هي بريئة منه. وعمل ابن آدم قاصر وإن طلب الكمال فيه، ومهما حشدت الدراسة من الأدلة والبراهين، فهي لا زالت في حاجة إلى المزيد منه، والتشعب في ميادينه. فإن وفقت فالحمد لله وحده، وإن أخطأت فإن ربي غفور رحيم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الملاحق

الملحق (١) المصطلحات

١. الأديم: الجلد وقيل الجلد الأحمر.
٢. الآراميون: سكان المنطقة الشمالية من الجزيرة العربية والمعروفة ببادية الشام.
٣. بنو أمية: هم بيت الخلافة من (٤١ – ١٣٢هـ/ ٦٦١- ٧٥٠م)، ويسمون الأموين لأن معاوية بن أبي سفيان الذي أسس دولتهم كان سيد الفرع الأكبر من أبناء أمية بن عبد شمس.
٤. الأميون: العرب كلهم، من كتب منهم ومن لم يكتب، لأنهم لم يكونوا أهل كتاب.
٥. أهل الصفة: هم أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال وكان مقيلهم في المسجد.
٦. البيمارستان: مأخوذة من الكلمة الفارسية " بيمار" بمعنى مريض، و " إستان" بمعنى مكان، وتدل على المستشفى.
٧. التحريف: تغيير الكلام مكتوبا أو مسموعا.
٨. التربية: فعل منظم ومقصود يهدف إلى نقل المعرفة والقيم وإكساب المهارات النافعة في كل مناشط الحياة ومتطلباتها الحاضرة والمستقبلية ويرتبط عادة بالتعليم من ناحية وبالتنمية من ناحية أخرى.
٩. التعلم: جملة من الجهود المنظمة تهدف إلى تعديل سلوك الفرد الناتج عن المرور بخبرة وهو تغير شبه دائم في السلوك نحو منتج أفضل يسمى مخرج تعليمي.
١٠. التعليم: ممارسة يتم من خلالها اكتساب معارف محددة ومهارات معينة، والتعليم معونة المتعلم وإرشاده حتى يظفر بما يرجى له من مكتسبات.
١١. التفسير: كشف المعنى وإبانته، وتفسير القرآن: أي المبين لألفاظ القرآن الكريم ومفهوماتها.
١٢. الجاهلية: هو الاسم الذي يطلق على ما كانت عليه جزيرة العرب قبل ظهور الإسلام.
١٣. الحديث: كل ما ورد عن النبي ﷺ من قول أو فعل.
١٤. حساب اليد، أو حساب العقود: اصطلح العرب على طريقة للدلالة على الأعداد دون تلفظ، مستخدمين في ذلك الأيدي والأصابع.

١٥. الحسبة: مصطلح يستخدم للدلالة على واجب كل مسلم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، كما يستخدم للدلالة على الوظيفة التي يقوم بها الشخص الذي يوكل إليه في المدينة السلطة في تطبيق هذه القاعدة بمراقبة السلوك الأخلاقي للناس كافة.

١٦. الخوارج: هم الذين خرجوا على طاعة علي بن أبي طالب﵁ بعد قبوله التحكيم مع معاوية بن أبي سفيان﵁، وقاموا بحملات عسكرية عديدة على الأمويين.

١٧. الدواة: الآنية التي يجعل فيها الحبر، من خزف كان أو من قوارير.

١٨. الرَّقُّ: الصحيفة البيضاء وهو جِلْد رَقِيق.

١٩. السيرة: هي الترجمة المأثورة لحياة النبي ﷺ.

٢٠. العصر الأموي: هي الفترة الممتدة من (٤١ – ١٣٢هـ/ ٦٦١ – ٧٤٩م) والمتمثلة بحكم أول خلفاء بني أمية معاوية بن أبي سفيان ﵁ وحتى آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد بن عبد الملك بن مروان.

٢١. علم اللسان العربي: أركانه أربعة وهي اللغة، والنحو، والبيان، والأدب. ومعرفتها ضرورية لأهل الشريعة، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة، وهو ضروري لمعرفة العلوم المتعلقة بعلم الشريعة.

٢٢. علم الكلام: العلم المعني بترسيخ العقائد الدينية عن طريق إيراد البراهين ونفي الشكوك، أو وضع الحجج المنطقية في خدمة العقائد الدينية.

٢٣. الفقه: معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين، بالوجوب والحظر والندب والكراهة والإباحة، وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه. وكان السلف يستخرجونها من تلك الأدلة على اختلاف فيها بينهم.

٢٤. القرطاس (البردي): القِرْطاس معروف يُتَّخذ من بَرْدِيّ يكون بمصر، ومن مسمياته: الصحيفة، الكتاب، الزبور، القرطاس.

٢٥. القَضِيم الجلد الأَبيض يكتب فيه وقيل هي الصحيفة البيضاء.

٢٦. الليقة: الصوفة في الدواة، وتسميها العرب الكرسف، تسمية لها باسم القطن الذي يتخذ منه في بعض الأحوال، وتكون الليقة من الصوف والحرير والقطن.

٢٧. المؤدب: معلم أولاد الخلفاء وكبار رجالات الدولة.

٢٨. المجلدون: يهتمون بجوانب الكتاب والعناية به، وهي تجليده وزخرفته وتدهيبه وتطريزه أو تزويقه.

٢٩. المدراس: لفظة عبرانية الأصل، هي مدرش، وتعني بحث وشرح نص. وقد أطلقت على المكان الذي تدرس فيه التوراة. فصار بمثابة المدرسة، يقصده اليهود للتفقه فيه والتعلم.

٣٠. المسقاة: التي يصب منها الماء في المحبرة.

٣١. المَكْتَبُ والكُتَّابُ: موضع التَعْلِيم والجمع الكَتَاتِيبُ والمَكاتِبُ. المُكْتِبُ هو المُعَلِّمُ. والمُكَتِّبُ الذي يُعَلِّم الكتابَة.

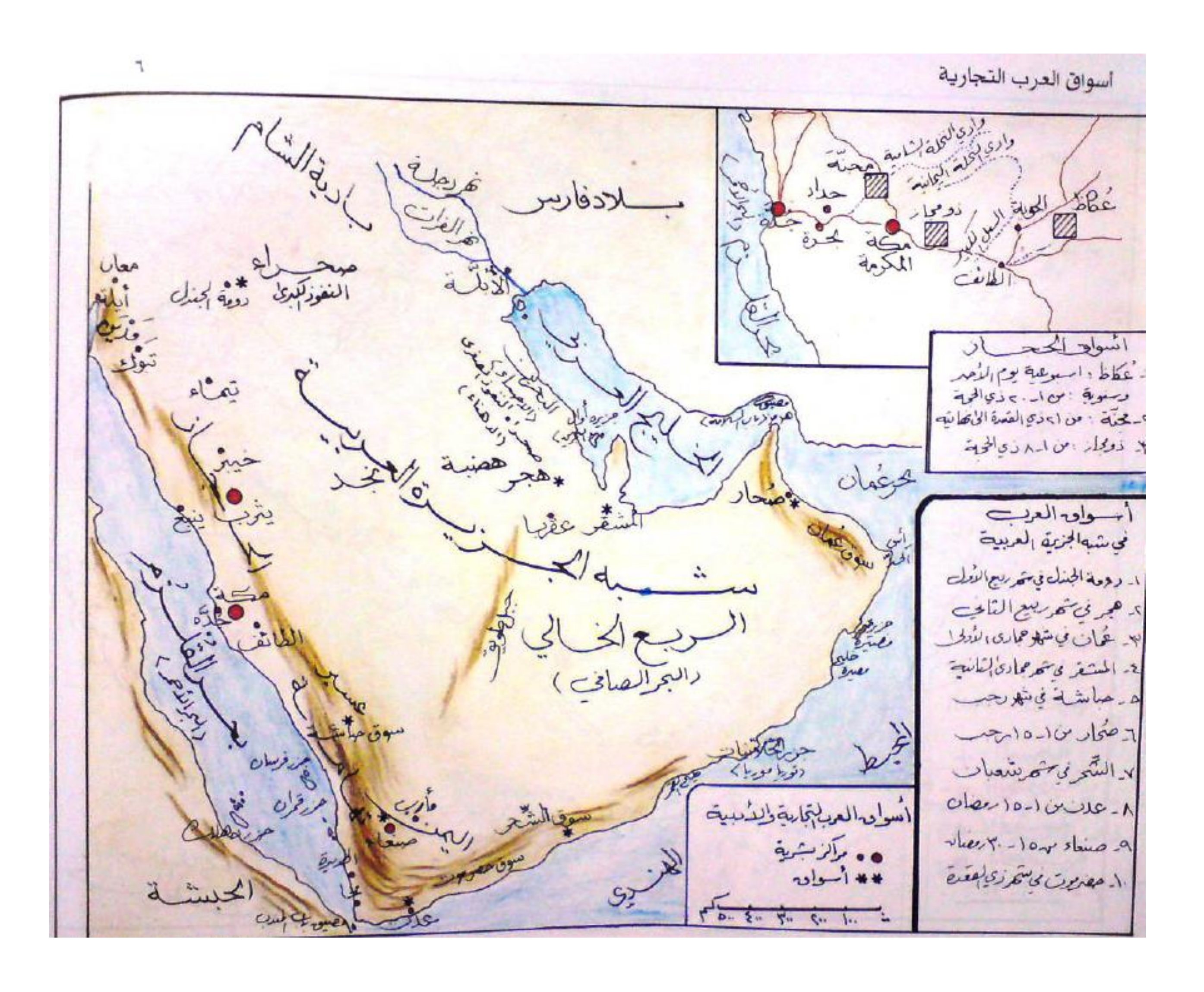
٣٢. الملواق: الذي تلاق به الدواة، أي تحرك به الليقة.

٣٣. المناولون: مهمتهم إحضار الكتاب من مكانه للقارئ وإرجاعه، أو إرشاد القارئ إلى مكان الكتاب على الرف.

٣٤. المُهْرَقُ الصحيفة البيضاء، وقيل: المُهْرَق ثوب حرير أَبيض يُسْقَى الصمغَ ويُصْقَلُ ثم يكتب فيه.

٣٥. النساخون: يقوم هؤلاء بمهمة النسخ والتدوين ونسخ الكتب والمخطوطات الواردة للمكتبة.

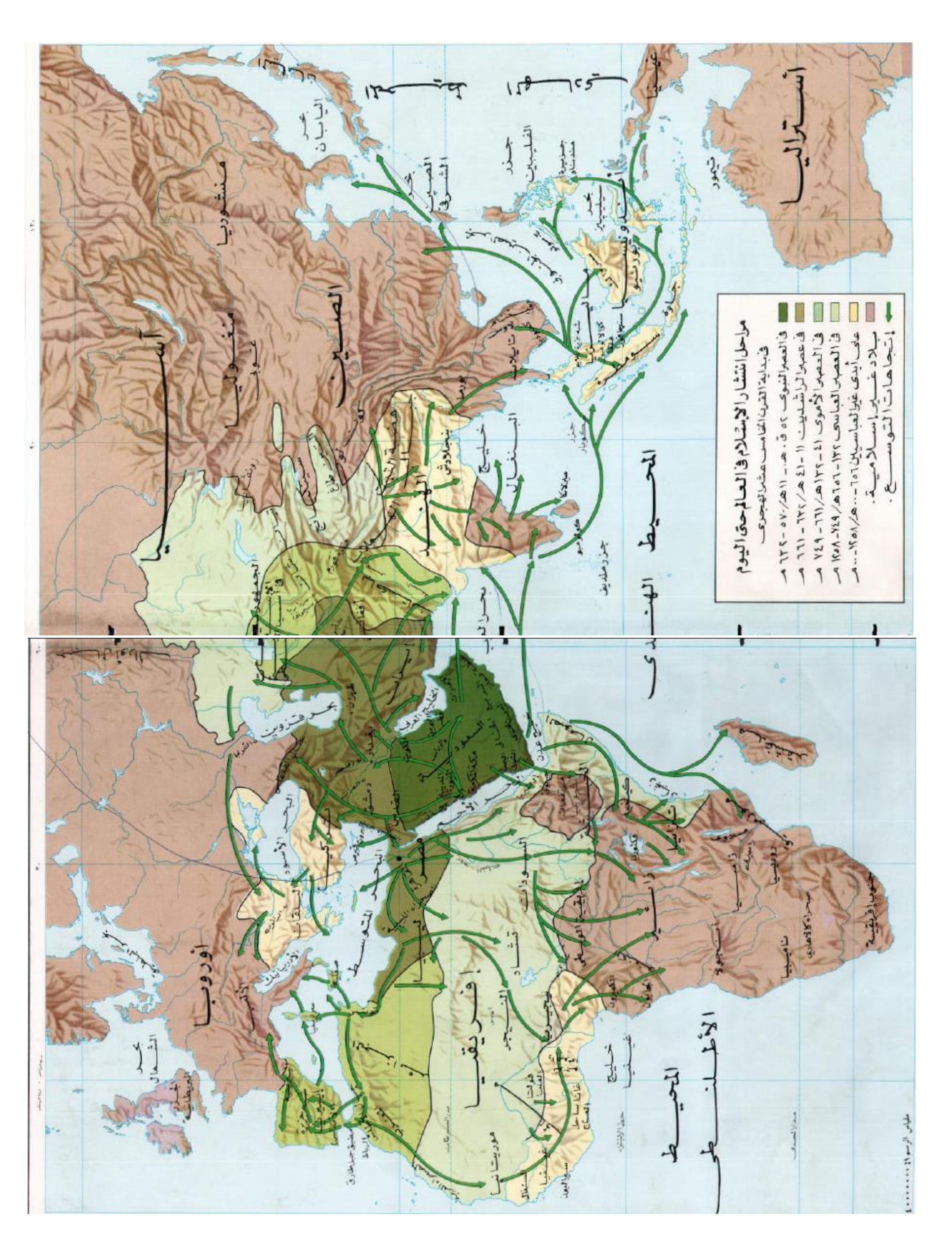
الملحق (٢) أسواق العرب التجارية[1]



---

(١) الميداني، محمود عصام الميداني: الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي، دار دمشق، دمشق، ط٣، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص ٦ .

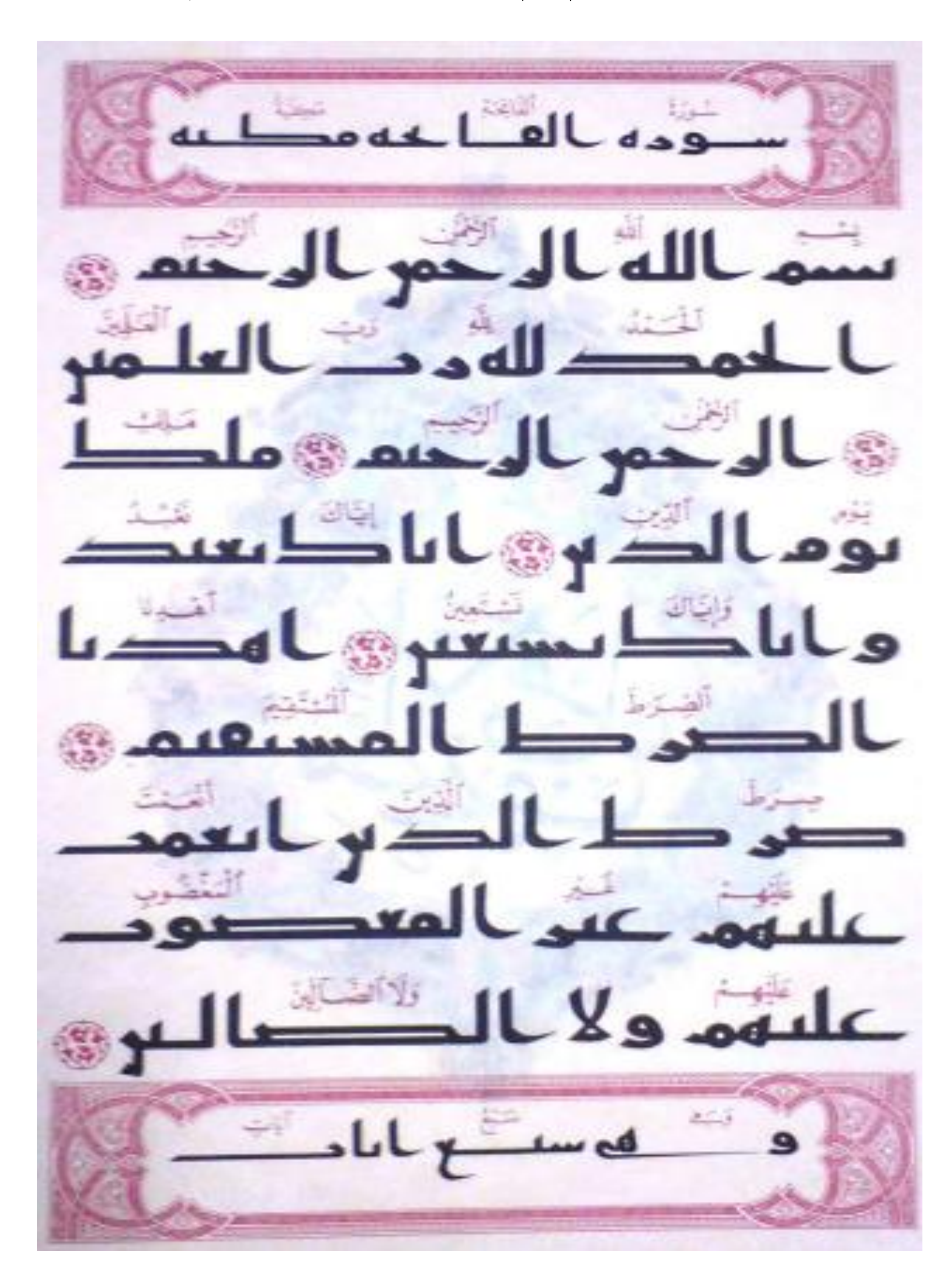
الملحق (٣)   مراحل انتشار الإسلام مع بيان حدود الدولة الأموية[1]



---

(١) مؤنس ، حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام ، الزهراء للإعلام العربي ،القاهرة ، ط١ ،١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م ، ص ٣٠-٣١ ، خريطة ٢٧.

الملحق (٤) سورة الفاتحة بالخط القديم[1]



(١) المصحف الإمام، القرآن الكريم، دار طلاس، دمشق، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، سورة الفاتحة.

الملحق (٥) سلسلة الخلفاء الأمويين[1]

٢ ـ الأمويون

١ ـ معاوية [الأول] بن أبي سفيان . .	السفيانيون . . .	ربيع الأول	٤١
٢ ـ يزيد [الأول] بن معاوية		رجب	٦٠
٣ ـ معاوية [الثاني] بن يزيد(١)		١٥ ربيع الأول	٦٤
عبد الله بن الزبير ، من ربيع الثاني ٦٤ إلى ١٥ جمادى الأولى ٧٣ . .			
٤ ـ مروان [الأول] بن الحكم	المروانيون	٣ ذي القعدة (٢)	٦٤
● ∆ ٥ ـ عبد الملك بن مروان (٣)		٢٧ رمضان	٦٥
● ∆ ٦ ـ الوليد [الأول] بن عبد الملك		١٤ شوال	٨٦
● ٧ ـ سليمان بن عبد الملك		١٥ جمادى الآخرة	٩٦
● ٨ ـ عمر بن عبد العزيز		١٠ صفر	٩٩
● ٩ ـ يزيد [الثاني] بن عبد الملك		٢٠ رجب	١٠١
● ∆ ١٠ ـ هشام بن عبد الملك		٢٦ شعبان	١٠٥
● ١١ ـ الوليد [الثاني] بن يزيد (٤)		٦ ربيع الثاني	١٢٥
● ١٢ ـ يزيد [الثالث] بن الوليد		٢٧ جمادى الآخرة	١٢٦
● ١٣ ـ ابراهيم بن الوليد		٧ ذي الحجة	١٢٦
● ∆ ١٤ ـ مروان [الثاني] بن محمد		١٤ صفر (٥)	١٢٧

ثورة ابراهيم بن هشام سنة ١٢٨

---

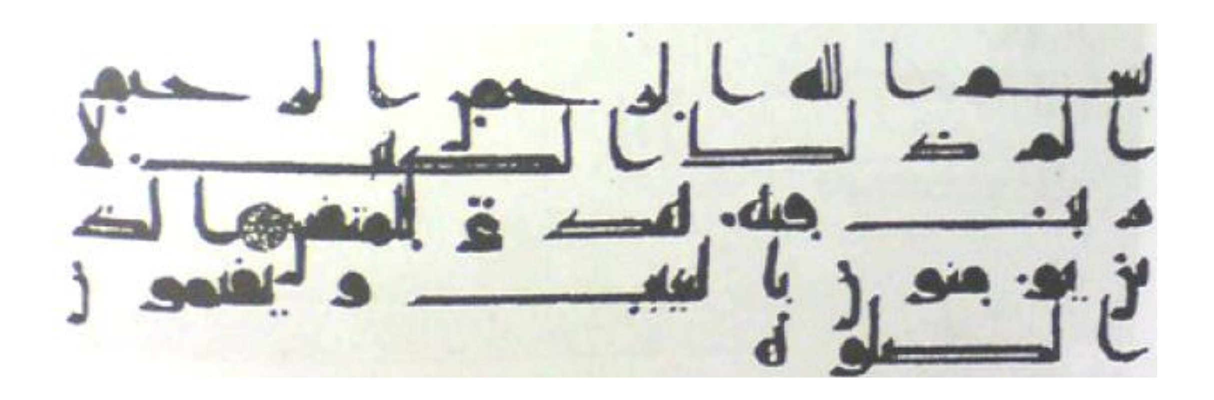
(١) زامباور، إدوارد : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص١.

الملحق (٦) قلم المسند اليمني والأقلام التي تفرعت عنه[1]

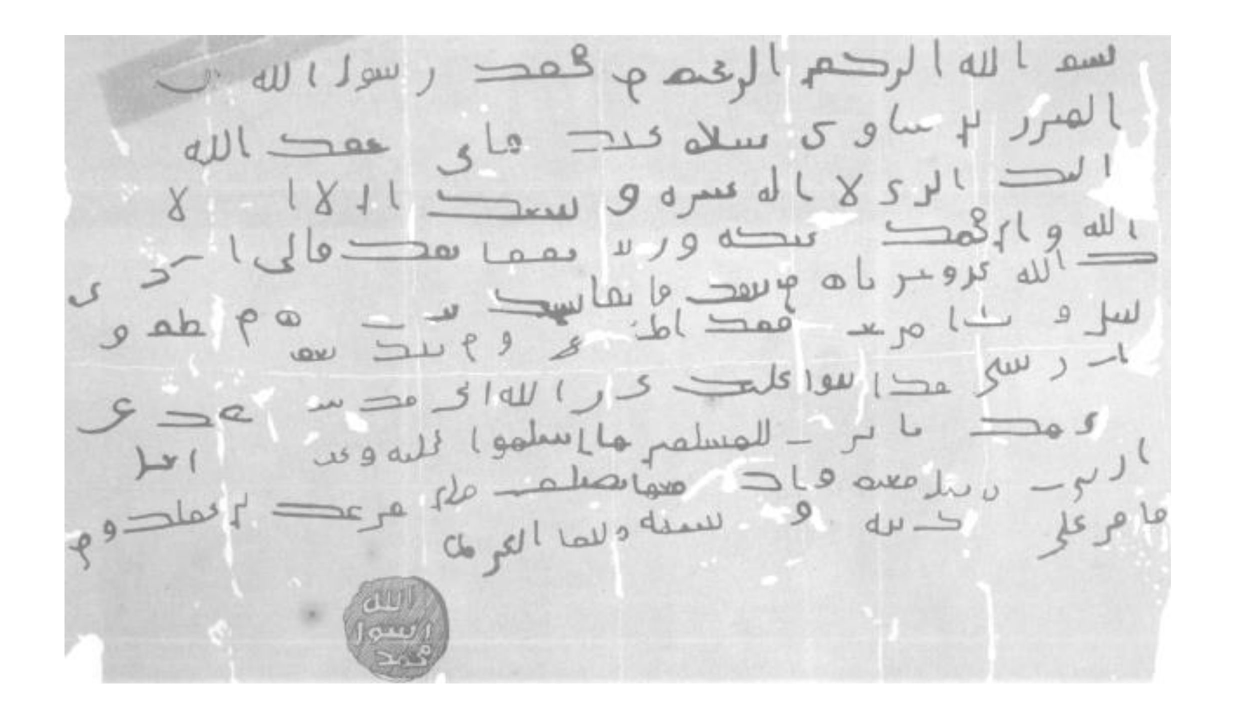
عربي نسخ	مسند حميري	حبشي إثيوبي	جعزي	مسند صفوي	مسند ثمودي	مسند لحياني
ا			አ			
ب			በ			
ج			ገ			
د			ደ			
هـ			ሀ			
و			ወ			
ز			ዘ			
ح			ሐ			
ط			ጠ			
ي			የ			
ك			ከ			
ل			ለ			
م			መ			
ن			ነ			
س			ሰ			
ع			ዐ			
ف			ፈ			
ص			ጸ			
ق			ቀ			
ر			ረ			
ش			ሠ			
ت			ተ			

(١) حسين، محمود حاج : تاريخ الكتابة العربية وتطورها، وزارة الثقافة السورية، دمشق، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ص ٧٠ .

الملحق (٧) القرآن الكريم بشكل الدؤلي[1]



الملحق (٨) رسالة النبي ﷺ إلى المنذر بن ساوى[2]



(١) حسين، محمود حاج : المرجع السابق ، ص ٢١٢ .

(٢) المنجد، صلاح الدين: دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ٣٤.

الملحق (٩) طرف من وصية مروان بن محمد لولي عهده عبد الله[1]

الطـــــرف الثـانى

(فيما كان يُكتَب عن خُلَفاء بنى أُميَّـــة)

كتب عبدُ الحميد بن يحيىٰ الكاتب، عن مَرْوانَ بنِ محمد لبعض مَنْ وَلَّاه[(١)] .

أما بعــدُ ، فإنَّ أميرَ المؤمنين ــ عند ما آعتَزم عليه من تَوْجِيهك إلىٰ عَدُوِّ الله الجِلْف الجافِي الأعْرابِىِّ، المُتَسَكِّع فى حَيْرة الجَهَالة، وظُلَم الفِتْنة، ومَهاوِى الهَلَكة . ورَعَاعِه الذين عاثُوا فى أرض الله فَسادًا، وآنتَهكُوا حُرْمَةَ الإسْلام آستِخْفافا، وبَدَّلُوا نِعْمةَ الله كُفْرا، وآستحَلُّوا [دِماءَ أهْل[(٢)]] سِــلْمه جَهْلا ــ أحَبَّ أن يَعْهَد إليــك فى لطائِفِ أُمُورِك، وعَوَامِّ شُئُونِك، ودَخائِلِ أحْوالِك، ومُصْطَرَف تَنَقُّلك عَهْــدا يُحَمِّلُك فيه أدَبَه، ويَشْرَع لك به عِظَتَه، وإن كنتَ بحمــد الله من دِينِ الله وخِلافَتِه بحيثُ آصطنَعَك اللهُ لوِلَاية العهــد مختَصًّا لك بذٰلك دُونَ لُحْمتك وبَنِى أبيك . ولولا ماأمَرَ الله تعالىٰ به، دالًّا عليه، وتقدّمتْ فيــه الحكماءُ آمِرِينَ به : من تقديم العِظَة، والتَّذْكِيرِ لأهل المعْرِفة وإن كانُوا أُولِى سابقَــةٍ فى الفضــل وخِصِّيصاءَ فى العِــلْم، لآعتمدَ أميرُ المؤمنين علىٰ آصْطِناع الله إيَّاك، وتفضيلِه لك بما رآك أهْلَه فى مَحَلِّك من أميرِ المؤمنين، وسَبْقِك إلىٰ رغائبِ أخْلاقِه، وآنتزاعِكَ محمودَ شِيَمِه، وآستِيلائِك علىٰ مَشَابِه تدْبِيرِه . ولو كان المُؤَدِّبون أخَذُوا العلْمَ من عِنْد أنفُسِهم، أو لُقِّنُوه إلهامًا من تِلْقائِهم ولم نُصِبْهم تعلَّمُوا شيْئا من غيرهم، لنحَلْناهم عِلْمَ الغيْب، ووضَعْناهم بمنزلةٍ قَصَّر بها عنهم خالِقُهم المستأثِرُ بعلم الغيْب عنهم بوَحْدانيتِه فى فَرْدانيَّته وسابِقِ لاهُوتِيَّتِــه، آحتجاباً منهــم لتعقُّب فى حُكْمه، وتَثَبُّت فى ســلطانه وتنفيذِ إرادته،

---

(١) القلقشندي، أحمد بن علي ت(٨٢١هـ/ ١٤١٨م): صبح الأعشى، دار الكتب السلطانية، القاهرة، ط١، ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م، ج ١٠، ص ١٩٥ .

علىٰ سابقِ مشيئته . ولكن العالمُ الموفَّقُ للخيْر، المخصوصُ بالفضــل، المحْبُوُّ بمزِيَّة لعـلم وصَفْوته، أدْركه معانًا عليه بلُطْف بحْثه، وإذلال كَنَفه، وصِحَّة فَهْمه، وهجر سآمته .

وقد تقدّمَ أميرُ المؤمنين إليك، آخِذًا بالحُجَّة عليك، مُؤَدِّيا حقَّ الله الواجبَ عليه فى إرشادك وقَضاء حَقّك، وما ينْظُر به الوالُد المَعْنِيُّ الشَّفيق لوَلَده . وأميرُ المؤمنين يرجو أن يُنَزِّهَك اللهُ عن كل قَبِيح يَهَشُّ له طَمَع، وأن يعْصِمَك من كلِّ مكروهٍ حاقَ بأحدٍ، وأن يُحَصِّنَك من كلِّ آفة آستولَتْ علىٰ آمْرِئٍ فى دِين أو خُلُق، وأن يُبَلِّغَــه فيكَ أحسَنَ ما لم يزَلْ يُعوِّدُه ويُرِيه من آثار نعمةِ الله عليك، ساميــةً بك إلىٰ ذِرْوة الشرف، مُتَبَجِّحةً بك بَسْطةَ الكرمِ، لائحةً بكَ فى أزْهَرِ مَعالِى الأدب، مُورِثةً لك أنفَسَ ذخائرِ العزّ، واللهَ يستَخْلِفُ عليك أميرُ المؤمنين ويسألُ حِيــاطتَك، وأن يَعْصِمَك من زَيْغ الهوىٰ، ويُحْضِرَك داعِيَ التوفيق، مُعانًا علىٰ الإرشاد فيــه، فإنه لا يعينُ علىٰ الخير ولا يُوفِّق له إلّا هو .

اِعلم أنَّ للحكمة مَسَالكَ تُفْضِى مَضايِقُ أوائِلِها بمن أمَّها سالِكا، وركِبَ أخطارَها قاصــدًا، إلىٰ سَعَة عاقِبَتها، وأَمْن سَرْحها، وشرَفِ عِزِّها، وأنهــا لا تُعارُ بسُخْف الخِفَّة، ولا تُنْشأ بتفريط الغَفْلة، ولا يُتعــدّىٰ فيها بامْرِئٍ حَدّه، وربمــا أظهرَتْ بَسْطةُ الغَيّ مستُورَ العيْب . وقد تلقَّتك أخلاقُ الحِكْمة من كلِّ جهةٍ بفَضْلها، من غير تعَب البحْث فى طَلَبها، ولا مُتطاوِلٍ لمُناولة ذِرْوتِها، بل تأثَّلتَ منها أكْرَم نَبَعاتهــا، وآستخلصْتَ [منهــا] (١) أعْتَقَ جواهِرها، ثم سَمَوْتَ إلىٰ لُباب مُصَاصِها، وأحرَزْتَ مُنْفَسَ ذخائرها، فآقتَعِدْ ماأحرَزْتَ، ونافِسْ فيما أصبْتَ .

وٱعلم أنَّ ٱحتواءَك علىٰ ذلك وسَبْقك إليـه بإخلاص تَقْوىٰ الله فى جميع أمُورك مُؤْثِرًا لهـا، وإضْمارِ طاعتـه مُنْطَوِيًا عليها، وإعْظامِ ماأنعم الله به عليك شاكرًا له، مرتبطًا فيه للمَزِيد بحُسْن الحياطة له والذَّبِّ عنـه من أن تَدْخُلَك منه سَآمةُ مَلاَل، أو غَفْلَةُ ضَـيَاع، أو سِنَةُ تَهَاوُن، أو جَهالَةُ مَعْرِفة: فإنَّ ذٰلك أَحَقُّ مابُدِئَ به ونُظر فيـه، معتمِدًا عليـه بالقُوّة والآلةِ والعُـدّة والآنفراد به من الأصحاب والحـامّة. فتمَسَّكْ به لاجِئًا إليه، وٱعتَمِدْ عليه مُؤْثِرًا له، وٱلْتَجِئْ إلىٰ كَنَفه متحَيِّزًا إليه: فإنه أبلغُ ماطُلِب به رضا الله، وأنْجَحُه مَسْألة، وأجْزَلُه ثوابا، وأعْوَدُه نَفْعا، وأعَمُّـــه صلاحا؛ أرشَدك اللهُ لحظِّك، وفهَّمك سَدَاده، وأخَذ بقَلْبك إلىٰ محُودِه. ثم ٱجعَلْ لله فى كل صَبَاح يَنْعِم عليك ببُلُوغه، ويُظْهِر منك السلامةَ فى إشْراقه [من نَفْسك](١) نصيبًا تجعَلُه له شُكْرًا علىٰ إبلاغه إيَّاك يَوْمَك ذلك بِصحَّةِ جَوَارحَ وعافيةِ بَدَن، وسُبُوغ نِعَم، وظُهُور كَرامة. وأن تَقْرأَ فيه من كتاب الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ جُزْءا تُرَدِّدُ رأْيَك فى آيه، وتُرَتِّل(٢) لفظك بقراءته، وتُحْضِره عقْلَك ناظرًا فى مُحْكَمه، وتتفَهَّمُـه مفكِّرا فى مُتَشابِهه: فإنَّ فى القرءان شِفاءَ الصُّدور من أمراضها، وجلاءَ وَساوِس الشيطان وصَعَاصِعِه(٣)، وضِـياءَ مَعَالم النُّور، تبيانًا لكل شيء وهُدًى ورحْمـةً لقومٍ يُؤْمنون. ثم تعهَّدْ نَفْسَـك بمجـاهَدة هَوَاك: فإنَّه مِغْلاق الحسَـنات، ومِفْتاح السَّـيِّئات، وخَصْم العقل.

وٱعلَمْ أنَّ كلَّ أهوائك لكَ عَدُوّ يُحاوِل هَلَكَتك، ويعتَرِض غَفْلتَك: لأنَّها خُدَع إبليس، وخَواتِلُ مَكْره، ومَصايِدُ مَكِيدته؛ فاحذَرْها مُجانِبًا لها، وتوقَّها محترِسًا منها؛

وٱستَعِذْ بالله عزّ وجلّ من شَرِّها، وجاهِدْها إذا تناصَرتْ عليك بعَزْمٍ صادق لاوَنْيَةَ (١) فيـه، وحَزْمٍ نافذٍ لامَثْنَوِيَّةَ لرأْيك بعدَ إصْداره، وصِدْقٍ غالبٍ لامَطْمَعَ فى تكذيبه؛ ومَضَاءةٍ صارمةٍ لا أَنَاةَ معهـا (٢)، ونيَّةٍ صحيحةٍ لاخَلْجةَ شـكٍّ فيها : فإنَّ ذلك ظِهْرِيٌّ صِدْقٍ لكَ علىٰ رَدْعِها عنك، وقَمْعِها دُونَ ما تتطَلَّعُ إليه منك؛ فهى واقيةٌ لك سُخْطةَ ربك، داعيةٌ إليكَ رِضَا العامّةِ عنـك، ساترةٌ عليك عيْبَ مَن دُونَك ؛ فازدَنْ بهـا متحَلِّيا، وأصِبْ بأخلاقِك مواضِعَها الحميدةَ منها، وتَوَقَّ عليها الآفةَ التى تقتَطِعك عن بُلُوغها، وتُقَصِّر بك دُونَ شَأْوِها : فإنَّ المـُؤنَةَ إنمـا ٱشتدّتْ مستَصْعِبةً، وفَدَحتْ باهظةً أهـلَ الطَّلَب لأخْلاقِ أهل الكَرَم المنتحِلين سُمُوَّ القَدْر، بجَهَالةِ مواضِعِ ذَمِيمِ الأخلاقِ ومحُمُودِها، حتّى فَرَط أهلُ التقصـيرِ فى بعض أُمُورهم، فدخلَتْ عليهـم الآفاتُ من جهاتٍ أَمِنُوها، فنُسِـبُوا إلىٰ التفريط، ورَضُوا بِذُلِّ المنْزِل، فأقامُوا به جاهلينَ بموضع الفضل، عَمِهِين عن دَرَجِ الشَّرَف، ساقطين دُونَ منْزِلةِ أهلِ الحِجا. فحاوِلْ بُلوغَ غاياتِها مُحْرِزًا لها بَسَبْقِ الطلب إلىٰ إصابة الموْضِع، مُحَصِّنًا أعمـالَك من العُجْب : فإنه رأسُ الهَـوىٰ، وأوّلُ الغَوَاية، ومَقَادُ الهَلَكة ؛ حارسًا أخلاقَك من الآفاتِ المتَّصِـلةِ بمَسَاوِى (٣) الألقاب وذَمِيمِ تَنَابُزِها، من حيثُ أتتِ الغفلةُ، وٱنتشر الضَّياعُ، ودخَلَ الوَهْن. فتوقَّ غُلُوبَ (٤) الآفاتِ علىٰ عقْلك، فإنَّ شواهدَ الحق ستُظْهِرُ بأماراتهـا تصـديقَ آرائك عنـد ذَوِى الحِجا، وحالَ الرأيِ ومَخْضِ النظر. فاجتلِبْ لنَفْسك محمودَ الذِّكر وباقِيَ لسانِ الصِّـدْق بالحَذَر لمـا تقدَّمَ إليك فيه أميرُ المؤمنين،

متحَرِّزا من دُخُول الآفاتِ عليك من حيثُ أَمْنُـك وقِلَّةُ ثِقَتك بمُحْكَمِها : من ذلك أن تملكَ أمورَك بالقصـد، وتُدارِيَ جُنْدَك بالإحْسان، وتَصُونَ سِرَّك بالكِتْمان، وتُداوِيَ حِقْدَك بالإنصاف، وتُذَلِّل نفْسَك بالعَدْل، وتُحَصِّنَ عُيوبَك بتقويم أَوَدِك، وتَمنعَ عقْلَك من دُخُول الآفاتِ عليه بالعُجْب المُرْدِى . وأناتَك فَوَقِّها المَلالَ وفَوْتَ العـمل، ومَضاءَتَك فدَرِّعْها رَوِيَّةَ النظر وٱكْنُفْها بأَناة الحِـلْم . وخَلْوَتَك فٱحْرُسْها من الغَفْلَة وٱعتمادِ الراحة، وصَمْتَك فانفِ عنه عِيَّ اللَّفظ، وخَفْ سُوءَ القَالَة؛ وٱستِمَـاعَك فأَرْعِه حُسْنَ التفَهُّم، وقَوِّه بإشْهاد الفِكر؛ وعَطاءَك فٱمْهَـدْ له بيُوتاتِ الشَّرف وذَوِى الحَسَب، وتحرَّزْ فيه من السَّرَف وٱستطالةِ البَذْخ وٱمْتنانِ الصَّنِيعة؛ وحَياءَك فٱمنَعْـه من الخَجَل، وبَلادةِ الحَصَر؛ وحِلْمَك فَزِعْه عن التَّهاوُن وأَحْضِرْه قُوَّةَ الشَّكِيمة؛ وعُقُوبَتَك فقَصِّر بهـا عن الإفراط، وتعمَّدْ بها أهلَ الاستحقاق؛ وعَفْوَك فلا تُدْخِلْه تعطِيلَ الحقُوق، وخُذْ به واجبَ المُفْتَرَض، وأقِمْ به أَوَدَ الدِّين؛ وٱستِئْناسَك فٱمنَعْ منـه البَذَاءَ وسُوءَ المُنَاقَشَة (١) . وتَعَهُّدك أُمُورَك فَخُذْه أوقاتاً، وقَدِّره ساعاتٍ، لا تَستَفْرِغُ قُوَّتك، ولا تسـتَدْعِى سَآمَتَك؛ وعَزَماتِك فٱنْفِ عنها عَجَلَة الرأْى، ولَجاجةَ الإقدام؛ وفَرَحاتِك فٱشكُلْها عن البَطَر، وقَيِّـدها عن الزُّهُوّ؛ ورَوْعاتِك فحُطْها من دَهَش الرأْى، وٱستِسْلام الخُضُوع؛ وحَذَراتِك فامنَعْها من الجُبْن، وٱعمِدْ بها الحَزْم؛ ورَجاءَك فَقيِّده بخَوْف الفائت، وٱمنَعْه من أَمْنِ الطَّلَب .

هذه جَوامِعُ خِلال دَخَّال النقصِ منها واصلٌ إلىٰ العقْل بلَطائف أَبَنِه وتصاريف حَوِيله، فأَحْكِمْها عارفًا بها، وتقـدَّم فى الحِفْظ لهـا، معتزِمًا علىٰ الأَخْذ بمَرَاشِدها والانتهاءِ منها إلىٰ حيثُ بلغَتْ بك عِظَةُ أميرِ المؤمنين وأدَبُه إن شاء الله .

ثُمَّ لْتَكُنْ بِطانَتُك وجُلَساؤك فى خَلَواتك، ودُخَلاؤُك فى سِرِّك، أهلَ الفِقْه والوَرَع من خاصَّة أهـلِ بيْتك، وعامَّةُ قُوادِك ممن قد حَنَّكته السِّنُّ بتصارِيفِ الأُمُور، وخَبَطَتْه فصالَها بينَ فَرَاسِن البُزَّل منها، وقَلَّبتْه الأمور فى فُنُونها؛ وركِبَ أطوارَها: عارفًا بمَحاسنِ الأُمُور ومواضـع الرَّأى وعَيْنِ المَشُورة؛ مأْمُونَ النصيحة، مُنْطوِىَ الضـمير علىٰ الطاعة. ثم أَحْضِرْهم من نَفْســك وَقَارا يستَدْعِى لك منهم الهَيْبة، وآستئناسًا يَعْطِف إليك منهم المَوَدّة، وإنْصاتًا يفُلُّ إفاضَتَهم له عِنْدك بمـا تَكْرَه أن يُنْشَر عنك من سَخَـافة الرأى وضَيَاع الحَزْم. ولا يَغْلِبَنَّ عليك هَواك فيَصْرِفَك عن الرأى، ويقْتطِعَك دُونَ الفِكْر. وتَعَلَّم أنك ـ وإن خلَوتَ بسِرٍّ فألقَيْتَ دُونَه سُتُورَك، وأغلَقْتَ عليه أبوابَك ـ فذلكَ لامحالَةَ مكشُوفٌ للعامّة، ظاهِرٌ عنك وإن آستتر[ت] رُبَّمـا ولعلَّ وما أُرىٰ إذاعة(1) ذلك وأعلم، بمـا يَرَوْن من حالاتِ مَن يَنْقطِع به فى تلك المواطن. فتقــدّمْ فى إحكام ذٰلك من نَفْســك، وآسْدُدْ خَلَلَه عنك: فإنه ليس أحدٌ أسرَعُ إليه سُوءُ القالة ولغَطُ العامّة بخيرٍ أو شرٍّ ممن كان فى مثـل حالك ومكانِكَ الذى أصبحْتَ به من دِينِ الله والأمـلِ المرجُوِّ المنتظَرِ فيك. وإيَّاكَ أن يُغْمَزَ فيك أحدٌ من حامَّتك وبِطانَةِ خَدَمتِك بضَعْفةٍ يَجِدُ بها مَساغًا إلىٰ النُّطق عندك بما لايَعْتَرِلُك عَيْبُه، ولا تخْلُو من لائِمته، ولا تأمَنُ سُوءَ الأُحْدُوثة فيه، ولا يرخُص سُوءُ القالةِ به إنْ نَجَم ظاهِرا أو عُلِن باديا، ولن يَجْترِئُوا علىٰ تلك عنْدك إلّا أن يَرَوْا منك إصغاءً إليها، وقبولًا لهـا، وترخيصًا لهم فى الإفاضةِ بها. ثمَّ إيَّاك وأن يُفاضَ عندك بشَىْءٍ من الفُكَاهات والحكايا، والمِزَاح والمَضَاحك التى يَستَخِفُّ بها أهـلُ البِطالة، ويتَسرَّعُ نَحْوَها ذَوُو الجَهالة؛ ويجِدُ فيها أهلُ الحَسَد مقالًا لعَيْب يُذيعُونه،

وطَعْنا فى حقٍّ يجْحَدونه ؛ مع مافى ذلك من نَقص الرأى ، ودَرَن العِرْض ، وهَـدْم الشرف ، وتأْثيل الغَفْلة ، وقُوّة طِباعِ السُّوءِ الكامنة فى بنى آدمَ كُكُمون النار فى الحَجر الصَّـلْد ، فإذا قُدِح لاح شَرَرُه ، وتلهَّبَ وَمِيضُه ، ووَقَدَ تضَرُّمُه . وليسَتْ فى أحد أقوىٰ سَطْوةً ، وأظهَرَ توقُّـدا ، وأعلىٰ كُمُونا ، وأسرَعَ إليـه بالعَيْب وتَطَرُّق الشَّـيْن منها لمَنْ كان فى مِثْـل سِنِّك : من أغْفال الرجال وذَوى العُنْفُوان فى الحَدَاثة ، الذين لم يقع عليهم سِمَـاتُ الأمور ، ناطقًا عليهم لائحُها ، ظاهرًا فيهم وَسْمُها ، ولم تمْحَضْهم شهامتَها ، مظهِرةً للعامَّة فضلَهم ، مُذيعـةً حسْنَ الذكر عنهم ؛ ولم يبلُغْ بهـم الصِّيتُ فى الحُنْكة مستَمَعا يَدْفعُون به عن أنفُسهم نواطِقَ ألْسُن أهـل البَغْى ، ومَوادَّ أبْصار أهل الحَسَـــد .

ثم تعهَّدْ من نَفْسك لطيفَ عَيْبٍ لا زِمٍ لكثيرٍ من أهل السلطان والقُدْرة : من أبطال الذرع(١) ونَخْوة الشَّرف والتِّيه وعَيْب الصَّلَف ؛ فإنها تُسْرِع بهم إلىٰ فَسَادِ وتهجينِ عقُولهم فى مواطِنَ جمَّـة ، وأنحاء مُضْطَرِفة ، منها قِلَّةُ اقتِدارهم علىٰ ضَـبْط أنفسهم فى مَوَاكبِهم ومسايرِيهم العامّة : فمن مقَلْقِل شخْصَه بكثْرة الالتفات عن يمينه وشماله ، تَزْدَهيه الخِفَّة ، ويُبْطِره إجلابُ الرجال حَوْلَه . ومن مُقْبِـل فى مَوْكبه علىٰ مُداعَبة مُسايِره بالمُفَاكهة له والتَّضاحُك إليه ، والإيجافِ فى السَّيْر مَرَحا ، وتحريك الجَوارِح متَسرِّعا ، يَخَالُ أنَّ ذلك أسرَعُ له وأحثُّ لمَطِيَّتِـه ، فلْتُحسِّن فى ذلك هَيْئَتَـك ، ولتُجَمِّلْ فيـه دَعتَـك ؛ ولْيَقِلَّ علىٰ مُسايِرك إقبـالُك إلا وأنْتَ مُطْرِق النظر ، غيرُ ملتفِتٍ إلىٰ محـدِّث ، ولا مقبل عليـه بوجهك فى مَوْكِبك لمحـادَثته ، ولا مُوجِف فى السـير مقَلْقِلٍ لجَوارحك بالتحريك والاستِنْهاض ؛ فإنَّ حُسْنَ مسايَرة الوالى واتِّداعَه فى تلك الحالة دليلٌ علىٰ كثيرٍ من غُيُوب أمره ومستَترِ أحواله .

وٱعلم أنَّ أقواما يتسرَّعُون إليكَ بالسِّعاية ، ويأتُونَك علىٰ وجْه النَّصيحة ، ويستميلُونَك بإظهار الشَّفَقة ، ويستدْعُونك بالإغْراء والشُّبْهة ، ويُوطِئُونك عُشْوةَ الحَيْرة : ليجعلُوك لهم ذَريعةً إلىٰ ٱستِئْكال العامَّة بموضِعهم منك فى القَبُول [منهم](١) والتصديقِ لهم علىٰ مَنْ قَرفُوه بتُهَمة ، أو أسرعُوا بك فى أمره إلىٰ الظِّنَّة ، فلا يَصلنَّ إلىٰ مُشافَهتِك ساعٍ بشُبْهة ، ولا معروفٌ بتُهَمة ، ولا منسوبٌ إلىٰ بِدْعة [فيعرِّضَك](٢) لإيتاغِ دِينِك ، ويحملَك علىٰ رعيَّتك بما لا حقيقةَ له عندك ، ويُلْحِمَك أعراضَ قوم لاعلْمَ لك بدَخْلهم ، إلا بما أقدم [به](٣) عليهم ساعيا وأظهر لك منهم مُتَنَصِّحا .

ولْيكُنْ صاحبُ شُرْطتك المتولِّى لإنهاء ذٰلك هو المنصوبَ لأولٰئك(٤) ، والمستَمِعَ لأَقَاوِيلهم ، والفاحِصَ عن نَصائحِهم ؛ ثُمَّ لْيُنْهِ ذٰلك إليكَ علىٰ ما يُرفَع إليه منه لتأمُرَه بأمْرك فيه ، وتَقِفَه علىٰ رأْيك من غير أن يَظْهرَ ذلك للعامَّة : فإن كان صوابا نالتك خِيرتُه ، وإن كان خَطَأ أقْدَم به عليك جاهلٌ أو فَرْطةً سعىٰ بها كاذبٌ فنالتِ الساعِىَ منهما أو المظلومَ عقوبةٌ ، أو بَدَر من وَاليك إليه عُقُوبةٌ ونَكال ، لم يَعْصِبْ ذٰلك الخطأُ بك ولم تُنْسَب إلىٰ تفريط ، وخَلَوْتَ من موضع الذَّمِّ فيه : مُحْضِرا إليه ذِهنَك وصوابَ رَأْيك . وتقدّمْ إلىٰ مَنْ تُولِّى ذٰلك الأمْرَ وتعتمِدُ عليه فيه أن لا يُقْدِم علىٰ شىءٍ ناظرًا فيه ، ولا يحاوِلَ أخْذَ أحد طارقاً له ، ولا يُعاقِبَ

أحدا مُنَكِّلا به، ولا يُخَلِّيَ سبيلَ أحد صالحاً عنه : لإصْحَارِ(١) بَرَاءته، وصحَّة طريقته؛ حتَّىٰ يرفع إليكَ أمْرَه، ويُنْهِيَ إليك قضيَّته علىٰ جهة الصِّدْق، ومَنْحىٰ الحق، ويَقِين الخبَر؛ فإن رأيتَ عليه سبيلًا لمَحْبَس أو مجازًا لعُقُوبة، أمرتَه بتولِّي ذٰلك من غير إدخالِه عليك، ولا مُشافهةٍ لك منه؛ فكان المتولِّيَ لذٰلك ولم يَجْرِ علىٰ يديْكَ مكروهُ رأْي ولا غِلظةُ عقُوبة. وإن وجدْتَ إلىٰ العَفْو [عنه] سبيلا، أو كان مما قُرِف به خَلِيّا؛ كنتَ أنتَ المتولِّيَ للإنعام عليه بتخليَةِ سبيله، والصفح عنه بإطلاق أَسْره؛ فتولَّيتَ أجْرَ ذلك وٱستحققتَ ذُخْره، وأنطقْتَ لسانَه بشُكْرك، وطوّقْتَ قومَه حمْدَك، وأوجبتَ عليهم حقَّك؛ فقرَنْت بين خصلتين، وأحرزْت حُظْوتيْن : ثوابَ الله في الآخرة، ومحْمُودَ الذِّكْر في الدُّنيا.

ثم وإيَّاك أن يصلَ إليك أحدٌ من جُنْدك وجُلَسائك وخاصَّتك وبِطانَتك بمسألة يَكْشِفُها لك، أو حاجة يَبْدَهُك بطلبها، حتَّىٰ يَرْفعها قبلَ ذٰلك إلىٰ كاتبك الذي أهدفْتَه لذٰلك ونصَبْتَه له، فيَعْرِضَها عليك مُنْهِياً لها علىٰ جهة الصِّدق عنها، وتكونَ علىٰ معرفة من قَدْرها : فإن أردْتَ إسعافَه بها ونجاحَ ماسألَ منها، أذِنْتَ له في طَلَبها، باسطاً له كنَفَك، مُقْبِلا عليه بوجْهك؛ مع ظُهُور سُرورك بما سألك، وفسحة رَأْي وبَسْطة ذَرْع، وطِيبِ نَفْس. وإن كرِهْتَ قضاء حاجته، وأحببْتَ ردَّه عن طَلِبته، وثَقُل عليكَ إجابتُه إليها، وإسْعافُه بها، أمرتَ كاتبَك فصَفَحه عنها، ومَنَعه من مُواجَهتك بها؛ فخفَّتْ عليكَ في ذٰلكَ المئُونةُ، وحَسُن لك الذِّكر، ولم يُنْشَر عنك تجَهُّم الردِّ، وينَلْك سُوءُ القالة في المنْع، وحُمِل علىٰ كاتبك في ذٰلك لائمةٌ أنت منها بَرِيءُ الساحة.

وكذلك فليكن رأيك وأمرك فيمن طرأ عليك من الوفود وأتاك من الرسل، فلا يصلن إليك أحد منهم إلا بعد وصول علمه إليك، وعلم ماقدم له عليك، وجهة ماهو مكلمك به، وقدر ما هو سائلك إياه إذا هو وصل إليك، فأصدرت رأيك فى حوائجه، وأجلت فكرك فى أمره، واخترت معتزما على إرادتك فى جوابه، وأنفذت مصدور رويتك فى مرجوع مسألته قبل دخوله عليك، وعلمه بوصول حاله إليك، فرفعت عنك مئونة البديهة، وأرخيت عن نفسك خناق الروية، وأقدمت على رد جوابه بعد النظر وإجالة الفكر فيه. فإن دخل إليك أحد منهم فكلمك بخلاف ما أنهى إلى كاتبك وطوى عنه حاجته قبلك، دفعته عنك دفعا جميلا، ومنعته جوابك منعا وديعا، ثم أمرت حاجبك بإظهار الجفوة له، والغلظة عليه، ومنعه من الوصول إليك، فإن ضبطك لذلك مما يحكم لك تلك الأسباب، صارفا عنك مئونتها، ومسهلا عليك مستصعبها.

احذر تضييع رأيك وإهمالك أدبك فى مسالك الرضا والغضب واعتوارهما إياك، فلا يزدهينك إفراط عجب تستخفك روائعه، ويستهويك منظره، ولا يبدرن منك ذلك خطأ ونزق خفة لمكروه إن حل بك، أو حادث إن طرأ عليك. وليكن لك من نفسك ظهرى[1] ملجأ تحرز به من آفات الردى، وتستعضد فى موهم النازل، وتتعقب به أمورك فى التدبير. فإن احتجت إلى مادة من عقلك، وروية من فكرك، أو انبساط من منطقك، كان انحيازك إلى ظهريك مزدادا مما أحببت الامتياح منه والامتيار، وإن استدبرت[2] من أمورك بوادر جهل أو مضى زلل أو معاندة حق أو خطل تدبير، كان ما احتجت إليه من رأيك عذرا لك عند

نَفْسك، وظهْريًّا قويًّا علىٰ ردّ ما كرهتَ، وتخفيفًا لمئُونة الباغين عليك فى القالة وٱنْتشار الذكر، وحِصْنا من غُلُوب الآفاتِ عليك، وٱستعْلائها علىٰ أخلاقك .

وٱمنعْ أهْلَ بطانتك وخاصَّةَ خدَمِك من ٱستِلْحام أعراض الناس عندك بالغِيبَة، والتقرُّبِ إليك بالسِّعاية، والإغراءِ من بعضٍ ببعض؛ أو النَّميمةِ إليك بشىء من أحوالهم المستَتِرة عنك، أو التحميل لك علىٰ أحد منهم بوَجْه النَّصيحة ومَذْهَب الشَّفَقة : فإنَّ ذٰلك أبلغُ بك سُمُوّا إلىٰ مَنالةِ الشرف، وأعونُ لك علىٰ محْمُود الذكر، وأطلَقُ لعِنان الفضل فى جَزَالة الرأى وشَرَف الهِمَّة وقُوّة التدبير .

وٱمْلِكْ نفْسَك عن الٱنبساط فى الضحك والٱنْفهاق، وعن القُطُوب بإظهار الغَضَب وتنَحُّله : فإنَّ ذٰلك ضَعْف عن مِلْك سَوْرة الجَهْل، وخروجٌ من ٱنتحال ٱسم الفَضْل . ولْيكُنْ ضَحِكُك تبسُّما أو كَشْرا فى أحايِينِ ذلك وأوقاته، وعند كلِّ رائع مستَخِفٍّ مُطْرِب؛ وقُطُوبُك إطراقًا فى مواضع ذٰلك وأحواله، بلا عَجَلة إلىٰ السَّطْوة، ولا إسراعٍ إلىٰ الطِّيَرة، دُونَ أن يَكْنُفَها رويَّةُ الحلم؛ وتملِكَ عليها بادِرةَ الجهل .

إذا كنتَ فى مجلس مَلَئك، وحيثُ حضورُ العامّة مجلسَك، فإيَّاك والرمْىَ بنظرك إلىٰ خاصٍّ من قُوَّادك، أو ذى أُثْرة عندك من حَشَمك . وليكُنْ نظرُك مقسومًا فى الجميع، وإراعتُك سمْعَك ذا الحديث بدَعةٍ هادئة، ووَقارٍ حسَن، وحضُورِ فَهْم مجتَمِع، وقِلَّة تضَجُّر بالمحدِّث . ثم لا يبْرحُ وجهُك إلىٰ بعض حَرَسك وقُوّادك متوجِّها بنظَرٍ رَكِين، وتفَقُّدٍ محْض . وإن وَجَّه إليك أحدٌ منهم نَظَرَه مُحدِّقا، أو رمَاكَ ببصره مُلِحًّا، فاخفضْ عنه إطراقًا جميلًا باتِّداع وسُكُون . وإيَّاك

والتسرُّعَ فى الإطراق ، والخفَّةَ فى تصريف النظَر، والإلحاحَ علىٰ من قصدَ إليك فى مخاطبته إيَّاك رامقًا بنَظَره .

وٱعلم أنَّ تصفُّحك وجوهَ جلَسائك وتفقُّدك مجالِسَ قُوّادك ، من قُوّة التـدبير، وشهامةِ القلب ، وذَكاء الفِطْنة ، وٱنتِباه السِّـنة . فتفقَّد ذٰلك عارفًا بمن حضَرك وغابَ عنك، عالمًا بمواضِعهم من مجْلِسك ، ثم ٱعْذُبهم عن ذٰلك سائلًا لهم عن أشغالهم التى منعَتْهم من حضُور مجْلِسك، وعاقتْهم بالتخلُّف عنك .

إن كان أحدٌ من حَشَمك وأعوانِك تثِقُ منه بغيبِ ضمير، وتعرِفُ منـه لِينَ طاعة، وتُشرِف منـه علىٰ صِحَّة رأى ، وتأمنُه علىٰ مَشُورتك ، فإيَّاك والإقبالَ عليـه فى كلِّ حادثٍ يَرِدُ عليـك ، والتوجُّهَ نحوَه بنظَرك عنـد طَوارِق ذٰلك ، وأن تُرِيه أو أحدا من أهـل مجْلِسك أنَّ بك حاجةً إليه مُوحِشة، أو أنْ ليس بك عنـه غِنًى فى التدبير، أو أنك لا تقْضِى دُونَهُ رأيا، إشراكًا منك له فى رَوِيَّتك، وإدخالًا منك له فى مَشُورتك ، وٱضطرارًا منك إلىٰ رأْيه فى الأمر يَعْرُوك : فإنَّ ذٰلك من دخائل العُيوب التى ينتَشِر بهـا سُوءُ القالة عن نُظَرائك فٱنْفِها عن نفسِـك خائفًا لاعتلاقها ذِكْرَك، وٱحْجُبْها عن روِيَّتك قاطعًا لأطماع أوْليائك عن مثْلها عِنـدك ، أو غُلُوِّهم عليها منك .

وٱعلم أنَّ للمشُورة موضعَ الخلْوة وٱنْفرادَ النظر، ولكلِّ أمرٍ غايةٌ تُحيط بحُـدُوده، وتجمعُ معالِمَه . فٱبْغِها مُحْرِزا لهـا ، ورُمْها طالبا لنَيْلها ؛ وإيَّاك والقُصورَ عن غايتها أو العجْزَ عن دَرْكها، أو التفريطَ فى طلَبها . إن شاء الله تعالىٰ .

إيَّاك والإغرامَ عن حديثٍ مّا أعجَبك، أو أمرٍ مّا ٱزدهاكَ بكثْرة السـؤال ، أو القطْعَ لحديث مَنْ أرادك بحديثـهِ حتّى تنقُضَه عليه بالخوْض فى غيره أو المسألة

عمّا ليس منه : فإنّ ذلك عند العامّة منسُوب إلى سُوء الفهم وقِصَر الأدب عن تناوُل محاسِن الأُمُور والمعرفةِ بمساوِيها ، ولكن أنْصت لمحـدّثك وأرْعه سمعَك حتّى يعلَم أنْ قد فهِمْتَ حديثَه ، وأحطتَ معرِفةً بقوله : فإن أردتَ إجابته فعن معرفةٍ بحاجته وبعْـدَ عِلْمٍ بطَلِبته ؛ وإلا كنْتَ عند آنقضاء كلامه كالمتعَجِّب(١) من حديثِـه بالتبَسُّم والإغْضاء ، فأجْزى عنك الجَواب ، وقطع عنك ألْسُن العتْب .

إيَّاك وأن يظْهَر منك تبَرّم بطُول مجالِسك ، أو تضَجُّر ممن حَضَرك ؛ وعليك بالتثبُّت عند سَوْرة الغضَب ، وحَمِيَّة الأَنَف ، ومَلاَل الصبر فى الأمر تستعجل به والعمل تأمُر بإنفـاذه ؛ فإنّ ذلك سُخْف شائِن ، وخِفّة مُرْدِيَة ، وجَهَـالةٌ بادِيَة . وعليكَ بثُبوت المَنْطِق ، ووَقَار المجْلِس ، وسُكُونِ الريح ، والرَّفْض لحَشْـو الكلام ، والتَّرْك لفضوله . والإغْرام(٢) بالزِّيادات فى مَنْطِقك والترديدِ للَفْظك : من نحو آسمع ، وآفهَمْ عنّى ، وياهَناه ، وألا ترى ؛ أو ما يُلْهَج به من هـذه الفضول المقَصِّرة بأهل العقل ، الشائنة لذوى الحِجـا فى المنْطِق ، المنسوبة إليهم بالعِيِّ ، المُزْرِيَة لهم بالذِّكر . وخِصالٌ من مَعَـايب المُلوك والسُّـوقةُ عنها غبيَّـة النظر إلا مَنْ عرَفها من أهـل الأدب ، وقَلَّمـا حاملٌ لها ، مضْطَلع بها ، صابرٌ على ثِقلها ، آخذٌ لنفسه بجوامعها . فانفِها عن نفسك بالتحفُّظ منها ، وآملِكْ عليها آعتيادَكَ إيَّاها معتَنِيا بهـا : منها كثْرةُ التنَخُّم ، والتبصُّـق ، والتنخُّع ، والتَّثَوُّباء ، والتمطِّى ، والجُشَاء ، وتحريكُ القَـدَم ، وتنقيضُ الأصابع ، والعبثُ بالوجه واللِّحية أو الشارِب أو المِخْصَرة أو ذُؤابة السيف ، أو الإيماضُ بالنظر ، أو الإشارةُ بالطَّرْف إلى بعض خَدَمك بأمْرٍ إن أردتَه ، أو السِّرار فى مجْلِسك ، أو الآستِعْجال فى طَعْمك أو شُرْبك . وليكنْ طَعْمك متَّدِعا ، وشُرْبك

أنفاسا ، وجَرْعُك مَصًّا . وإيَّاكَ والتسرُّعَ إلىٰ الأيمـان فيما صَغُر أو كَبُر من الأمور، والشَّـتيمةَ بقول يا ابْنَ الْهَنَـاة ، أو الغميزةَ لأحدٍ من خاصَّـتك بتسويغهم مقارَفة الفُسُوق بحيث مَحْضَرُك أو دارُك وفِناؤك : فإنَّ ذلك كلَّه ممـا يقبُحُ ذكره ، ويسُوءُ موقعُ القول فيه، وتحمُل عليك مَعابِيُه ، ويَنالُك شَيْنه ، وينتشِرُ عليك سُوءُ النبإ به . فاعرِفْ ذلك متوقِّيا له ، واحذَرْه مجانبًا لِسُوء عاقبته .

استكثِرْ من فوائد الخير : فإنهـا تَنْشُر المَحْمَدة ، وتُقِيل العَثْرة ؛ واصبِرْ علىٰ كَظْم الغيظ : فإنه يُورِثُ الراحه ، ويُؤَمِّن الساحه ؛ وتعهَّد العامَّة بمعرفة دَخْلهم ، وتبطَّنِ أحوالهم ، واستثارةِ دَفَائنهم ، حتّٰى تكونَ منها علىٰ رأْيِ عين ، ويقينِ خُبْرة ، فتُنْعِش عَدِيمهم ، وتجْبُرَ كَسيرهم ، وتُقيم أَوَدَهم ، وتُعَـلِّمَ جاهلَهم ، وتستصلح فاسدَهم : فإنَّ ذٰلك من فِعْلك بهم يُورِثُك العِزَّة ، ويقدِّمك فى الفضْل ، ويُبْقِي لك لسانَ الصِّدق فى العاقبة ، ويُحْرِز لك ثوابَ الآخرة ، ويرُدُّ عليك عواطفَهم المستَنْفِرةَ منك ، وقلوبَهم المتنحِّيةَ عنك .

قِسْ بينَ مَنازِل أهل الفضـل فى الدِّيـن والحِجا والرأْى ، والعقْل والتدْبير ، والصِّيت فى العـامَّة ، وبين منازِل أهـل النَّقْص فى طَبَقات الفضـل وأحوالِه ، والخُمول عندَ مُباهاة النَّسَب ، وانْظُرْ بصُحْبة أَيِّهم تنالُ من مودّته الجميل ، وتستجْمِع لك أقاويلَ العامة علىٰ التفضـيل ، وتبلُغُ درجةَ الشرف فى أحوالك المتصرِّفة بك . فاعتمدْ عليهم مُدْخِلا لهم فى أمْرك ، وآثِرْهم بمجالسـتك لهم مستمِعًا منهـم ؛ وإيَّاك وتضييعَهم مفرِّطا ، وإهمالَهم مُضَيِّعا .

هـذه جوامعُ خصال قد لخَّصها لك أميرُ المؤمنـين مُفَسِّرا ، وجمع لك شَواذَّها مؤلِّفا ، وأهداها إليكَ مُرْشِدا ؛ فقفْ عنـد أوامِرِها ، وتنَاهَ عن زَوَاجِرها ، وتثبَّتْ

فى مَجامعها؛ وخُذْ بوثائِق عُراها تَسْلَمْ من مَعَاطب الرَّدىٰ ، وتنَـلْ أنفسَ الحظُوظ ورِغيبَ الشَّرَف؛ وأعلىٰ درَج الذِّكر، وتأثل سطر العز(؟) واللهَ يسأل لك أميرُ المؤمنين حُسْنَ الإرشاد، ونتابُعَ المَزيد وبلوغَ الأمل، وأن يجعل عاقبـة ذٰلك بك إلىٰ غِبْطة يُسوّغُك إيَّاها، وعافيـةٍ يُحِلُّك أكنافها ، ونعمة يُلْهِمُك شكْرَها : فإنه الموفِّق للخـير ، والمعينُ علىٰ الإرشاد؛ منه تمَـامُ الصالحات، وهو مُؤْتِى الحسَنات، عنْـده مفاتيح الخير، وبيده المُلْك وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قدير .

فإذا أفضيْتَ نحو عدُوك ، واعتزمتَ علىٰ لقائِهم، وأخذْت أُهْبة قتالهم ، فاجعَلْ دِعامَتك التى تلجَأ إليهـا ، وثِقتَك التى تأْمُل النجاةَ بها، ورُكْنَك الذى ترتجى مَنـالةَ الظَّفَر به، وتكْتَهِف به لمَعَالق الحذَر تقوىٰ اللهِ مستشعرًا لها بمراقبته ، والاعتصام بطاعتـه متبعًا لأمره ، مجتنبًا لسُخْطه ، محتَذيا سُنَّته، والتوَقِّى لمعاصـيه فى تعطيل حدُوده، أو تعَـدِّى شرائعه؛ متوكِّلا عليه فيما صَمَدْتَ له ، واثقًا بنصره فيما توجَّهْت نحوه، متبرِّئا من الحول والقُوّة فيما نَالَك من ظَفَر، وتلَقَّاكَ من عِزّ؛ راغبًا فيما أهابَ[1] بك أميرُ المؤمنين إليه من فضل الجهاد ورمىٰ بك إليه، محمودَ الصبر فيه عند الله من قتال عدوّ المسلمين، أكْلَبَهم عليه وأظهرَه عداوةً لهم ، وأفْدَحَه ثِقْلا لعامَّتهم، وآخذَه برِقِهم ، وأعلاه عليهم بغيا، وأظهَرَه عليهم فِسْقا وفُجُورا، وأشـدّه علىٰ فَيْئهم الذى أصاره اللهُ لهم وفتحَه عليهـم مَئُونةً وكَلًّا . والله المسـتعانُ عليهم ، والمستنصَرُ علىٰ جماعتهم ، عليه يتوكّل أمير المؤمنين ، وإيَّاه يستصْرِخ عليهم ، وإليـه يفوّض أمْرَه وكفىٰ بالله وليًّـا وناصرا ومُعِينا، وهو القوىُّ العزيز .

المصادر

١. القرآن الكريم.

٢. ابن الأثير، علي بن محمد ت (٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م): أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

١. الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

٣. الأزدي، محمد بن الحسين ت (٤١٢ هـ/ ١٠٢١م): طبقات الصوفية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٤. ابن اسحاق، محمد ت(١٥١هـ/ ٧٦٨م): سيرة ابن اسحاق، معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، فاس، المغرب، ط١، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

٥. الأصبهاني، أحمد بن عبد الله ت(٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م): معرفة الصحابة، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

١. حلية الأولياء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

٦. الأصفهاني، علي بن الحسين ت (٣٥٦هـ/ ٩٦٧م): الأغاني، مطبعة دار الكتب المصرية، ط١، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م.

٧. الأنباري، عبد الرحمن بن محمد ت(٥٧٧هـ/ ١١٨١م): نزهة الألباء في طبقات الأدباء، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٨. الباجي، سليمان بن خلف ت (٤٧٤هـ/ ١٠٨١م): التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، دار اللواء، الرياض، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٩. سنن الصالحين وسنن العابدين، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

١٠. البخاري، محمد بن اسماعيل ت(٢٥٦هـ/ ٨٧٠م): صحيح البخاري، دار الفكر، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

١١. البرهان فوري، علي بن حسام الدين المتقي الهندي ت (٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م): كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١٢. البكري، عبد الله بن عبد العزيز ت(٥٧٨هـ/ ١١٨٢م): سمط اللآلئ، لجنة التأليف والترجمة والنشر بجامعة عليكره، الهند، ط١، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م.

١٣. البلاذري، أحمد بن يحيى ت (٢٧٩هـ/ ٨٩٢م): كتاب جمل من أنساب الأشراف، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

١٤. البوصيري، أحمد بن أبي بكر ت(٨٤٠هـ/ ١٤٣٧م): إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٥. البيهقي، أحمد بن الحسين ت(٤٥٨هـ/ ١٠٩٢م): القراءة خلف الإمام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.
١٦. الترمذي، محمد بن عيسى ت(٢٠٩هـ/ ٨٢٤م): جامع الترمذي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
١٧. التلمساني، أحمد بن المقري ت(١٠٤١هـ/ ١٦٣٢م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
١٨. ابن تميم المقدسي، أحمد بن محمد ت(٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م): مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
١٩. أبو تمام، حبيب بن أوس بن الحارث ت(٢٣١هـ/ ٨٤٦م): نقائض جرير والأخطل، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ط١، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م.
٢٠. التميمي، كاظم نعمة: صفحات مشرقة من الحضارة العربية في نصوص تراثية، دار الجاحظ، بغداد، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
٢١. الجاحظ، عمرو بن بحر ت(٢٥٥هـ/ ٨٦٩م): البيان والتبيين، دار صعب، بيروت، ط١، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.
٢٢. ابن جماعة، محمد بن إبراهيم ت (٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م): تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، مكتبة ابن عباس، سمنود، مصر، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.
٢٣. الجرجاني، عبدالله بن عدي ت (٣٦٥هـ/ ٩٧٥م): الكامل في ضعفاء الرجال، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
٢٤. الجندي، أنور: المدرسة الإسلامية على طريق الله ومنهج القرآن، دار الاعتصام، القاهرة، د. ت.
٢٥. الجهشياري، محمد بن عبدوس ت(٣٣١هـ/ ٩٤٢م): الوزراء والكتاب، المكتبة العربية، بغداد، و مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي، مصر، ط١، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.
٢٦. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي ت(٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م): أخبار الظراف والمتماجنين، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
٢٧. سيرة عمر بن عبد العزيز، دار ابن خلدون، الاسكندرية، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
٢٨. صفة الصفوة، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
٢٩. لفتة الكبد إلى نصيحة الولد، مكتبة الإمام البخاري، مصر، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
٣٠. ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد ت(٣٢٧هـ/ ٩٣٩م): الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.
٣١. الحاكم، محمد بن عبدالله ت(٤٠٥هـ/ ١٠١٤م): المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٣٢. ابن حبان، محمد بن حبان ت (٣٥٤هـ/ ٩٦٥م): صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٣٣. الثقات، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ط١، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٣٤. ابن حبيب، محمد ت(٢٤٥هـ / ٨٥٩م): المحبر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (دائرة المعارف العثمانية، ١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م، تحقيق محمد حميد الله).

٣٥. ابن حجر، أحمد بن علي ت(٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م): تهذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

١. الإصابة في تمييز الصحابة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٢. تغليق التعليق على صحيح البخاري، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٣٦. الحموي، ياقوت بن عبد الله ت (٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم الأدباء، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

١. معجم البلدان، دار صادر، ط١، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٣٧. ابن حنبل، أحمد ت (٢٤١هـ/ ٨٥٥م): مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٣٨. الحنبلي، عبد الله بن سليمان بن الأشعث ت(٣١٦ هـ / ٩٢٨م): كتاب المصاحف، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، ط١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

٣٩. أبو حنيفة، النعمان ت(٨٠هـ/ ٧٦٧م): العالم والمتعلم، مطبعة الأنوار، القاهرة، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

٤٠. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي ت(٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م): تأريخ مدينة السلام – تاريخ بغداد –، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م .

١. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢. الرحلة في طلب الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٣. تقييد العلم، دار إحياء السنة، ط٢، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٤١. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ت(٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م): مقدمة ابن خلدون، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٤٢. ابن خلكان، أحمد بن محمد ت(٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان، دار الثقافة، بيروت ١٣٨٧ هـ / ١٩٨٦ م.

٤٣. الدارمي، عثمان بن سعيد ت (٢٨٢هـ/ ٨٩٥م): رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.
٤٤. أبو داود، سليمان بن الأشعث ت (٢٧٥هـ/ ٨٨٨م): سنن أبي داود، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
٤٥. ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد (٢٨١هـ / ٨٩٤م): الإخوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
١. رسائل ابن أبي الدنيا في الزهد والرقائق والورع، المنتدى الإسلامي، الشارقة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
٤٦. الذهبي، محمد بن أحمد ت(٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م): تاريخ الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
١. تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
٢. سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
٣. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م.
٤٧. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد ت (٥٠٢هـ/ ١١٠٨م): محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، مطبعة الهلال، مصر، ط١، ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م.
٤٨. الرامهرمزي، الحسن بن عبد الرحمن ت(٣٦٠هـ/ ٩٧٠م): المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
٤٩. الزجاجي، عبد الرحمن بن إسحاق ت(٣٤٠هـ/ ٩٥١م): مجالس العلماء، وزارة الإعلام بالكويت، الكويت، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
٥٠. ابن سعد، محمد ت (٢٣٠هـ/ ٨٤٥م): الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت.
٥١. السمهودي، علي بن أحمد ت (٩١١هـ / ١٥٠٦م): خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى،مطابع الجامعة، جدة، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
٥٢. السهيلي، عبد الرحمن ت(٥٨١هـ/ ١١٨٥م): الروض الأنف، دار النصر للطباعة، القاهرة، ط١، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.
٥٣. السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر ت(٩١١هـ/ ١٥٠٥م): الإتقان في علوم القرآن، مكتبة المعارف، الرياض، ط٢، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
٥٤. ابن سيد الناس، محمد بن عبد الله ت(٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م): عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، مؤسسة عز الدين للطباعة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
٥٥. ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد ت(٢٣٥هـ/ ٨٥٠م): الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٥٦. الشيزري، عبد الرحمن بن نصر ت(٥٩٠هـ/ ١٠٩٤م): نهاية الرتبة في طلب الحسبة، دار الثقافة، بيروت، دت.
٥٧. الصنعاني، عبد الرزاق بن همام ت(٢١١هـ/ ٨٢٦م): المصنف، المجلس العلمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
٥٨. الصيمري، حسين بن علي ت(٤٦٣هـ / ١٠٤٥م): أخبار أبي حنيفة وأصحابه، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٥٩. الضبي، المفضل بن محمد ت(١٦٨هـ/ ٧٨٥م): أمثال العرب، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
٦٠. الطبري، محب الدين أحمد بن عبد الله ت (٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م): السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.
٦١. الطبري، محمد بن جرير ت(٣١٠هـ/ ٩٢٢م): جامع البيان في تأويل القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
١. تاريخ الأمم والملوك، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ط١.
٦٢. ابن عبد ربه الأندلسي، أحمد بن محمد ت(٣٢٧هـ/ ٩٣٨م): العقد الفريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.
٦٣. العجلي، أحمد بن عبد الله ت(٢٦١هـ/ ٨٧٤م): معرفة الثقات، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٦٤. ابن عساكر، علي بن الحسن ت (٥٧١هـ/ ١١٧٥م): تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
٦٥. العسقلاني، ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
٦٦. العسكري، الحسن بن عبد الله ت (٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م): الصناعتين الكتابة والشعر، مطبعة محمود بك، الأستانة العلية، ط١، ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م.
٦٧. ابن غلبون، عبد المنعم بن عبيد الله ت(٣٨٩هـ/ ٩٩٩م): الاستكمال لبيان جميع ما يأتي في كتاب الله في مذهب القراء السبعة، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
٦٨. ابن قدامة، عبد الله بن أحمد ت(٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م): روضة الناظر وجنة المناظر، دار الزاحم، د.ت.
٦٩. القرطبي، محمد بن أحمد ت(٦٧١هـ/ ١٢٧٣م): الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
٧٠. القرطبي، مكي بن أبي طالب ت(٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م): التبصرة في القراءات السبع، الدار السلفية، بومباي، الهند، ط٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٧١. القفطي، علي بن يوسف ت (٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) : أخبار العلماء بأخبار الحكماء، مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م.

٧٢. القلقشندي، أحمد بن علي ت(٨٢١هـ/ ١٤١٨م): صبح الأعشى، دار الكتب السلطانية، القاهرة، ط١، ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م.

٧٣. ابن القيم، محمد بن أبي بكر ت(٧٥١هـ / ١٣٥٠م): إرشاد القرآن والسنة إلى طريق المناظرة وتصحيحها، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٧٤. ابن كثير، عمر بن اسماعيل ت(٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م): البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.

٧٥. اللالكائي، هبة الله بن الحسن ت (٤١٨هـ/ ١٠٢٧م): شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٧٦. المبرد، محمد بن يزيد ت(٢٨٥هـ/ ٨٩٨م): الكامل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م

٧٧. المروذي، أحمد بن محمد ت (٢٧٥هـ/ ٨٨٨م): أخبار الشيوخ وأخلاقهم، دار البشائر، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٧٨. المزي، يوسف بن عبد الرحمن ت(٧٤٢هـ/ ١٣٤١م): تهذيب الكمال في أسماء الرجال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٧٩. المقدسي، محمد بن مفلح ت(٧٦٣هـ/ ١٣٦٢م): الآداب الشرعية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٨٠. ابن منظور، محمد بن مكرم ت(٧١١ هـ/ ١٣١١م): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

٨١. النديم، محمد بن إسحاق ت(٣٨٠هـ/ ٩٩٠م): الفهرست، تحقيق رضا تجدد، طهران، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

٨٢. الأصبهاني، أحمد بن عبد الله، ت(٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م): حلية الأولياء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

٨٣. النعيمي، عبد القادر بن محمد ت (٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م): الدارس في تاريخ المدارس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

٨٤. النووي، يحيى بن شرف ت (٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م): تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

٨٥. النيسابوري، مسلم بن الحجاج ت(٢٦١هـ/ ٨٧٥م): صحيح مسلم، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٨٦. الوادي آشي، أحمد بن علي ت(٩٣٨هـ/ ١٥٣٢م): ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٨٧. وكيع، محمد بن خلف ت(٣٠٦هـ/ ٩١٩م): أخبار القضاة، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط١، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م.
٨٨. اليحصبي، عياض بن موسى ت(٥٤٤هـ/ ١١٤٩م): ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الامام مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

المراجع

٨٩. أبيض، ملكة: التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
٩٠. مؤسسات التربية العربية في الشام حتى أواسط القرن الرابع الهجري، التربية العربية الإسلامية المؤسسات والممارسات، مؤسسة آل البيت، عمان، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
٩١. أحمد، مهدي رزق الله: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
٩٢. الأحمدين، أحمد: الوقوف على الأمية عند عرب الجاهلية، مركز الحضارة العربية، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
٩٣. الأصم، عبد الرحمن صقر: الإدارة التربوية مصطلحات ومفاهيم إرشادية، مطبعة المعارف، الشارقة، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
٩٤. الجواهري، خيال محمد مهدي: من تاريخ المكتبات في البلدان العربية، وزارة الثقافة، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
٩٥. حجازي، عبد الرحمن عثمان: المذهب التربوي عند ابن سحنون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
٩٦. الحدابي، داود عبد الملك: الإدارة التربوية العربية الإسلامية، موسوعة الإدارة العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، جامعة الدول العربية، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.
٩٧. حسين، محمود حاج: تاريخ الكتابة العربية وتطورها، وزارة الثقافة السورية، دمشق، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.
٩٨. الحفني، عبد المنعم: موسوعة أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
٩٩. حمدان، نذير: في التراث التربوي، دار المأمون، دار الثقافة العربية، دمشق، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
١٠٠. الخضري بك، محمد: الدولة الأموية، دار الأرقم بيروت، د.ت.
١٠١. الخطيب، محمد عجاج: السنة قبل التدوين، أم القرى، القاهرة، ط٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٠٢. خفاجي، عبد المنعم: معارك فاصلة في التاريخ الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط٢، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

١٠٣. أبو خليل، شوقي أبو خليل: أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ط ١٢، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م.

١٠٤. راجح، أحمد عزت: أصول علم النفس، دار المعارف، القاهرة، ط١١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

١٠٥. رضا، محمد: أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين، دار الكتب العلميمة، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٠٦. زامباور، إدوارد: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١٠٧. الزبيدي، محمد بن محمد الحسيني ت(١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م): اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، دار الفكر، د.ت.

١٠٨. الزركلي، خير الدين بن محمود ت (١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م): الأعلام، دار العلوم للملايين، بيروت، ط ٥، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١٠٩. الزيات، أحمد: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط٤، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

١١٠. سابق، السيد: فقه السنة، الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

١١١. ساعاتي، يحيى محمود: الوقف وبنية المكتبة العربية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط٢، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

١١٢. السامرائي، قاسم: علم الاكتناه العربي الإسلامي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١١٣. السعيد، عبد الله عبد الرزاق: الطب ورائداته المسلمات، مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١١٤. السيد، أماني محمد: مكتبات المستشفيات، إيبيس للنشر، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١١٥. شاهين، حمدي: الدولة الأموية المفترى عليها دراسة الشبهات ورد المفتريات، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١١٦. شرف الدين، محمود عبد الفتاح: أبو بكر الصديق وبنوه، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

١١٧. الشملان، نورة: أبوذؤيب الهذلي حياته وشعره، عمادة شؤون المكتبات جامعة الرياض، الرياض، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١١٨. الصلابي، علي محمد: عمر بن عبد العزيز وعالم التجديد، دار ابن كثير، دمشق، ط خاصة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

١١٩. الطباع، إياد خالد: المخطوطات الدمشقية المخطوط العربي منذ النشأة حتى انتشاره في بلاد الشام، الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة، دمشق، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

١٢٠. عباس، إحسان: عبد الحميد الكاتب، دار الشروق، عمَّان، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٢١. عبد الدائم، عبد الله: التربية عبر التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م.

١٢٢. العثمان، حمد بن إبراهيم: النبذ في آداب طلب العلم، مكتبة ابن القيم، الكويت، ط٤، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

١٢٣. عطوان، حسين: الفقهاء والخلافة في العصرالأموي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

١٢٤. العقاد، عباس محمود: التعليم عند العرب، مجلة الكتاب، مج ١، ج٣، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.

١٢٥. العكرش، عبد الرحمن بن حمد: من الخزانة إلى المكتبة مقاربة لتأصيل المصطلح، مجلة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ع٣٥، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٢٦. علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب، دار الساقي، ط ٤، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٢٧. علي، سعيد اسماعيل: معاهد التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٢٨. العمايرة، محمد حسن: الفكر التربوي الإسلامي، دار المسيرة، عمّان، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

١٢٩. العمري، أكرم بن ضياء: عصر الخلافة الراشدة، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

١٣٠. عواد، كوركيس: خزائن الكتب القديمة في العراق، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٣١. عواد، محمود: القدس معلومات وأرقام، مركز الإعلام العربي، الجيزة، مصر، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٣٢. الكتاني، محمد عبد الحي ت(١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م): تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألف في الكتب، المكتبة الحسنية، الرباط، ط٢، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

١. نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط٢، د.ت.

١٣٣. كحالة، عمر رضا: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م.

١٣٤. المباركفوري، صفي الرحمن: الرحيق المختوم، أولي النهى للإنتاج الإعلامي، الرياض، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٣٥. مؤنس ، حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام ، الزهراء للإعلام العربي ،القاهرة ، ط١ ،١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م.
١٣٦. مختار، علي محمد: دور المسجد في الإسلام، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، جمادي الأولى، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
١٣٧. المدني، محمد محمد: نظرات في فقه الفاروق عمر بن الخطاب، وزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
١٣٨. المطروشي، علي بن محمد: المواهب اللطيفة في الأنساب الشريفة، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
١٣٩. المنجد، صلاح الدين: دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
١٤٠. منيسي، سامية: النداء الأول لحقوق الإنسان في الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.
١٤١. الميداني، محمود عصام الميداني: الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي، دار دمشق، دمشق، ط٣، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
١٤٢. النجار، إبراهيم: الفكر التربوي عند العرب، الدار التونسية للنشر، تونس، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.
١٤٣. الندوي، علي الحسني: محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة،، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
١٤٤. النعيمي، مريم عبد الله: لافتات للبمصرين، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

الدوريات

١٤٥. الإشبيلي، بكر بن إبرهيم ت (٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م): كتاب التيسير في صناعة التسفير، تحقيق عبد الله كنون، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، أسبانيا، مج ٧- ٨، ١٣٧٨هـ – ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م- ١٩٦٠م.
١٤٦. البغدادي، عبد الله بن عبد العزيز: الكتّاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها، تحقيق هلال ناجي، مجلة المورد، وزارة الإعلام، العراق، مج ٢، ع ٢، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
١٤٧. البلوي، سلامة محمد: مكتبات بيت المقدس من الفتح الأيوبي إلى الاغتصاب الصهيوني، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، ط١، عد ٣٢، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.
١٤٨. ششن، رمضان: نظرة عامة على الكتاب والمكتبات والوراقين في التاريخ الإسلامي، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، ط١، عد ٣٢، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤م.

١٤٩. صالحية، محمد: مؤدبو الخلفاء في العصر الأموي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، الكويت، مج ١، ع ٣، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٥٠. الضامن، حاتم صالح: فصول مختارة من كتب الجاحظ، المورد مجلة تراثية فصلية، وزارة الثقافة والفنون، العراق مج ٧، ع ٤، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م.

١٥١. عبد التواب، رمضان: لوح الضبط في علم حساب القبط لابن المغربي، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، مج ٣٦، ج١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

١٥٢. النملة، علي بن إبراهيم: مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ع ٤، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

الموسوعات

١٥٣. دائرة المعارف الإسلامية، دار الفكر، بيروت، د.ت.

١٥٤. موجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، د.ت.

١٥٥. الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.